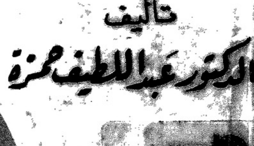
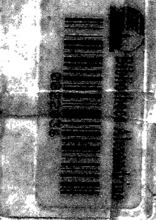
الإعلام والدعاية



تأليف
الدكتور عبد اللطيف حمزة



ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

دكتور عبد اللطيف حمزة
أستاذ ورئيس قسم الصحافة
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة
« سابقا »



١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

صحيح ما يقال من ان الراى العام والاعلام وجهان لعملة واحدة ، وهذه العملة هى الحرية . اما الدعاية فشىء آخر غير الاعلام كما سنعرف ذلك .

وهنا يتبادر الى أذهاننا اولا سؤال كهذا السؤال :

متى كان للراى العام وجود فى التاريخ ؟.

والذى نعرفه من دراسة التاريخ العام ان العصور القديمة لم تأبه كثيرا لراى الجماهير .. ولكنها كانت تأبه كثيرا لراى الحاكم . لذلك راينا افلاطون يجرد الراى العام للجماهير من كل قيمة . وهذا بالرغم من أننا نعرف جيدا أن اليونان القدماء كان لهم الشأن الكبير والدور الخطير فى تاريخ الحرية والديمقراطية . ومن أقوالهم المأثورة فى ذلك :

« ان الأمة الواحدة ــ اذا اتسعت اتساعا كبيرا ــ لا تقوى على المحافظة على حريتها . والسبب فى ذلك انه لابد وان يجتمع الناس كلهم فى ساحة واحدة فى المدينة لكى يستمعوا الى اقوال الزعماء والقادة . وبدون ذلك يعجز الشعب كل العجز عن الاطلاع على أحوال الحكام ، وتتبع أعمال الحكومة » .

فى هذه الكلمات ما يدل دلالة قاطعة على أن الديمقراطيات القديمة كانت تسمح بوجود الراى العام . غير أن ذلك مشروط فى العبارة السابقة بقلة عدد السكان حتى يسهل جمعهم فى مكان واحد ليستمعوا الى آراء القادة وذوى الحل والعقد فى المجتمع .

لهذا السبب ولأسباب اخرى كثيرة لم يستطع الراى العام ان يلعب دوره كاملا فى البيئات القديمة برغم أنها عرفت من أدوات الاتصال بالجماهير فنونا كثيرة منها الخطابة والشعر والمسرح . ومنها الأسواق العامة

التى كانت تعرض فيها المعروضات الفكرية الى جانب المعروضات المادية . ومن الأمثلة على هـذه الأسـواق القديمة عند العرب : سـوق عكاظ ، وذى المجاز ، والمربد . وفى اليونان كانت السوق تعرف باسم « القوروب » وكانت معرضا لكل ذلك .

أجل .. لم يستطع الرأى العـام أن يلعب دوره كاملا فى البيئـات القديمـة . ولكنا نسـتطيع أن نستثنى من ذلك « أثينـا » من جهـة ، و « المدينة » على عهد النبى والخلفاء الراشدين من جهة ثانية . وفى المدينة كان العرب اذ ذاك من القلة العددية بحيث يستطيعون بسهولة أن يتجمعوا فى المساجد والجوامع والأماكن العامة ، وأن يتشاوروا فى أمور خطـيرة من أهمها أمر اختيـار الخليفة .

غير أنه بمضى ذلك العهد الزاهر — عهد النبى والخلفاء الراشدين — وبزيادة عدد المسلمين ، وبظهور العواصم الجـديدة فى العـالم الاسلامى تعـذر على المسـلمين ممارسـة الديمقراطيـات والتعبير عما يسـمى « بالرأى العـام » . وأصبح هـذا الرأى — أو كاد يصبح — مقصـورا على الحكام ، وان كان من عادة هؤلاء أن يأخذوا برأى علماء الدين الذين كانوا أشبه بنواب عن المسلمين يراقبون أعمال الراعى ويحافظون على مصالح الرعيـة .

* * *

هـذا كله فى العالم العربى . اما فى العالم الغربى فمما لا شك فيه أن السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر — وهى السنوات التى حدثت فيهـا الثورة الفرنسـية — طغت سيطرة الرأى العـام الذى كان يسميه مونتسكيو « بالروح العام » والذى عبر عنه روسو « بالارادة العامة » .

ثم فى القرن الذى نعيش فيه فرض الرأى العـام نفسه على أكثر بلاد العالم المتمدن . وأصبحت له وسائله الحديثة الى ذلك . ومنها الصحف والكتب ثم الراديو والتليفزيون . ويضاف الى ذلك رأى الشعب كله ممثلا فى المجالس النيابية . وليس أروع فى التاريخ المعاصر من المثل الذى ضربه

العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ . فمما لا ريب فيــه أن قوة (الرأى العام العالمى) كانت من أقوى الأسباب التى أدت الى انتصار مصر على دول ثلاث اشتركت فى العدوان عليها . وهى انجلترا وفرنسا واسرائيل .

* * *

سؤال آخر يعرض للباحث أيضا فى موضوع « الرأى العام والاعلام والدعاية » — وهو متى كان للاعلام وجود فى التاريخ ؟.

والجواب على ذلك ان الاعلام وجد بوجود هــذا العالم . ولكنه مر بمراحل كثيرة حتى وصل الى الصورة التى هو عليهــا فى وقتنا الحاضر . والسبب فى ذلك هو تغير وسائل الاعلام من عصر الى عصر :

فقد كانت وسائل الاعــلام فى الأزمنة القديمة طبولا تسمع فى أدغال أفريقيا ، ودخانا يصعد فى بلاد الهند ، ونيرانا تسطع فى صحراء الغرب ، وحمائم تطلق فى عهود الخلفاء والسلاطين ، وخيلا تسبق الريح فى توصيل الأنباء الهامة من بلد الى بلد ونحو ذلك .

ومعنى هذا أن وسائل نقل الأخبار كانت كثيرة ومتنوعة فى العصور القديمة . وكان القائمون بنقل الأخبار كثيرين أيضا . ثم خضعت هــذه الوسائل الاعلامية لأطوار متعددة بعــد ذلك . حتى اذا صرنا الى الوقت الذى نعيش فيــه وجدنا أنفسنا أمام طائفة جــديدة من هــذه الوسائل . منها الصحف والاذاعة والتليفزيون « ويخلق ما لا تعلمون » !.

ثم ان الاعــلام يختلف فى طبيعته عن الدعاية . فالاعــلام انما يقوم على الأخبار الصحيحة والحقائق الثابتــة ، والأرقام والاحصاءات ونحو ذلك . أما الدعاية فتعتمد فى أساسها على العواطف أو ما يسمى بالاستهواء النفسى . ومع هــذا وذاك فلا غنى للنــاس أو الحكومات عن الاعــلام وعن الدعاية ... وفى وقت واحد .

أجل .. أصبحنا فى الوقت الحاضر نفرق تفرقة واضحة بين ما هو اعلام وما هو دعاية . ولذلك نجد الحكام فى الدول الحديثة — وخاصة فى النصف الثانى من القرن الذى نعيش فيــه — يعتمدون فى اتصالهم بالجماهير على

الاعلام أكثر من اعتمادهم على الدعاية . أو — على الأقل — يتظاهرون بذلك أمام الشعب . ويبدو هذا واضحا فى خطب الرؤساء والقادة فى المناسبات العامة ، والانقلابات السياسية ، والمؤتمرات الدورية وغير الدورية ، وفى المجالس النيابية التى يجتمع فيها ممثلو الشعب ، ويتحدثون فيها حديثا يبنى على المعلومات الصحيحة والتقارير المدروسة ، والاحصاءات التى لا تكذب القارىء أو السامع .

* * *

وهناك سؤال ثالث وأخير ؛ وهو متى كان للدعاية وجود فى التاريخ ؟.

والاجابة على هذا السؤال مخالفة للاجابة عن السؤالين السابقين . ذلك أنه اذا كانت الديمقراطية الصحيحة شرطا فى وجود الرأى العام فانها — أى الديمقراطية — ليست شرطا فى وجود الدعايه . بل ان الدعاية ربما كانت أكثر ملاءمة للبيئات التى تنكر الديمقراطية وتقوم على الديكتاتورية ، أو ما يسمى بنظرية السلطة المطلقة .

واذا كانت الأخبار الصحيحة والحقائق الثابتة شرطا فى الاعلام فان هذه العناصر ليست شرطا فى الدعاية فى جميع الاحوال . بل كثيرا ما تقوم الدعاية على الاخبار الكاذبه والحقائق الملفقه والنشرات أو البيانات الزائفة ونحو ذلك .

والديكتاورية — أو نظام السلطة المطلقة — أكثر حاجة الى الدعاية من أى نظام سواه . ولذلك نظر التاريخ الى تأليه الفراعنه القدماء على أنه ثمرة من ثمرات الدعاية . والى سيطرة البابوات على الناس والحكام على أنهما نتيجة من نتائج الدعاية . كما نظر التاريخ الى تحكم الخلفاء والسلاطين وانفرادهم بالسلطة نفس هذه النظرة . وفى كتاب لنا سابق هو كتاب « الاعلام له تاريخه ومذاهبه » شرح لهذه الفكرة .

هذا كله فيما يتصل بالدعاية السياسية . أما الدعاية التجارية فبعيدة كل البعد من هذا المجال الذى نتحدث فيه .



قلنا ان الرأى العـــام والاعلام وجهان لعملة واحــدة هى الحرية ، وعلى هذا فللحرية بهذا المعنى صور ثلاث : أولاها صورة الآراء الفردية ، أو حق كل مواطن فى ابداء الرأى الذى يراه . والثانية صورة الرأى العام ، أو مجموع الآراء الفردية يلتقى بعضها ببعض ويؤثر بعضـــها فى بعض . والثالثة صورة الاعـــلام وهو الطريقة التى ينقل بها هـــذا الرأى العـــام فى النهـــاية . وخلاصة هـــذا الكلام أن الاعـــلام عبارة عن حرية التعبير عن الآراء .. ومن هنـــا وجب علينـــا فى هـــذا الكتاب أن نبدأ الحـــديث عن « الرأى العـــام » ثم ننتقل منه الى الحديث عن « الاعـــلام » ثم منهما الى الحديث عن « الدعاية » . وذلك ما جرى عليه منهج البحث .

* * *

(وبعـــد) فقد اكتفيت فى كتابى هذا وفى الكتاب الذى سبقه بعنوان « الاعلام له تاريخه ومذاهبه » بعدد كبير ممن كتبوا فى موضوع الاعلام . سواء كانوا من المؤلفين العرب أم غير العرب . وان كان الفضـــل الأول فى الحقيقـــة ما زال للمؤلفين الأوربيين والأمريكيين الذين يعتبرون الرواد الأوائل فى هـــذا الموضوع .

كما انتفعت فى باب الدعاية من كتابى هـــذا بالمحاضرات التى ألقاها الدكتور محمد عبد القادر حاتم على طلبـــة الصحافة بكلية الآداب جامعة القـــاهرة (١) .

ومنذ تعيينى جامعـــة بغـــداد سنة ١٩٦٥ للمشاركة فى انشاء قسم الصحافة بكلية الآداب وجدت هذا القسم الجديد بحاجة شديدة الى كتب تجمع فيها المواد الدراسية المطلوبة . واذ ذاك شعرت بمسئولية كبيرة تجاه

---

(١) ألقى الدكتور حاتم ــ بطـــل الاعـــلام العربى فى حرب السويس سنة ١٩٥٦ ــ هـــذه المحاضرات منذ عشر سنوات على وجه التقريب ، وكان يومئذ وزيرا للثقافة والارشاد . وفى حدود علمى ان هذه المحاضرات لم تزل مخطوطة الى اليوم .

قسم الصحافة ببغــداد هى نفس المسئولية الكبيرة التى شعرت بها تجاه قسم الصحافة بالقــاهرة .

ومن هنا بدأت جهودى فى بغــداد بتأليف هــذا الكتاب فى موضوع « الرأى العــام والاعلام والدعاية » . وانا أدعو الله أن يهبنى القوة التى اتابع بها تأليف بقية الكتب اللازمة لهــذا القسم الناشىء .

غير أن ذلك لا يتم بمفردى . فما أنا الا واحــد من أساتذة آخرين يحملون معى عبء الدراسات الصحفية فى جامعــة بغــداد . لذلك أود أن يأذن لى زملائى فى هــذا القسم الجديد فأدعوهم جميعا الى المبــادرة الى تأليف الكتب التى تتصل بهذه الدراسة . فان ذلك هو الطريق الوحيد لانشــاء مكتبة خاصة بالدراسات الصحفية بجامعــة بغــداد حتى يمكن لهــذه الدراسة أن تقف يوما ما على قدم المســاواة مع بقيــة الدراسات الجامعيــة الأخرى .

ومعروف أن الدراسات الصحفية فى ذاتها انما تدور حول فنون ثلاثة رئيسية ؛ هى فن التحرير ، وفن الاخراج ، وفن الادارة . كما تدور هــذه الدراســة حول فنون أخرى كثيرة مثــل موضــوع « العلاقات العامة » وموضوع « الاعــلان » وموضوع « التصــوير الصحفى » . كما تحتاج الدراسات الصحفية كذلك الى بعض المواد الثقافية كموضوع « المذاهب السياسية » و « المذاهب الاقتصــادية » ومادة « التشريعات الصحفية » ومادة « الاحصاء » ومادة « الاجتماع الصحفى » ومادة « الترجمة الصحفية » ونحــو ذلك .

ومعنى ذلك أننى أرجو أن أشــمل بدعوتى الى تأليف الكتب اللازمة لقسم الصحافة جميع السادة الأساتذة الذين يقومون بتدريس جميع المواد المتقدمة . وهذه الدعوة التى أوجههــا الآن الى زملائى الأساتذة فى قسم الصحافة بجامعة بغداد هى نفس الدعوة التى وجهتها الى زملائى الأساتذة بقسم الصحافة بجامعة القاهرة — وهو القسم الذى تم انشاؤه سنة ١٩٥٤ — أعنى قبل انشاء قسم الصحافة البغدادى بما لا يزيد عن عشر سنين .

وانى لأذكر الآن بشىء كثير من الرضى والاطمئنان أننى وزملائى الذين كانوا معى بالقاهرة فى سنة ١٩٥٤ — وفقنا الى تأليف ما يقرب من أربعين كتابا فى صميم الدراسة الصحفية كانت صالحة لانشاء مكتبة صحفية ، ثم اتسعت هذه المكتبة شيئا فشيئا بالرسائل العلمية التي تقدم بها خريجو معهد الصحافة بالقاهرة لحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب من معهد التحرير والترجمة والصحافة . وهو المعهد الذى خرج الى الوجود سنة ١٩٣٩ — أعنى قبل انشاء قسم الصحافة المصرى بخمس عشرة سنة . وبقى يتمتع بالحياة الى سنة ١٩٥٧ .

وهذا الذى تم للدراسة الصحفية بجامعة القاهرة هو ما أتمنى أن يتم مثله وأكثر منه لهذه الدراسة الصحفية فى جامعة بغداد . والله الموفق للصواب .

* * *

ومن واجبى فى نهاية المقدمة أن أعترف بأن الفضل فى اصدار هذا الكتاب انما يرجع الى طلبة قسم الصحافة ببغداد ، فهم الذين قاموا بتسجيل المحاضرات التى ألقيتها عليهم فى موضوع « الرأى العام والاعلام والدعاية » ، وهم الذين قرأوا على هذه المحاضرات بعد الفراغ من تسجيلها بطريقتهم الخاصة . وهم الذين اشاروا على بعد ذلك بطبعها كتابا فى آخر الأمر .

فالى جميع من أشارت اليهم هذه « المقدمة » أقدم أصدق الشكر . كما أقدم شكرى كذلك لجامعة بغداد التى تفضلت فساعدت فى نشر الكتاب . والله أدعو أن يوفقنا جميعا لخدمة الوطن العربى . والى الله العلى القدير أبتهل أن ينفع الصحافة العراقية والاعلام العراقى بالجيل الجديد من الشباب الذى يتأهل لهذه المهنة الشريفة فى قسم الصحافة .

عبد اللطيف حمزة

بغداد فى يونيه (حزيران) ١٩٦٧ .

الباب الأول

الرأى العـــــــام

الفصل الأول

تعـريف الرأى العـــام

ربما كان اصطلاح « الرأى العـــام » من اختراع العصور الحديثة التى تعددت فيها وسائل التعبير عن هذا الرأى ، من صحيفة الى اذاعة الى تليفزيون الى سينما الى ندوة الى مؤتمر الى معرض الى كتاب ونحو ذلك.

ولكن ليس معنى هذا بطبيعة الحال ان الرأى العام لم يكن له وجود ما فى العصور السابقة . كلا ، فاننا لا نتصور عصرا من العصـــور القديمة أو الوسيطة كان محروما من التعبير عن آرائه فى كل مشكلة من المشكلات التى تواجهـــه أو الأحداث التى تمر به .

غاية ما فى الأمر أن العصور التى تقدمتنا كانت لهـــا وسائل اخرى للتعبير عن هـــذا الرأى . وقد أوشكت هـــذه الوسائل ان تكون محصورة فى الكتاب والرسالة والخطبة والأسواق العامة ؛ ومنها سوق المربد وسوق عكاظ ونحوهما . هذا كله فضلا عن القصيدة الشعرية التى كانت تعتبر وسيلة من وسائل التعبير عن الرأى العـــام أو الخاص منذ العصر الجاهلى الى العصور الوسيطة الى العصر الحديث كما هو معروف .

ويتردد لفظ « الرأى العام » على الالسنة كثيرا فى العصر الذى نعيش فيه ؛ وخاصة عندما تقع حادثة مفزعة كحادثة غرق الباخرة دندرة بالقاهرة أو حادثة غرق السيارة العامة فى النيـــل فى شـــهر سبتمبر سنة ١٩٦٥ . وقد راح ضحية هاتين الحادثتين فى مصر عدد كبير من المواطنين . وهزت كل حادثة منهما مشاعر المصريين . وقد يبلغ من ضخامة الحادث أحيـــانا أنه يشغل بال الرأى العالمى بأسره . كما حدث ذلك فى العدوان الثـــلاثى على مصر عام ١٩٥٦ . وقد هز هذا العدوان ضمير العالم كله . فلم تتخلف دولة من الدول عن الاشتراك برأيها فى هـــذه الحادثة .

تعـــريف الرأى العـــام :

يختلف العلماء اختــلافا بعيــدا فى تعريف هــذا المصطلح . ولنـــا أن نستعرض طائفة من هذه التعريفات . وسنجد أن بعضها يؤمن ايمانا عميقا بقوة الرأى العام . وبعضها يظهر بعض الشك فى ذلك . وكلا النوعين من التعريف يجعلنا ندرك خطورة الرأى العام فى ذاته ، ولا يحملنا مطلقا على الشك فى وجوده .

فمن التعريفات التى تؤمن بقوة الرأى العـــام ما يلى :

١ — يقول الأستاذ جيمس برايس فى كتابه (الديمقراطيات الحديثـــة) : « الرأى العـــام اصـــطلاح يستخدم للتعبير عن مجموع الآراء التى يدين بهـــا النـــاس بازاء المســـائل التى تؤثر فى مصالحهم العامة والخاصـــة » .

٢ — ويقول الأستاذ البورت " Alport " : « الرأى العـــام تعبير صـــدر عن مجموعة كبيرة من الناس عما يرونه فى مسألة من المسائل أو مقترح من المقترحات الواســـعة النطاق ؛ بحيث يمكن استدعاؤهم لهـــذا التعبير — سواء كانوا مؤيدين للفكرة أم معارضين لهـــا ، وبحيث تكون نسبتهم العـــددية كافيـــة لاحـــداث تأثير ما بطريق مبـــاشر أو غـــير مبـــاشر » .

٣ — ويقول الأستاذ البيج " Albig " فى كتابه (الرأى العام الحديث) : « انه — أى الرأى العام — تعبير عن موضـــوع معين يكون موضع مناقشة من جماعة ما » .

٤ — ويقول الأستاذ كلاريد كنج فى مقدمة كتابه (قراءات فى الرأى العام) : « انه — أى الرأى العـــام — هو الحكم الذى تصل اليـــه الجماعة فى مسألة ذات بال وذلك بعد مناقشات علمية ومستوفاة » .

٥ — ويقول الأستاذ لينـــارد دوب " Doob " فى كتابه (الرأى العـــام والدعاية) : « انه — أى الرأى العام — اتجاه جماعة من النـــاس نحو مشكلة معينة أو حادث معين » .

ونقف قليلا عند هـذا التعريف الأخير فنقول :

يقصـد (بالاتجاه) حالة استعداد عقلى كونته التجارب أو الظروف التى مرت بالفرد فى الماضى . ويؤثر هـذا الاستعداد تأثيرا توجيهيا على استجابات الفرد لجميع الأشياء والمواقف التى تتصل بهذا الاستعداد .

والاتجاه — كما سنذكر ذلك فيما بعـد — من الأمور التى توشـك أن تكون ثابتة ثبوتا دائما فى الأفراد والجماعات ، فالاتجاه العدائى ضـد الزنوج فى أمريكا يكاد يرثه الطفـل الأبيض عن أبويه وعن المدرسـة وعن الجامعـة .

ويقصد بالجماعة فى بحوث الراى العام العدد من الأفراد الذين ينتمون الى هيئة واحـدة كالاسرة أو المصنع او النقابة أو المدرسـة . وقد تكون الجماعة كثيرة العدد بحيث تشمل الأمة كلها . وقد تتسع الى أن تشـمل العـالم كله وهكذا .

أما المشكلة أو الحادثة فى تعريف (دوب) للراى العـام فقد تكون مشكلة بسيطة حدثت لأسرة واحدة او مصنع واحـد او مدرسة واحدة . وقد تكون مشكلة كبيرة كالعدوان على بلد من البلاد او قيـام حرب عالمية ونحـو ذلك .

وفى كل هذه التعريفات السابقة ما يوحى بأهمية الراى العام وبحتمية وجوده وبقوة تأثيره .

ومع هذا وذاك فان من الدارسين لهذا المصطلح الذى نحن بصدده الآن — وهو مصطلح الراى العام — من يعمدون الى تحليل المصطلح ذاته ، ويقـولون انه يتألف من لفظين هما لفظ (رأى) ولفظ (عام) . والراى من قولك : أرى كذا . وكلمة أرى فى ذاتها تعبير عن أمر يقبـل الشـك . وعلى هذا فالراى معناه عدم الجزم او القطع بصحة امر معين .

واما كلمة (العـام) فيقصد بهـا الجماعة التى تشترك فى الراى . والجماعة تتألف من أفراد يتباينون فى الأخلاق وفى المعتقدات وفى الثقافة . ولا توصف الجماعة بأنها شيء موحد ، أو بأنهـا شيء له صفة الثبوت .

والجماعة تنتقل من حالة الى اخرى بتأثير افراد معدودين يسوقونها سوقا اما الى الخير واما الى الشر . وقل أن تكون لهـــذه الجماعة ارادة ظاهرة فى انصياعها لهؤلاء الأفراد أو الزعماء أو القادة .

ومن هنا كثرت الآراء التى تشكك فى الراى العام من حيث هو .

وهنا نضيف الى التعريفات التى سبق أن أشرنا اليها تعريفات أخرى لها طابع التشكيك فى وجود الراى العام . ومنها على سبيل المثال :

١ — الراى العام الموحد للجماعة أمر لا يمكن تصوره حتى فى أوقات كفاح الشعوب من أجل مصيرها . ذلك أن الشجاعة فى ابداء الراى تختلف من فرد الى فرد . والعقول التى يصدر عنها الراى تختلف من حيث القوة والضعف . والأهـــداف التى تســـعى اليهـــا الجماعة تختلف من حـــزب الى حـــزب .

٢ — ومن هـــذه التعريفـــات : الراى فى ذاته هو محاولة لتحقيق أمر ما بوسائل ناقصة — أو بعبـــارة أخرى — بطرق ليست مستكملة . ومعنى ذلك أن صاحب الراى لا يتأكد لديه رايه الا بموافقة الآخرين عليه . ولذلك نرى فى نفس صاحب الراى شيئا من القلق والتناقض ؛ فهو يخشى دائما أن يكون مناظره فى الراى صاحب الحق .

٣ — ومن هـــذه التعريفات كذلك : الراى العام لا وجود له فى الحقيقة — فانه مما لا شك فيه دائما أن هناك رأيا ظاهرا بين آراء الجميع — أو رأيا غالبا على ما حوله من آراء الجميع . ومعنى ذلك بطريقة أخرى انه ليس هناك ما يسمى بالراى العام . بل هناك راى فى الجماعة . وبين العبارتين فرق لا سبيل الى انكاره .

٤ — ومن هذه التعريفات أخيرا : ان الراى العـــام ليس رأى الشعب بأكمله . بل يصح أن يكون راى طبقة لها الأغلبية أو السلطة على طبقات الشعب الأخرى . والأرجح أن يكون راى الطبقة المتسلطة فى الأمة هو الراى الغالب أو الراى الذى له السيادة والنفوذ والتفوق على آراء الطبقات الأخرى (١) .

---

(١) عبد اللطيف حمزة : الصحافة والمجتمع ٨ — ١٠ .

محاولة جـديدة لتعريف الرأى العـام :

يقول صاحب كتاب « الرأى العام والحرب النفسية » (١) :

« الواقع ان عـذه الاختـلافات فى تعريف الرأى العـام انما تنبع من اختلافات فى وجهـة النظر الاجتماعيـة والسياسية الى الجماهير ، وفى مدى الايمان الحقيقى بهذه الجماهير . كما تنبع أيضا من الخلط بين رأى الأغلبية ورأى الطائفة . أو بمعنى آخر : بين الرأى العام والرأى النوعى .

ولذلك فقد حاولنا أن نضع تعريفا جديدًا للرأى العام ينبع من ايماننا بأن الجماهير هى القوة المحركة الحقيقية فى المجتمعات الحديثة متى اتيح لها القـدر الكافى من النوعية .

« فالرأى العام هو الرأى السائد بين أغلبية الشعب الواعية بالنسبة لموضوع أو اكثر يمس هذه الأغلبية مسا مباشرا أو يشغل بالها ، ويحتدم فيه الجدل والنقاش فى فترة معينـة .

« ولا يقلل من أهمية هـذا الرأى وجود آراء مخالفة لبعض الفئات ذات المصالح المغايرة لمصالح الأغلبية ... » .

فقوله « يشغل بالها ويحتدم فيه الجدل والنقاش » معناه بيان دور وسائل الاعلام والتوعية فى القاء الأضواء على المسائل العامة التى ينبغى ان يلم بهـا الشعب الماما صحيحا ، أو التى قد لا يدركها الشعب بسبب الجهـل أو قصـور الوعى . ذلك ان من لا علم له لا رأى له . أما ضرورة احتدام الجدل فلأن الجدل من شأنه تقليب أوجه المسألة المثارة والوصول الى الحقيقـة .

وأما قوله « فى فترة معينة » فلأن لكل مشكلة أو حدث أو وضع معين ظروفه المحـدودة بزمن وقوعه سواء كانت ظروفا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية . وقد تتغير هذه الظروف بمرور الوقت .

---

(١) مختار التهامى ص ٢١ — ٢٢ .

الفصل الثانى

الرأى العـــام والاتجاه العـــام والسخط العـــام

قلنا ان الرأى العـــام هو رأى الجماعة الذى تتخـــذه نحو مشكلة أو حادثة معينـــة . أما الرأى الخاص فهو يمثل رأى الشخص الذى تعنيه المشكلة أو يفكر فى هذه الحادثة من وجهة نظره فقط .

من أجل ذلك يمتاز الرأى العـــام بأنه اقل تعرضا للتغير أو التحول من الرأى الخاص الذى هو شخصى بحت . ذلك أن الأول — وهو الرأى العـــام — متصل أقوى اتصال بالجماعة — كما أوضحنا — بخلاف الرأى الخاص فانه متصل بالفرد . فلو سألت كل فرد من أفراد الجماعة عن رأيه فى مسألة من المسائل ، أو حادثة من الحوادث وجدت له رأيا مخالفا لآراء الأفراد الآخرين . وهذه بديهية لا تحتاج الى شرح أو تعليل . فلننتقل منها الى الكلام عن :

الفرق بين الرأى العام والاتجاه العام والسخط العام :

الرأى العـــام : هو ما يصل اليه المجتمع الواعى بعد تقليب وجهات النظر المختلفة والآراء المتعارضة .

واما السخط العـــام : فهو ما تصـــل اليـــه الجماهير بمجرد الاثارة أو الانفعال برجل واحد فقط ، أو حادثة واحدة فقط ، أو فكرة واحدة فقط ، أو زاوية واحدة فقط لا تكاد تسمح لغيرها من زوايا النظر بالظهور بحال ما .

والاتجاه العام — هو ما يكون نتيجة لاتفاق الجماهير على شىء معين يرون فيه صيانة لهم ولتقاليدهم ، أو دفاعا عن معتقداتهم ، محافظة على تراثهم الحضارى ونحو ذلك .

والرأى العام نتيجة البحث والدرس والمناقشة والتجربة والفحص .. وهو من هذه الناحية يعتبر قوة خالقة . ومن ثم كان الوعى القومى فى بلد من البلاد انما يقاس بالرأى العام ولا يقاس مطلقا بالسخط العام . وذلك

ان الناس فى حالة (الرأى العام) يتمتع كل واحد منهم بحرية المناقشة . ويستطيع أن يظهر شخصيته . وأمامه الفرص الكثيرة لاقناع غيره بالرأى الذى يراه . ولكن الناس فى حالة السخط العام تنعدم فيهم هذه الحرية . ففى الزحام والتجمع تنمحى شخصية الفرد عادة . ويفكر الناس بالصور والخيالات ، ويكون المجال واسعا امام القادة والزعماء المندفعين (وهم المعروفون عند الأوروبيين باسم الديماجوج) لكى يثيروا الجماعات ويستغلوا سذاجتها . وهنا تنعدم ذاتية الأفراد انعداما تاما كما قلنا .

ان الشعب فى حالة السخط العام يكون اشبه شىء بالنظارة فى المسرح ؛ يتأثرون بالرواية المسرحية وقت مشاهدتهم لها . وقلما يستطيعون الجمع وقتئذ بين المشاهدة والنقد . (١)

طرق التعبير عن السخط العام أو الرأى العام :

فى حالة السخط العام نجد أن الجمهور يعبر عن نفسه بطرق أهمها أربع وهى :

(أ) طريقة التبرير — Rationalisatim

(ب) طريقة الابدال — Displacement

(جـ) طريقة التعويض — Compensation

(د) طريقة الانسلال أو الاسقاط Projection

١ — (فاما التبرير) فهو فى الجماعات مثلما هو فى الأفراد سواء بسواء . انه عبارة عن تعليل الفعل الذى يصدر عنك بأسباب تبدو معقولة فى نظر سواك . مع ان الحقيقة هى ان هذا الفعل الذى صدر عنك انما صدر لأسباب عاطفية بحتة تحاول اخفاءها عن غيرك بكل الطرق الممكنة .

وهذا الذى يحدث بالقياس الى الفرد هو بعينه ما يحدث بالقياس الى الجماعة . فمتى شعرت الجماعة بشىء من الخوف و القلق أو الذنب أو الفشل فانها تلوذ بطريقة التبرير للتخلص من هذا الشعور ، أو للتخفيف منه على اقل تقدير .

(١) عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفى ، ص ٢٠ .

أجريت دراســـات عديدة فى أمريكا لمعرفة الســـبب الذى من أجله يتعصب الأمريكيون ضد الزنوج ، ويسخطون عليهم كل هذا الســـخط . فوجد أن البيض يبررون بحجج غير منطقية ؛ منها ان الزنجى يميـل الى الكســل ، وان به نقصــا من الناحية البيولوجيــة ، وأن تعاريج المخ فى الرجل الأســـود أقل منها فى الرجل الأبيض ، ومنها ان الزنوج أشـــبه بالحيوانات من حيث الخلقة .

ونظر المثقفون الأمريكيون فى جميع هذه الأسباب فوجدوها واهيـــة فى أساسها . ولكن الشعب الأمريكى ما زال فى سخطه العام ضد الزنوج ، وما زال يبرر سخطه بمثل هذه الأسباب .

٢ — (وأما الابدال) فهو اجتهادك فى أن تحصل على رغبة من الرغبات بدلا من رغبة أخرى فشلت فى الحصول عليها قبل ذلك . ويتضح الابدال فى سلوك الفرد اذا غضب من والده أو والدتهفى البيت ولم يســتطع الرد عليهما . فان غضبه فى هذه الحالة يتحول الى أخيه الأصغر . وقد يعبر عن ذلك الغضب أيضا بكسر بعض الآنية التى تكون قريبة منه .

ومثل هذا الابدال يحدث فى الجماعات . ففى حالة الاضراب العــنم ترى المتظاهرين يعمدون الى تحطيم أســـلاك البرق واعمدة النور وطرق السكك الحديدية . كما حدث ذلك فى الثورة الشـــعبية الكبرى فى مصر سنة ١٩١٩ . وقد يشتد ســـخط الجماهير فوق هذا الحد فيعمدون الى احراق الحوانيت العامة والفنادق الكبرى ، بل احراق المدينة كلها . كمـــا حدث ذلك فى حريق القاهرة المعروف قبيل الثورة الأخيرة . ونعنى بها ثورة الثالث والعشرين من شهر يوليه عام ١٩٥٢ .

٣ — (وأما التعويض) فمعناه تعويض الفرد نفسه عن نقص يشعر به . والتاريخ حافل بالأمثلة الكثيرة والشـــواهد العديدة على صدق هذا القول . وبسبب ذلك نجد أكثر الزعماء والقادة وكبار الشـــعراء والأدباء والفنانين يولدون بنقص جسمى يشعرون به شـــعورا قويا فى حياتهم ، ويحاولون تعويض هذا النقص بأعمال معينة توصلهم الى المجد والشهرة .

وفى رأى علماء النفس أن الفنون والآداب ووسائل التســلية واقامة

الحفلات والمهرجانات كلها أمور تلجأ اليها الشعوب هربا من التوتر الناشىء عن قسوة الحياة ذاتها . ومن ثم كانت حفلات الترفيه التى تقيمها الجيوش فى حالة الهزيمة أمرا بالغ الأهمية . ومن هــذا القبيل كذلك ما قيل أن من أسباب ظهور القصص الشعبية كقصص الف ليلة وليلة شعور العامة بسخط على الخليفة لانحراف فى ســلوكه الشــخصى أو فى ســلوك أهل بيته . واذ ذاك شجع الخليفة على ظهور هذه القصص ليلهو بها الشعب الساخط ويشغله ذلك عن الجرائم التى أثارت فى نفسه كل هذه الريب .

وبالرغم من أننا لا نميل الى تصديق هذا السبب : فاننا نميل الى أن نأخذ منه مثلا من أمثلة التعويض .

فمن هذا القبيل كذلك ما تفعله بعض الحكومات حين تريد أن تشغل بال الرأى العام بقصة مخترعة أو حادثة مختلقة تصرف الرأى العــام بها عن النظر فى خطأ وقع من الحكومة وخافت أن تتحدث عنه الصحف .

ومن هــذا القبيل كذلك جميع الأخبار الهشة أو التافهة مما يساعد الاستعمار فى كل بلد من البلاد التى تقع تحت حكمه لكى يصرف بهــا نظر الصحف عن الخوض فى السياسة الاستعمارية ذاتها : ان قصة مخترعة كقصة الصعيدى الذى أراد شراء الترام فى مدينة القاهرة ، أو قصة الفلاح الذى أراد أن يشترى ميدان العتبة الخضراء بأكمله — لما يشغل الناس بالتفكه والتسلية ، ويصرفهم عن الالتفات الى القضــايا الجادة والمسائل الهامة والسياسة العليــا للحكومة ونحو ذلك .

٤ — (وأما الانسلال أو الاسقاط) فمعناه تبرئة النفس من أعمال صدرت عنهــا ونسبتها الى الغير ، أو هو تفسير للمثــل العربى القائل « رمتنى بدائها وانسلت » .

ومن الأمثلة على الاسقاط أو (الانسلال) ادعاء اسرائيل أن العرب لا يحبون السلام وانهم أهل عدوان ، على حين أن العكس هو الصحيح .

وقد نبهنا الأســتاذ « البج » فى كتابه « الرأى العــام الحــديث » الى أن جميع هــذه الطرق التى يعبر بها الرأى العــام أو السخط العام

غن نفسه فى بعض الأحيان هى بعينها الطرق التى تعتمد عليها الدعاية ، ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن كلا من الدعاية والرأى العام يتفقان فى سيكولوجية التفكير أو التأثير على الجماهير . ومن ثم اعتمدت الدعاية على كثير من الدوافع النفسية والعقلية التى يعتمد عليها الرأى العام .

فالتبرير يعتبر مظهرا من مظاهر الدعاية وأساسا لها . ومن هنا يعتمد الدكتاتور فى كل زمان ومكان على طائفة من المبررات التى يبرر بها سلوكه ويفسر بها أكثر تصرفاته . ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما فعله « هتلر » حين كان يسوق قومه الى الحرب بحجة أنهم العنصر الممتاز على سائر البشر . ومن حقهم أن يكونوا سادته . ومثل ذلك يقال عن اضطهاد الملونين فى كل من أمريكا وأفريقيا . ومثله كذلك يقال فى تلك الحماقة البشرية التى يسمونها « القنابل الذرية أو الهيدروجينية » .. الخ .

والابدال يعتمد عليه كيان الساسة ورجال الاعلان والدعاية على أوسع نطاق ممكن . ومن الشواهد على الابدال ما فعله « هتلر » كذلك من تحويل سخط الشعب الألمانى على سوء الأحوال الاقتصادية فى المانيا الى سخط على اليهود وعلى الشيوعية . ومثل ذلك يقال ايضا فى تحويل سخط الشعب على الحاكم المتفرد بالسلطة الى سخط على أعوان هذا الحاكم وعلى جميع مشروعاته الاصلاحية .

والاسقاط يعتمد عليه رجال الدعاية كذلك فى ترويج الشائعات التى لا نصيب لها من الصحة ولا أساس لها من الواقع . ولذلك ترى كثيرا من الشعوب ترمى الشعوب المعادية لها بأخطائها وذنوبها ، وتوسع هوة الخلاف بينها وبين تلك الشعوب البريئة من هذه الذنوب أو العيوب . والقصد من ذلك خلق الجو المناسب لاعلان الحرب عليها ، ودفع الشباب إلى أتون هذه الحرب .

والتعويض يلعب دوره كذلك فى دنيا الدعاية . ومن أجل ذلك نرى الدولة المذعورة من جاراتها — مثل اسرائيل — تحاول الاعتداء من آن لآخر على الدول المجاورة لها ، لخفاء ضعفها من جهة ، وايهاما بأنها قوية بمفردها وليس من السهل التغلب عليها من جهة ثانية .

والدعاية بهذه الطرق الأربع المتقدمة تستغل ما يسميه علماء النفس « بمنطقة اللاشعور » فى الأفراد والجماعات . اما منطقة الشعور — ونعنى بها الغرائز والعواطف — فانها خارجة عن نطاق هذا البحث .

(والخلاصة) ان الرأى العام — وخاصة حين يتحول الى سخط عام — يعبر عن نفسه بطرق كثيرة . منها ما يتصل بمنطقة الشعور ومنها ما يتصل بمنطقة اللاشعور ، وان كان ما يتصل منها بمنطقة اللاشعور أخطر وأعمق .

الشـــــعارات :

وكثيرا ما يعبر الرأى العـــام عن نفسه كذلك بطريق الشعارات . وفيها — اى فى هذه الشعارات — يبلور الزعماء والقادة أفكارهم التقدمية وآراءهم وخططهم الوطنية . ولذلك نرى لكل نهضـة من النهضات السياسية مجموعة من الشعارات مخالفة لشعارات النهضات التى سبقتها او النهضات التى تأتى بعـــدها ... كما نرى لهـــذه الشعارات من القوة ومن التأثير فى الجماهير ما يشبه الأحاديث النبوية فى نفوس المسلمين . وان كان القياس هنـــا مع الفارق البعيــد كذلك .

كان من شعارات الثورة الشعبية الكبرى فى مصر لسنة ١٩١٩ قول سعد زغلول : الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة ، الاستقلال التـــام أو الموت الزؤام ... الخ .

ومن شـــــعارات الثورة المصرية لسنة ١٩٥٢ قول الرئيس جمال : ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهـــد الاستبداد ، وقوله : مجتمع الكفاية والعدل ، وقوله : أتينا لمحاربة الاقطاع واستغلال رأس المال ... الخ .

ان كل شـــــعار من هـــذه الشعارات يبلور فيه الزعيم الجديد جميع المبادىء والأفكار والأمانى القومية التى اتى لتحقيقها . وهذه الشعارات على اختلافها يسهل حفظها وترديدها ، ويصبح لهـــا وقع كبير فى نفوس الجماهير يغنى عن المجهودات الكبيرة التى تقوم بها معظم وسائل الاعلام .

الفصل الثالث

أنواع الرأى العـــام

تقع أزمة من الأزمات أو حادثة من الحوادث فاذا بالقــادة فى الأمة يبسطون آراءهم فى هذه الأزمة أو الحادثة . ونرى كل واحد منهم يحاول أن يضع علاجا لذلك بخلاف العلاج الذى يقترحه الآخرون .

وباحتكاك الآراء المختلفة ووجهــات النظر المختلفــة تستطيع الأمة أن تتبين وجه الصواب فى الأزمة أو المشكلة التى تواجهها . ثم تتبلور هذه الآراء فى خطة واحدة تكاد تجمع عليهــا الأغلبية . وبذلك يتألف ما يسمى بالرأى العــام .

ولكن هــل تصلح الجماعة كلها بجميع أفرادها للمشاركة فى تكوين الرأى العام ؟ وهل يصلح جميع أفرادها لمناقشة هذا الرأى ؟ هنا ينبغى للباحث أن يفرق تفرقة واضحة بين طبقتين على الأقل من طبقات المجتمع : طبقة المستنيرين أو المثقفين الذين يستطيعون أن يدرسوا ويناقشوا ويدافعوا عن وجهة نظرهم ، وطبقة السوقة أو الدهماء الذين لا حيلة لهم غير الانقياد لرأى الطبقــة السابقة .

ومن هنــا ينقسم الرأى العــام الى ثلاثة أنواع عند بعض العلماء على النحو الآتى :

أولا — الرأى العــام المسيطر .

ثانيا — الرأى العــام المستنير .

ثالثا — الرأى العــام المنقــاد .

فالأول — هو رأى القادة والزعماء والحكومات ونحو ذلك .

والثانى — هو رأى الطبقة المثقفة فى الأمة . وهى الطبقة القــادرة على الدرس والقراءة والمناقشة والاقنــاع .

والثالث — رأى الســواد الأعظم من الشعب ممن يستجيبون لأول ناعق ، ويتبعون أول صيحة ؛ ويسلكون فى كثير من الأحيان سبيل الهياج والثورة ، ولا يملكون لأنفسهم القــدرة على مناقشة المســائل التى ثاروا من أجلها ، والمشكلات التى أبدوا سخطهم عليها ، ما دام الزعماء قد صوروا لهم ان هــذه المشكلات انما تمس مصلحتهم العامة .

تقسيم آخر لأنواع الرأى العــام :

على أن من الباحثين من رأى فى الرأى العام هذه الأنواع :

أولا — الرأى العــام الكلى .

ثانيا — الرأى العــام المؤقت .

ثالثا — الرأى العــام اليومى .

فالأول — وهو الكلى ، يتصل اتصالا قويا بالأشــياء الثابتة فى الأمة كالدين والأخلاق والتقاليد . وفى هذا النوع يشترك السواد الأعظم من الأمة .

والثانى — وهو المؤقت ، يتمثل فى آراء الأحزاب السياسية والهيئات العامة ، وذلك عندما تسعى لتحقيق هدف معين فى وقت معين .

والثالث — وهو اليومى ، وهو النوع المتقلب ، وعليه تعيش الصحف اليومية والاذاعة والتليفزيون وغير ذلك من الوسائل الاعلامية .

تقسيم ثالث لأنواع الرأى العــام :

ومن الباحثين كذلك من يجد فى الرأى العام انه ينقسم الى هذه الأنواع :

أولا — رأى الأغلبية أو الأقلية .

ثانيا — رأى الأقليات مجتمعة .

ثالثا — الرأى الساحق .

رابعا — الرأى الجامع .

فالأول — رأى الجماعة حين تنقسم الى اغلبية واقلية . وقد تتحول الأولى الى الثانية ، وقد يحدث العكس . وبسبب ذلك كان لرأى الأقلية وزن كبير فى الأمة ، ذلك لأن أصحاب الأقليــة لا يسكتون عن بذل الجهود الكبيرة للوصول الى الأغلبية .

والثانى — رأى الأقليات مجتمعة ، يكون حين تتفق على رأى معين لغاية معينة ، وبسببه تسقط وزارة وتعقبها أخرى . ويستمر الحال على ذلك حتى تتمكن احدى الأقليات من الحصول على الأغلبية .

والثالث — الرأى الساحق ، كثيرا ما يكون نتيجة لاندفاع الشعب حينا ؛ أو لتكاسله فى بحث المشكلات العامة حينـا آخر . غير أن الشعب اذا وصـل الى الرأى الساحق عن طريق الدرس أو البحث بلغ الذروة فى هذه الحالة ، ولكن قلما يصل اليهـا .

والرابع — الرأى الجامع ، وهو الرأى الذى تجمـع عليـه الأمة . ولا يكون ذلك الا فى أمر يرتكز على ما فى الأمـة . وهـذا الرأى هو الذى أطلقنا عليه فيما سبق اسم « الاتجاه العـام » للأمة . وهو رأى لا يناقش فى العـادة . واذا تعرض أحـد لمناقشته عرض نفسه للخطر الحقيقى . ولذلك لا يتعرض له الا كبار المصلحين الذين يضحون بأنفسهم من اجل دعوة اصلاحية تتعارض مع تقاليد الأمة . ومن هؤلاء على سبيل المثال قاسم أمين . فقد تعرض لموضوع سفور المرأة المصرية ، ولقى فى سبيل ذلك من العنت والارهاق ما لا مفر منه لمثله فى مثل الوقت الذى دعا فيه بهذه الدعوة .

- تقسيم رابع لأنواع الرأى العـام :

من الباحثين من يرى فى أنواع الرأى العام أنها أربعة وهى :

١ — الرأى العـام المحلى .

٢ — الرأى العـام الاقليمى .

٣ — الرأى العـام العالمى .

٤ — الرأى العـام النوعى .

وهو تقسيم للرأى العـام على أسـاس جغرافى . وذلك باستثناء الرأى العـام النوعى .

ولكن هناك ما يسمى بالرأى العـام العالمى كما تقدم :

ان الناظر فى تاريخ العالم الحديث يرى أن هناك أحداثا عالمية يكون لها آثارها القوية فى اكثر أجزاء العالم الذى نعيش فيه :

فالقنبلة الذرية ... ...

ومؤتمرات نزع السلاح ... ...

ومؤتمرات التعايش السلمى كمؤتمر باندونج ...

والنزاع العالمى كما صورته الحربان العالميتان الأولى والثانية ...

والكشوف العلمية البـــاهرة ... ...

والآثار الفنيـــة البـــــارزة ... ...

والأعمال الأدبيـــة الخـــالدة ... ...

والأزمات الاقتصـــادية الخانقـــة ... ...

والمذاهب السياســـية المتجـددة ... ...

كل واحد من هذه الأمور هز العالم فى كل جزء من أجزائه هزا عنيفا واضحا ، وكان لذلك أثره أيضا فيما يسمى بالرأى العـــام العالمى الذى هو رأى الشعوب قبل أن يكون رأى الحكومات .

ويعبر هذا الرأى العام العالمى عن نفسه بطريق الصحف التى تكتب بلغات متعددة . وبطريق الاذاعات الموجهـــة الى عديد من الشعوب تتكلم لغات متغايرة . وبهذه الوسائل وأمثالها يتكون للشعوب — بصرف النظر عن الحكومات — رأى عام فى القضايا العالمية التى من أهمها قضية الحرب والســــلام .

ماذا يقصد بالرأى العـــام النوعى ؟

المقصود به الرأى العام الذى يسود بين طائفة أو فئة معينة من الناس فى شعب من الشعوب بالذات ، أو فى مجموعة من الشعوب فى وقت معين ، وذلك بالنسبة لقضية أو أكثر تهم هـــذه الطائفة أو الفئة ، وتجمع هـــذه الفئات عادة عدة عوامل عنصرية أو دينية او طبقية أو اقتصادية أو سياسية أو مذهبية أو ثقافية أو فنية . ومعنى ذلك ان الرأى العام النوعى اما أن يكون على نطاق محلى أو نطاق اقليمى أو نطاق عالمى (١) .

---

(١) مختار التهامى : الرأى العام والحرب النفسية — ص ٧١ — ٧٢ .

الرأى العــام العربى :

وهو مثل من أمثلة الرأى العــام الاقليمى ، وكذلك ينظر الى الرأى العام الأفريقى والرأى العام الأوربى على انهما مثالان من أمثلة الرأى العام الاقليمى الذى هو الرأى السائد بين مجموعة من الشــعوب تربط بينهــا المصلحة المشتركة والتاريخ المشترك والتقاليد والمعتقدات المشتركة واللغة المشتركة والثقافة المشتركة ونحو ذلك .

ومما لا شك فيه أن جميع هــذه الاعتبارات السابقة تربط بين البلاد العربية وتجعــل منها وحدة لا يمكن انكارها ولا يمكن اضعافها مهما حاول الاســتعمار أن يعمل على اضعافها .

ونظن أن الاستعمار ان نسى لا ينسى حادث العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ ، وكيف وقفت البلاد العربية كلها صفا ضد الدول التى اشتركت فى هذا العدوان وهى انجلترا وفرنسا ومعهما اسرائيل . . .

ونظن أن الاستعمار ان نسى لا ينسى قبل ذلك ثورة الثالث والعشرين من شهر يوليو (تموز) سنة ١٩٥٢ وكيف كان لهــذه الثورة أصداء قوية فى أجزاء العالم العربى . ونخص بالذكر منها العراق واليمن . وفيهما انهزمت الملكية والرجعية أمام قوى الجمهورية والتقدم .

ونظن أن الاستعمار ان نسى لا ينسى كذلك الموقف الموحــد للبــلاد العربية كلها بازاء اسرائيل وقضية فلسطين . ولا شك أن اسرائيل تعمــل ألف حساب لهذه الوحدة العربية التى ستختار الوقت الذى تسترجع فيــه فلسطين العربية بصفة نهائية ، وتأخذ فى اعداد نفسها اعدادا تاما لهــذه الغــــاية .

(وبعد) فان تقسيم الرأى العام الى أنواع يمكن أن تكون له صور كثيرة قد لا نستطيع أن نحصرها أو الوقوف بها عند عدد معين من هــذه الصور . وما على الباحث الا أن ينظر الى هذه الصور من زاوية جديدة عدا الزوايا التى أشرنا اليها حتى يستطيع أن يستحدث تقسيما جديدا للرأى العام يضيفه الى هذه التقسيمات الأربعة المذكورة . وفى ذلك ما يؤكد وجود الرأى العــام . وليس فيه ما ينكر وجوده .

الفصل الرابع

عوامل تكوين الرأى العام

لا نكاد نعرف ظاهرة اجتماعية تتأثر بما حولها من الأشياء كما تتأثر ظاهرة الرأى العام . ذلك أنه المرآة التى تنعكس عليها صورة المجتمع بكل ما فيه من عقائد وخرافات وتقاليد وعادات وأفكار وآراء وأخبار تأتى من هنا وهناك .

معنى ذلك أن هناك أمورا كثيرة تدخل فى تكوين الرأى العام ، ولا سبيل الى حصرها فى الحقيقة ، ولكننا نستطيع أن نضع أيدينا على بعض هذه الأمور أو على أهمها وأخطرها فى الحقيقة ومنها ما يلى :

أولا — الاعلام والدعاية بالوسائل المعروفة قديما وحديثا :

وسندرس هذه الوسائل فى فصل آخر . وسنحاول أن نوازن بين هذه الوسائل ، وأن نعرف أصلحها لكل بيئة من البيئات ، ولكل مرحلة من المراحل التى تمر بها المجتمعات الانسانية ، وحسبنا أن نعرف منذ الآن أن المقصود بالاعلام أنه عبارة عن تزويد الجماهير بالمعلومات الدقيقة ، والأخبار الصحيحة ، والحقائق الواضحة ، والنتائج المبنية على الأرقام والاحصاءات . ولا يكون الاعلام صحيحا فى الغالب ما لم يكن مبنيا على هذه الأسس .

أما الدعاية فحسبنا هنا أن نقول انها محاولة التأثير فى الجماهير عن طريق عواطفهم ومشاعرهم ، وفى سبيل هذه الغاية يتغاضى الداعية عن بعض الحقائق الهامة ، والأسس التى تحدثنا عنها ، أو يحدث فيها تحويرا ما تبدو به هذه الأسس بشكل آخر .

ومن هنا كان لابد للاعلام بصوره المختلفة ، والدعاية بأشكالها المختلفة كذلك من أن تؤثر تأثيرا بعيد المدى فى تكوين الرأى العام . فرجل الاعلام فى سبيل الوصول الى هدفه يشقى كثيرا فى جمع المعلومات الصحيحة

واجراء الاحصاءات الدقيقة ، مؤيدا كلامه بالحقائق التى لا يأتيهـا الباطل من بين يديهـا أو خلفهـا .

والداعيـة فى سبيل الوصول الى هدفه كذلك يبذل الوعود الكاذبة أو الصادقة ، وينشر الأخبار التى تعوزها الدقة الكاملة ، ويخاطب فى الناس قلوبهم قبل عقولهم ، ويجعلهم يعيشون فى أحـلام لذيذة والفاظ معسولة تترك أثرا كبيرا فى قلوبهم وفيما يكونونه لأنفسـهم من رأى فى مسـألة من المسائل ، أو فى معروض من المعروضات .

وقد لا تتمثل الدعاية بجلاء كما تمثلت فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ . وهى الحرب التى منى فيهـا العرب بالفشـل . كما تمثلت أيضا بجـلاء فى العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ . وهو العـدوان الذى انتهى بهزيمة انجلترا وفرنسا ومعهما اسرائيل .

ثانيا — الهمس والشائعات :

والهمس والشائعات من أدوات الدعاية لا الاعلام فى أغلب الأوقات ، الا اذا تهامس الناس فى الأمور الصحيحة التى لا يستطيعون أن يصرحوا بها فى الصحف أو الاذاعة وغير ذلك .

وهاتان الأداتان الخطـيرتان — وهما الهمس والشائعات — تعملان فى الواقع على بلبلة الأفكار ، والتأثير فى الخاصـة والعامة من الناس ، وخاصة فى الأزمات السياسية وأوقات الحرب . وفى الناس ميل الى تصديق الشائعات دون محاولة منهم للوقوف على الحقيقة ، وقد لا يكتفى أحدهم بتصديق الشائعات حتى يضيف اليها من عنده ، ويأتى بعده من يضيف اليها شـيئا آخر وهكذا . وهنا يكمن الخطر كل الخطر من الشائعة مهما كانت بسيطة فى أول أمرها .

ولكن من أين تتولد الشائعـة فى الغالب ؟ انها تتولد فى الحقيقـة من احـدى هـذه الحالات :

أولاها — وجود خبر لا اساس له من الصحة .

والثانية — تلفيق خبر لا نصيب له كذلك من الصدق .

والثالثة — المبالغة المقصودة والتزيد الواضح فى نقل الخبر على نحو ما شرحنـا .

وهناك دوافع اخرى كثيرة تحمـل الناس على ترويج الشائعات . ومنهـا :

١ — دافع حب الظهـور .

٢ — دافع التسلط .

٣ — ومنها الرغبة فى التأييد العاطفى للمذعور من الناس بقصد أن يشاركه الناس فيما يشعر به من قلق أو خوف أو كراهية ونحو ذلك .

مهما يكن من شىء فان فى ترويج الشـائعات ما ينفس عن أصحابها ويريحهم كما تفعل الأحلام بالنائم ، فانه يعبر بها أحيانا عن بعض الرغبات المكبوتة فى اعماق نفسه ، وهى الرغبات التى عجز عن تحقيقها فى اليقظة .

واكثر ما تنتشر الشائعات — كما قلنا — فى أوقات الأزمات وفى وقت الحرب ، وعندما يعود الجنود الجرحى من الميدان . هنا تحرص القيادات الحربية الرشيدة على الا يعلم الناس بأخبار الجنود الجرحى عند عودتهم من الميادين ، ولذلك ينظم الجيش حركة ارجاعهم الى بلادهم بطريقة سرية . واكثر ما يكون ذلك فى ظلام الليـل .

من اجل هـذا قلنا ان الشائعات تعتبر من أسـهل طرق الدعايات المغرضة أو الدعاية السوداء ومن أشدها اثرا فى تحقيق الغرض الذى قامت من أجله . ولا سبيل الى محاربة الدعاية التى من هذا النوع الا بالاعـلام الصحيح والوعى الصحيح والدراسة العميقة للرأى العام فى وقت ظهور الشائعة . ولا بأس من اشراك المساجد والكنائس والمدارس والجامعات وأماكن التجمعـات العامة فى محاربة الشـائعات الكاذبة ، وذلك فضـلا عن الصحف والاذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل الاعلام المألوفة .

ثالثا — الزعماء السياسيون والمصلحون الاجتماعيون ومن اليهم :

وهؤلاء الزعماء والمصلحون فى العادة قسمان :

قسم يساير اتجاهات الأمة ، وقسم يحاول أن يفرض عليها تجديدا

لم تعرفه من قبل . وكل من هذين النوعين من القادة يؤثر فى الرأى العام تأثيرا لا سبيل الى انكاره . وان كان النوع الأول من القادة — وهو النوع المساير لاتجاهات الأمة — أسرع نجاحا واقوى تأثيرا من النوع الآخر . ذلك ان قوة الفرد دائما تأتى من قوة الجماعة ، وارادة الفرد انما تتقوى بارادة الجماعة . وهذا هو السبب الذى من اجله ينجح الزعماء السياسيون باسرع مما ينجح المصلحون الاجتماعيون ، أو قادة الفكر غير السياسى فى الأمة . وآية ذلك أن كلا من سقراط وأفلاطون وأرسطو ، وجاليليو ، ونيوتن ، وقاسم أمين ، ومحمد عبده قد اضطهدوا فى العصور التى عاشوا فيها وصبروا على ما أوذوا . ولم تقدرهم العصور التى عاشوا فيها مثلما قدرتهم العصور اللاحقة التى رفعتهم الى المنزلة التى كانوا يرجونها فى حياتهم . وعلى العكس من ذلك ينجح الزعماء السياسيون الذين عبروا تعبيرا واضحا عن آراء مجتمعاتهم ، وجاءت اقوالهم صدى لآرائها وأفكارها وآمالها ورغباتها .

وفرق آخر بين القيادة السياسية والقيادة الاجتماعية هو أن القيادة السياسية أدنى الى أن تكون ظاهرة جماعية ، وليست ظاهرة فردية . ذلك أنه متى وصل زعيم من الزعماء الى الدرجة التى يصبح بها معبود الجماهير — كما يقول الصحفيون — يصبح أداة قوية فى التعبير عن آراء الأمة . واذ ذاك يستطيع الزعيم السياسى كذلك أن يخلق عددا من الشعارات السياسية التى تتناقلها الألسن وتسهل عليها ، وتكون خلاصة جيدة لخطة هذا الزعيم فى قيادة الأمة .

رابعا — المشكلات اليومية سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية :

فى حديثنا عن تقسيم الرأى العام الى كلى ومؤقت عرفنا أن هناك رأيا ثابتا للأمة لا يتغير بتغير الأحداث . وهذا الرأى تتدخل فى تكوينه عوامل كثيرة من اهمها عامل التراث الحضارى للأمة . وهو ما سنتحدث عنه فى نهاية هذا الفصل . كما عرفنا ان هناك رأيا عاما لا يثبت على حالة واحدة ، ولكنه يتغير ويتبدل . وهذا الرأى الأخير هو الذى يتدخل فى تكوينه العامل الذى نتحدث عنه الآن — وهو عامل المشكلات اليومية سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية .

والذى لا شك فيه أن الحوادث والمشكلات تهز المجتمعات هزا عنيفا وتترك فيها آثارا قوية . ولكنها مع ذلك آثار تتعرض للزوال بزوال الحادثة او المشـــكلة .

فاضراب العمال فى مصنع من المصـــانع احتجاجا على قلة الأجـــور ينتج عنه رأى مؤقت سرعان ما يزول بزوال هذا الاضراب .

غير أن هناك من الحوادث ما يؤثر فى الرأى العام تأثيرا طويل الأجل رهيب النتائج . فالقضـــاء على الملكية فى العـــراق نتيجة لثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ، والقضاء على أسرة حميـــد الدين وحكم الأئمة نتيجة لثورة اليمن ، والاطاحة بعرش فاروق نتيجة لثورة الثالث والعشرين من يوليـــة سنة ١٩٥٢ ، كل هذه الحوادث التى جاءت نتيجة للانتفاضات العربيـــة القومية ، دامت آثارها مدة طويلة واشتغل لها الرأى العام اشتغالا تاما ، ثم أصبحت هـــذه الحوادث فى ذمة التاريخ ولم يعد الرأى العـــام العربى يعنى بهـــا كما فعـــل بالأمس .

ولا شك أن حادث العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ كان من اروع الأمثلة على هذا الرأى المؤقت . وان كان قد شغل هذا الرأى وأثر فيه تأثيرا عميقا وموصولا من حيث الزمن ومن حيث السعة .

خامسا — التراث الحضـــارى :

والمقصود بالتراث الحضـــارى كل ما يحيط الأمة من تجارب سابقة وخبرات قديمة وتاريخ ســـياسى وتاريخ ثقـــافى وتاريخ اجتماعى وتاريخ أدبى وفنى مر بالأمة . والمعتقدات الدينية تشكل جانبا من هـــذا التراث . وربما كانت أهم الجوانب فى الحقيقة .

ان التراث الحضارى اذن هو كل موروث من علم وأدب ودين وعرف وتقاليد وحضارة مادية وحضارة معنوية ، وبسبب هـــذا التراث الحضارى للأمـــة يكون استمساكها برأى من الآراء ، أو فـــكرة أو عادة أو عقيـــدة ونحـــو ذلك .

وكثيرا ما نجد فى الكتب التى تتحدث عن الرأى العـــام ان مؤلفيهـــا

يشعرون المثل على هذا العامل الأخير — وهو التراث الحضارى — بكراهية الأمريكيين للزنوج ، وأخـذهم بمبدأ التفرقة العنصرية فى القرن العشرين — عصر الديمقراطية والمساواة والحرية — وهم يقولون ان هـذه الكراهية يتغذى بهـا الطفل الأمريكى فى البيت والمدرسة والجامعـة . وعلى ذلك فان هذه الكراهية نتيجة للظروف المحيطة بالمجتمع الأمريكى . وان كان هذا المجتمع فى ذاته من أحـدث المجتمعات المعروفة . وأكثر من هـذا وذاك ان المواطن الأمريكى من البيض يرى ويسمع كل يوم كثيرا من المبررات لهذا الشعور الذى يشعر به ضد الزنوج — كما سبقت الاشارة الى ذلك .

ولما كان هذا العامل الأخير — وهو التراث الحضارى — من أخطر العوامل فى تكوين الرأى العـام الثابت للأمة ، ولما كان الدين عنصرا هاما من عناصر هذا التراث الحضارى لأمة كالأمة العربية ، فاننا نرى من العسير أن تحاول الشيوعية غزو الشعوب العربية غزوا مذهبيا على نحو ما فعلت فى بعض البلاد الأوربية والآسيوية . ذلك أن الدين الاسلامى يقف عقبـة كأداء ضد الشيوعية ، وفى استطاعته أن يمنعها من الانتشار داخل البـلاد العربية . ويظل الحال على ذلك ما بقيت هـذه البـلاد محتفظة بالديانة الاسلامية أو الديانة المسيحية . ومن أجل ذلك كان أول عمـل قامت به الشيوعية فى منابعها الأصلية — ونعنى بها بلاد السوفييت — عدم النظر الى الدين على أنه مقوم هام من مقومات الحياة الانسانية . ومن ثم أغفل الدستور السوفييتى ذكر الدين ، فتيسر للشيوعية هناك أن يكون لها هذا الانتشـار والذيوع .

سادسا — التربيـة والتعليم :

ما لا شك فيه أن للمدرسة والجامعـة أكبر الأثر فى تكوين المواطن الصالح فى الأمة . كانت هذه حقيقة لا سبيل الى انكارها فى العهود الماضية ؛ وهى حقيقة لا نزاع حولها فى العصر الذى نعيش فيه .

غير أن عمل المدرسة فى الواقع هو نقل التراث الثقافى للأمة من جيل الى آخر . أما عمل الجامعـة فى حقيقتـه فهو تكوين شخصية الطالب

من الناحية العقلية البحتة . واذا كان للتربيـــة والتعليم كل هـــذا الخطر فى تكوين العقول وتوجيه الراى العام اصبح على الدولة أن تعنى بأمر التربية والتعليم لتشكيل العقول من جانب ، ولايجاد الوحدة الفكرية بين ابناء الأمة الواحدة من جانب آخر ، وربط التعليم بالمجتمع والتعاون معه آخر الأمر .

جاء فى الميثـــاق :

« ان حرية العلم التى كان فى مقدورها أن تفتح طاقات جديدة للأمل تعرضت هى الأخرى لنفس العبث تحت حكم الديمقراطية الرجعية » .

« ان أجيالا متعاقبة من شباب مصر قرأت تاريخها الوطنى على غير حقيقته .... ان الأجيال المتعاقبة من شباب مصر انتظمت فى سلك المدارس والجامعات . وكان الهدف من وراء التعليم كله لا يزيد عن اخراج موظفين يعملون للأنظمة القائمة ، وفى ظل قوانينهـــا ولوائحها التى لا تأبه بمصالح الشـــعب » .

« ان تحالف الاقطاع والرجعية الحاكمة لم يكتف بذلك . وانما باشر ضغطه على جماعات كثيرة من المثقفين كان فى استطاعتها ان تكون ضـــمن الطلائع الثورية ، فكسر مقاومتها وفرض عليها أن تستسلم لاغراء ما يلقيه اليها من فتات الامتيازات الطبقية ، أو ان تذهب الى الانزواء والنسيان » .

سابعا — الأوضاع القائمة للدولة :

سواء كانت هذه الأوضاع سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية ونحـــو ذلك . ومما لا شـــــك فيه ان هذه الأوضاع على اختلافها تترك آثارها فى تكوين الراى العام . فالفرق كبير بين النظام الدكتاتورى والاســـــتبدادى والنظام الديموقراطى والاشـــــتراكى . فى الحالة الأولى يميل الحاكم الى التعسف وعدم السماح للمحكومين بابداء رايهم فى المشكلات العامة . وفى الحالة الثانية يوجب الحاكم على نفســـــه أن يشرك معه المواطنين فى كل المشكلات القائمة ويجيز لهم إبداء الراى .

ومثل ذلك يقـــال فى الفرق بين الأمة التى تأخـــذ بنظـــام الأحـــزاب السياسية المتنازعة ، والأمة التى تريح نفسها من هذا النظام فى مرحلة من مراحل حياتها — هى المرحلة الانتقالية — كما ســـياتى شرح ذلك بعـــد .

فالرأى العام فى حالة وجود الأحزاب يبدو ضعيفا الى حد ما . والرأى العام فى الحالة الثانية يبدو للناس قويا وكأنه قد حظى بصفة الاجماع .

هذا من حيث الوضع السياسى للأمة . أما من حيث الوضع الاقتصادى « فالجوع — كما يقولون — مرشد سىء للشعوب . والشعب الجائع لا يمكنه ابدا أن يستخدم العقل وأن يقتنع بالمنطق . ولا مفر له من أن يكون لقمة سائغة فى أيدى محترفى السياسة الذين يستطيعون أن ينحرفوا انحرافا خطيرا به وبمثله الأخلاقية ومبادئه الانسانية ومصالحه الحقيقية » .

ولا يكاد التاريخ يحفظ مثلا واضحا من الأمثلة على ذلك أكثر من نجاح الحزب النازى فى انتخابات عام ١٩٣٠ بالمانيا حيث استطاع هذا الحزب أن يستحوذ على أصوات سبعة ملايين من العمال المتعطلين كانوا بطبيعة الحال ناقمين على الوضع الاقتصادى فى ذلك الوقت .

الفصل الخامس

دور الصحافة فى تكوين الراى العام

قبل الخوض فى موضوع دور الصحافة فى تكوين الراى العام يجدر بنا أن ننتبه الى أمر هام وهو أن الصحافة فى عصرنا هذا لها معنيان :

معنى ضيق ومعنى واسع . والمقصود بالأول — وهو المعنى الضيق — الصحف والمجلات والنشرات ونحو ذلك . والمقصود بالثانى — وهو المعنى الواسع — جميع وسائل الاعلام المعروفة فى وقتنا الحاضر ، كالاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والندوة والمؤتمر الصحفى والمعرض فضلا عن الصحافة .

وتنظر الديمقراطيات الحديثة الى الصحافة بهذا المعنى الواسع على أنها « السلطة الرابعة » فى الأمة الى جانب السلطات الثلاثة المعروفة ؛ وهى السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية . وترى الديمقراطيات الحديثة فى هذه السلطة الرابعة أنها شديدة التأثير فى الراى العام .

ومن اجل ذلك حرصت الديمقراطيات الحديثة — أو قل اظهرت حرصها مرارا على حرية الصحافة فى حدود الصالح العام .

صحيح ما يقال عن الراى العام انه محكمة ليست بذات سلطة قضائية . ولكنها مع ذلك مرهوبة الجانب من الحاكم والمحكوم فى وقت معا .

وليس الراى العام استفتاء بالمعنى المقصود من هذه الكلمة . بل هو الراى المتناقل بين الناس اما عن طريق الشائعات او الهمس أو عن طريق الكتابات والمناقشات العلنية ونحو ذلك .

ان الراى العام لا يتألف من الآراء الخاصة او الآراء الفردية . ولكن يتألف من المناقشات والجدل بين الأفراد ويكون ثمرة لها . وغالبا ما

ينتهى الجدل بأن يسود رأى واحد لفرد واحد أو لأفراد قليلين على بقية الأفراد ويظفر بالأغلبية . ولابد فى الرأى العام أو الإعلام من وجود طرفين أو عنصرين هما عنصر المرسل (بكسر السين) وعنصر المستقبل (بكسر الباء) . الأول هو الوسيلة الاعلامية التى تنقل المعلومات أو الأخبار الى القارىء أو السامع . والثانى — المستقبل — هو القارىء أو السامع سواء كان فردا أو جماعة . ويختلف الأفراد بعضهم عن بعض فى استقبال المعلومات . لأنهم يختلفون من حيث أمزجتهم وقواهم العقلية وطريقة فهمهم للأشياء . ومن التأثير المتبادل بين المرسل والمستقبل يتكون الرأى فى العادة . وسنعود الى الحديث عن عناصر الاعلام عندما نتكلم عن الاعلام بعد الفراغ من الكلام عن الرأى العام .

مهدنا بذلك الحديث للكلام عن دور الصحف فى تكوين الرأى العام .

من الخطأ أن نعتقد أولا أن الصحافة هى وحدها صانعة الرأى العام فى الأمة . فالأصح من ذلك أن يقال أن الصحف تؤثر فى الرأى العام وتتأثر به فى نفس الوقت . وبعبارة أخرى ان الصحف تقود الرأى العام وتنقاد له . ولكن ذلك لا ينفى ان الصحف ما زالت الى الآن تعتبر من أقوى وسائل الاعلام ، ومن اقدرها على تكوين الرأى العام .

فما هى الطريقة التى تؤثر بها الصحافة فى الرأى العام عادة ؟

تؤثر الصحيفة فى الرأى العام عن طريق الخبر تارة ، والتعليق أو العمود تارة ، وعن طريق الأحاديث والتحقيقات الصحفية تارة أخرى ، وعن طريق الاعلان والصور والرسوم الكاريكاتورية آخر الأمر .

اما من جهة الأخبار :

فينبغى للصحيفة التى تريد التأثير فى الرأى العام وتحرص دائما على احترامه لها والثقة فى أخبارها أن تجرى فى سياستها الاخبارية على النحو التالى :

أولا — يجب أن تتوخى الصحة التامة فى نشر الخبر . ذلك أن الخبر هو الغذاء الرئيسى للصحيفة . وبدونه لا يكون هناك وجود ما للرأى العام .

الذى تؤثر فيه الصحيفة . غير ان الخطأ الكبير الذى تقع فيه الصحف هى الميل أحيانا الى تحريف الأخبار . وقد تبالغ بعض الصحف فى هذا التحريف فتجعل منه تزييفا للخبر . وفى ذلك يكمن الخطر كل الخطر على الصحيفة من جهة ، وعلى القارىء من جهة ثانية .

ان اول ما ينبغى أن يحفظه الصحفى من المبادىء هو المبدأ القائل بأن (الخبر ليس ملكا للصحيفة ، وليس ملكا للرأى العام ولكنه ملك فقط للحقيقة) .

ومعنى ذلك أن الصحيفة ليست حرة فى أن تنشر الخبر بالطريقة التى تحلو لها . ولكنها مقيدة بتحرى الصدق والصحة والأمانة والنزاهة فى نشر الأخبار .

والصحيفة بعد نشر الخبر حرة فى شىء آخر هو : —

ثانيا — التعليق على الأخبار بما يتفق وسياستها وبما يعين القارىء فى الوقت نفسه على تكوين رأى له فى هذا الخبر .

ثالثا — أن تتتبع الأخبار بعد الفراغ من نشرها والتعليق عليها . فعن طريق هذا التتبع يصبح الخبر متكاملا فى نظر القارىء . والمهم أن التقصير فى اى واجب من هذه الواجبات الثلاثة فى معاملة الصحف للأخبار يقلل كثيرا من قيمتها وقدرتها على التأثير فى الرأى العام ؛ بل يقضى قضاء تاما على كيانها . وخاصة عندما تلجأ الصحيفة لغرض من الأغراض الى العبث بالخبر بصورة من الصور .

واما من حيث العمود والحديث والتحقيق :

فمعروف أن المقال الإفتتاحى فى كل صحيفة من الصحف هو (المنبر) الخاص بها . ومن على هذا المنبر الخاص تتحدث الصحيفة الى قرائها ، وتؤثر فى أفكارهم وميولهم بالطريقة الخاصة بها . وللصحيفة — كما قلنا — مطلق الحرية فى كتابة العمود أو الزاوية الصحفية . ولابد ان تكون فى كتابة هذا العمود أو التعليق مسايرة للسياسة التى تميزها عن سائر الصحف . وفى وسع الصحيفة أن تصل عن طريق الأعمدة الى ما تصبو اليه

من النفوذ الاعلامى والسيطرة على جمهور القراء ؛ حتى ولو لم تكن هذه الصحيفة مستندة الى حزب من الأحزاب أو هيئة من الهيئات أو قوة من قوى الحكم .

وأما من حيث الصور والرسوم :

فعليها تعتمد الصحافة الحديثة أيضا فى التأثير فى الراى العام . ذلك ان الصورة — كما يقول العارفون — تغنى عن عشرة آلاف كلمة . وكذلك الرسوم الكاريكاتورية تعتبر هى الأخرى سلاحا قويا من أسلحة الصحافة الحديثة . فان رسما واحدا من هذا النوع يشيع جوا من السخط على شيء معين او رجل معين ، كما ينشر السخرية منه أو الرضا عنه وهو ما لا تستطيع فنون القول كلها أن تفعله الا بجهد جهيد .

واذا كان هناك فرق واضح بين الصحف وغيرها من وسائل الاعلام المعروفة فان هذا الفرق يأتى من ناحية الرسوم الكاريكاتورية . والفرق بينها وبين الصور الفوتوغرافية (أو الشمسية) ان هذه الأخيرة عندما تنقل الخبر أو الحدث تلتقط لحظة واحدة من لحظاته . أما الكاركاتور فانه لا ينقل شيئا من ذلك ؛ وانما يراد به دائما نقد شخص من الأشخاص أو فكرة من الأفكار أو رأى من الآراء او سياسة معينة أو اتجاه معين ونحو ذلك (١) .

صحافة الخبر وصحافة الرأى :

الصحف نوعان : صحف الخبر وصحف الرأى . فالأولى — تهتم بالأخبار قبل كل شيء وتغرى بها القارىء وتجذبه الى قراءتها . وهى لذلك أوسع انتشارا وأضخم توزيعا من صحف الرأى .

والثانية — تعتنق رأيا أو مذهبا من المذاهب السياسية أو الاجتماعية؛ وتدافع عن هذا المذهب ما وسعها الدفاع . وأما الأخبار فليست غاية فى ذاتها عند هذا النوع من الصحف . فلا تنشر منها غالبا الا ما يتفق وهذا

---

(١) الصحافة والمجتمع للمؤلف ص ١٦ — ٢٠ .

المذهب الذى تذود عنه وتأخذ نفسها بشرحه . ولذلك فان هذا النـــوع الأخـير من الصحف أقل انتشـارا من النوع الأول ، اذ أن قراء صحف الرأى قليلون فى كل أمة . ولكن صـحف الرأى مع ذلك هى الموجهـــة الحقيقية للرأى العام. والدليل على ذلك أن صحيفة التيمس اللندنية — على ضيق انتشارها — تؤثر تأثيرا بعيد المدى فى سياسة الحكومة البريطانية ، واتجاهات الشعب البريطانى .

والمجلات والكتب والنشرات الدورية تلعب هى الأخرى دورا خطيرا فى تكوين الرأى العام . ذلك أن المجلة أوسع صدرا من الجريدة لقبـــول البحوث السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، واقبـل من الجريدة لنشر التحقيقات الصحفية التى قد لا تتسع لها الصحف اليومية . والمجلة لديهـا وقت أوسع لهذه المواد الصحفية من الجريدة . ومحرروها أكثر أناة، وأعمق تفكيرا من محررى الجريدة . وأمام المجلة فرصـــة من نوع آخر ؛ هى اعادة النظر فى كل ما تنشره الصحف وعرضه على انفراد بصورة جـديدة . ومن هنا تقف المجلة فى مكان وسط بين الجريدة من ناحيـــة والكتاب من ناحية أخرى . فالكتاب ضخم يحتاج فى قراءته الى زمن طويل وعناء كبير . والجريدة أدنى الى الايجاز والى السرعة . أما المجلة فانها تجمـــع بين الخصائص التى للجريدة والخصائص التى للكتاب فى وقت معا . ومن هنـا كانت لها أهميتها الكبرى وتأثيرها القوى فى تكوين الرأى العام ؛ وخاصـة عند الطبقة المثقفة من طبقات الأمة .

الصحافة الصفراء :

ونريد فى نهاية الكلام عن أثر الصحف فى تكوين الرأى العـــام أن نلفت النظر الى الخطر الكبير الذى ينجم عما يسمى بالصحافة الصفراء ، ونعنى بها الصحافة التى تؤثر الخبر على المقال . والتى تعنى من الأخبار بما يتصل بالجنس والجريمة بنوع خاص . فهذا النوع من الصحافة يقوم على مبدأ الاثارة ، ويجد له عددا كبيرا جدا من القراء فى كل بلد من البلاد . ولكنه فى نفس الوقت يعتبر نوعا من السم الذى ديف فى العسل . وتجاهد الأمم فى الوقت الحاضر جهادا كبيرا فى ســبيل التخفيف على الأقـل من التأثيرات السيئة لهذه الصحافة الصفراء التى تهدد كيان المجتمع وتجنيب

بالكثير من أفراده الى الانحراف . وذلك فضلا عما تسببه هذه الصحافة الصفراء من ضرر كبير بالحكومات لأنها لا تعنى بغير الأخبار الهشة أو التافهة التى تضيع وقت القراء ولا تعود بأية فائدة على المجتمع . والصحافة الصفراء تصرف نظر القراء كذلك عن العناية بالأمور الجدة والمشروعات المفيدة والآراء والأفكار النافعة ونحو ذلك .

الرأى العام وحرية الصحافة

ينادى الكتاب والصحفيون دائما بحرية الصحافة . والواقع أن صحافة بلا حرية لا فائدة منها للمجتمع . اذ أن الكاتب المقيد قلما يقدم لمواطنيه أفكاراً سليمة أو آراء نافعة . غير أن حرية الصحافة مع ذلك مهددة فى الدول الرأسمالية والدول الشيوعية بأخطار كبيرة . ففى الدول الرأسمالية نجد أن حرية الصحافة تستحيل الى حرية ليس لها من الحقيقة غير الاسم . وذلك عندما تسيطر المصالح الرأسمالية على الصحف سيطرة كبيرة . وذلك أيضا عندما يضع رجال المال أو رجال السياسة أو رجال الحكومة أيديهم على الصحف باسم حرية الصحافة . وطريق رجال المال الى ذلك هو (الاعلانات) التى لا تستطيع الصحف أن تعيش بدونها بحال ما . وذلك أن الاعلانات تشكل ما لا يقل عن ٦٠٪ من أرباح الصحيفة. وباقى الأرباح وقدرها ٤٠٪ تأتى من التوزيع .

ولسيطرة رأس المال على أجهزة الاعلام نتائجها المعروفة ووسائلها التى أصبح لا يجهلها أحد من الناس . ان أصحاب رؤوس الأموال يستطيعون تنظيم الحملات السياسية عن طريق الدعاية والصحف . وعن طريق هذه الحملات يحصلون على الحكومات التى تأتمر بأوامرهم ، وتعمل لارضائهم. وأما الحكومات التى ترفض عمل شيء من ذلك فان نصيبها الفشل والهزيمة أمام الرأى العام حتى تخضع خضوعا تاما لسيطرة رأس المال . وهذا ما يحدث فى الدول الرأسمالية كأمريكا . وأما الدول الشيوعية فيبدو أن حرية الصحافة ليس لها وجود فعلى فيها . برغم أن دساتير هذه الدول تنص على وجودها . فالصحف فى الاتحاد السوفيتى — وعلى وجه التمثيل — لا تعدو أن تكون أداة طيعة فى يد (الحزب الواحد) يحركها كيف

يشاء ، ولا يكاد يدع لها حرية ما فى ابداء رأى أو توجيه نقد أو رسم خطة لا يرضى عنها الحزب .

(**والخلاصة**) انه لا وجود لحرية الصحافة الا فى مجتمع ديمقراطى يستطيع التخلص من سيطرة رأس المال ومن سيطرة الحكام . وأين هذا المجتمع الديمقراطى بهذا المعنى ؟ الواقع انه لا وجود له .

معنى ذلك ان الحرية الصحفية مفقودة . ولكن أصح من ذلك أن يقال انها موجودة بقيود . وسندرس فى باب الاعلام من أبواب هذا الكتاب ما هى الحكمة من هذه القيود التى تقيد بها الصحافة . وما نوع هذه القيود فى كل وضع من الأوضاع الحكومية فى العالم قديما وحديثا .

قياس الرأى العام :

لقياس الرأى العام طرق كثيرة عند علماء الاجتماع ينتفعون بها كثيرا فى دراساتهم الخاصة بالمجتمع . ومنها طريقة الاستفتاء Questionaire وهى عبارة عن مجموعة من الأسئلة مرتبة بطريقة معينة حول مسألة معينة يراد معرفة اتجاه الرأى العام فيها معرفة دقيقة بقدر المستطاع . ويجمع صاحب الاستفتاء كل الاجابات الممكنة من الأفراد الذين أجرى عليهم الاستفتاء ، ثم يعمد بعد ذلك الى تفريغ هذه الاجابات فى جداول تساعده للوصول الى نتيجة قريبة من الصواب ، أو حكم هو أقرب ما يكون للصحة .

ومنها — أى من الطرق التى يمارسها علماء الاجتماع فى قياس الرأى العام طريقة المسح Snrvey Methed وتقوم على تجميع منظم لأكبر قدر ممكن من المعلومات لمعرفة الرأى العام للمجتمع فى مشكلة ما ؛ سواء كان هذا الرأى ظاهرا أو فى حالة كمون أو اختفاء . ويلجأ أصحاب هذه الطريقة فى جمع المعلومات — بالاضافة الى المقابلات الشخصية والمحادثات — الى الوسائل الاعلامية المعروفة كالصحف والاذاعة ، ويأخذون من هذه الوسائل الاعلامية المختلفة اكبر قدر ممكن من المواد التى تعبر عن الاتجاهات السائدة فى المجتمع .

والفرق بين الاستفتاء والمسح هو أن الاستفتاء يكون حول موضوع واحد بالذات . أما المسح فيتسع لموضوعات عديدة فى وقت واحد . ولذلك تتعدد وسائل المسح وتتنوع ؛ فيكون منها المقابلات الشخصية والمحادثات ، وتكون منها الصحف والاذاعة . ويكون منها كذلك ملاحظة سلوك الناس عند اجابتهم عن سؤال بعينه ، أو اعراضهم عن الاجابة جملة واحدة وهكذا غير أن الطريقتين السابقتين لقياس الرأى العام — وهما طريقة الاستفتاء وطريقة المسح — من الأمور التى تخص الباحث الاجتماعى . وله فيهما دراسات طويلة وأصيلة لا تعنينا الآن . ولكن تعنينا هنا طريقة ثالثة يمكن بها قياس الرأى العام اعتمادا على الوسائل الاعلامية وحدها . هى :

طريقة تحليل المضمون :

وترجع الأهمية التى لهذه الطريقة فى نظر رجل الاعلام الى أنها تساعده دائما على معرفة اتجاهات الراى العام العالمى بالذات . وهو الرأى الذى تهتم به الحكومات ، وترى من الضرورى لها أن تقف عليه دائما . وبمقدار علمها بهذا الرأى العام العالمى يكون نجاحها دائما فى رسم سياستها الخارجية . والذى لا مراء فيه أن كلا من طريقة الاستفتاء وطريقة المسح لا تساعد على دراسة أتجاه الرأى العام ، ولا تسهل ممارستها من أجل هذه الغاية ، ولذلك يعتمد رجل الاعلام للوقوف على هذا الرأى العالمى على الصحف والمجلات والكتب والنشرات وبرامج الاذاعة والتليفزيون وغيرها من الوسائل المؤثرة فى اتجاه الشعب . وذلك كله على أساس من القاعدة التى اشرنا اليها من قبل ، وهى القاعدة التى تقول بأن وسائل الاعلام تؤثر فى المجتمع ، وتتأثر به ، وتقود هذا المجتمع وتنقاد له .

نعم — ان من الصحف والاذاعات ما يخضع لتأثير بعض الأفراد أو الهيئات أو الحكومات ؛ بحيث يمكن أن يقال أنها لا تملك الحرية الاعلامية كالتى تتمتع بها فى البلاد الديمقراطية بنوع خاص . ولكن هذه الوسائل الاعلامية المختلفة هى وحدها المعبرة عن الرأى العام فى مسألة من المسائل

الخارجية لا الداخلية . وليس للشعب وسيلة غيرها فى التعبير عن هذا الرأى .

انظر مثلا الى بلاد ديمقراطية كأمريكا وانظر الى موقف الصحافة والاذاعة فيها بالنسبة لقضية فلسطين . ان الصحافة والاذاعة فى تلك القارة تخضعان خضوعا تاما لسيطرة الراسمالية الصهيونية . ولذلك أصبح من المستحيل على الشعب الأمريكى أن يفهم قضية فلسطين من وجهة النظر العربية ، كل ذلك برغم أن الدعاية الصهيونية انما توجه أكبر جزء من جهودها الى الفئة القليلة المؤثرة فى الرأى العام . وكل ذلك برغم ما حدث فى ٢٣ مايو (أيار) سنة ١٩٦٣ من أن لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى برياسة (وليم فولبرايت) أجرت تحقيقا فى الدعاية الصهيونية كشفت به عن مدى الوسائل التى تسلكها هذه الدعاية للتأثير فى الشعب الأمريكى ، ووصلت الى حقيقتها وكان من نتيجة ذلك أن وجدت صحفية امريكية مثل السيدة (دورثى طومسون) آمنت بقضية اللاجئين العرب ، ودافعت عنهم .

نقول : بالرغم من هذا كله فانك مهما ذهبت تحلل مضمون المقالات الصحفية والأحاديث الاذاعية الأمريكية فلن تجد فيها غير رأى واحد فقط ، هو الاقتناع التام بصدق اسرائيل فى دعواها وبتجريم العرب .

واليك مثلا لقياس الرأى العام من خلال وسيلة من وسائل الاعلام هى وسيلة الخطابة ، وهى لا تقل خطرا عن وسيلة الاذاعة أو الصحافة .

اقرأ معى مقالا للمعلق السياسى توم ليل Tom Lille فى وصف الخطبة التاريخية التى القاها الرئيس جمال عبدالناصر فى ٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٥٦ وأعلن فيها قرار تأميم قناة السويس . وهنا يقول المعلق السياسى :

« لقد القى الرئيس خطابا مطولا كشف فيه للمرة الأولى عن قدرته الخطابية البالغة الأثر فى نفوس الجماهير . لقد ألهب المشاعر الوطنية وأطلق ضحكات الشعب وسخريته المرة وهو يتحدث عن الدول الغربية بازدراء وجراة لم يسبقه اليها زعيم من زعماء الشرق الأوسط .

ولقد اصغت اليه الجماهير بأعصاب متوترة ووجوه مبهورة . وقد خيم عليها صمت عميق . بينما كان الملايين من الناس يلتفون حول أجهزة الراديو يستمعون منها الى خطاب الرئيس وهو يصف كيف اخذت حقوق مصر فى القناة ، وكيف أن هذه القناة مصرية ؛ شقت بأيد مصرية واموال مصرية ، وكيف انها قامت على جماجم عشرة آلاف من الضحايا المصريين الذين ماتوا وهم يعملون فى شقها . ومع هذا فقد ظل حملة الأسهم فى شركة قناة السويس سنة بعد أخرى يأخذون ارباحهم بالملايين ؛ بينما مصر صاحبة الحق الأكبر من هذه الأموال لا تنال منها الا النزر اليسير .

« وفجاة القى عبد الناصر قنبلة مدوية وذلك حين قال ان هذا الاستثمار التعسفى قد انتهى الى غير رجعة ، وأن حكومة الثورة قررت تأميم قناة السويس ، وسنبنى سد أسوان من أرباح القناة » .

هنا انطلق زئير من الهتافات الشعبية . واقشعرت الأبدان كلها من شدة الفرح . وكبر الشعب وهلل . بل ان الكثير من خصوم الثورة اسكرتهم هذه الفرحة » .

افترض انك تقرا معى هذا المقال الذى كتبه المعلق السياسى (توم لايل) فانك تلاحظ انه يتضمن الحقائق التالية :

اولا — ان المعلق السياسى كان شديد التحمس للحركة التى اممت القناة ؛ حتى ليشعر القارىء كأن هذا المعلق كان واحدا من الشعب المصرى او من الجمهور الذى استمع الى هذه الخطبة التاريخية .

ثانيا — ان المقال فيه تأييد تام للفكرة التى نادى بها الرئيس جمال عبد الناصر وهى فكرة تأميم القناة .

ثالثا — ان المقال لم يقف عند وصف الخطبة التاريخية للرئيس جمال عبد الناصر ، ولكنه وصف كذلك شعور الأمة المصرية كلها تجاه هذه الخطبة . واشار الى أن خصوم الثورة انفسهم أسكرتهم الفرحة .

رابعا — ان المقال لا يعتبر بذلك من المقالات المعارضة لسياسة جمال عبد الناصر بحال من الأحوال . مع أنه مما لا يشك فيه أن المقالات المعارضة

لفكرة تأميم القناة كانت أكثر من المقالات المؤيدة لها . وأوضح ما ظهر ذلك فى صحف كل من انجلترا وفرنسا .

ويستطيع الباحث الصحفى بعد ذلك ان يجمع المقالات التى كتبت فى موضوع تأميم القناة ، وذلك فى سائر الصحف التى تعرضت لهذا الموضوع فى أكثر انحاء العالم . كما يستطيع الباحث الصحفى كذلك أن يتعقب النشرات والكتب التى تعرضت لنفس الموضوع ، وأن يجمع الخطب والاحاديث التى تناولته من قريب أو بعيد . وأن يقسم كل هذه المادة التى جمعها ثلاثة اقسام : مؤيد ، ومعارض ، ومحايد . وعليه كذلك ان يأخذ فى الاعتبار درجة التوزيع لكل صحيفة أو نشرة او كتاب ، ومقدار الشهرة التى لكل شخصية تحدثت عن مشروع تأميم القناة .

وعليه فى نهاية الأمر ان يجمع المؤيدين وحدهم ، والمعارضين وحدهم ، والمحايدين وحدهم على أساس من عدد الأفراد الذين سيتأثرون بهذه الصحيفة أو النشرة او الكتاب او الحديث الاذاعى او المشاهد التليفزيونية . ويصل من كل ذلك الى نتيجة من النتائج : فيقول : — مثلا — عن الصحف ان أكثريتها مؤيدة ، واما الاذاعة فمعارضة ، واما الكتب فمحايدة . وهكذا .

وأخيرا يقوم الباحث الصحفى بتفريغ جميع هذه المعلومات التى جمعها — عن سياسة عبد الناصر ، وذلك فى جداول منها :

أولا — جدول يوضح اتجاهات الرأى العام العالمى فى موضوع سياسة عبد الناصر كما وصفتها الجرائد العالمية . وذلك عن طريق احصاء جميع المقالات المؤيدة والمقالات المعارضة والمقالات المحايدة كما سبق ان ذكرنا .

ثانيا — جدول يبين النسب المئوية لتكرار المقالات التى نشرت فى الصحف العالمية تأييدا لسياسة عبد الناصر .

ثالثا — جدول يبين النسب المئوية لتكرار المقالات التي كانت تنقد فيها الصحف العالمية هذه السياسة .

رابعا — جدول يبين النسب المئوية لتكرار المقالات أو الموضـــوعات التى كانت محايدة بالنسبة الى سياسة عبد الناصر.وهكذا .

وبهذه الطريقة يستطيع رجل الاعلام أن يؤلف لنفسه صورة دقيقة عن الرأى العام العالمى بالنسبة لسياسة عبد الناصر ، وأن يضع لنفسه خطة اعلامية تجاه هذه الدول أو الشعوب يستطيع أن يخدم بها — متى أراد — سياســـة هذا الزعيم .

الفصل السادس

دور الاذاعة والتليفزيون والسينما
فى تكوين الراى العـــام

لا ريب ان الاذاعة قوة من قوى العالم الحديث وانها وسيلة من وسائل الاعـــلام الهامة فى الوقت الحاضر . وتستطيع ان تلعب اخطـــر الأدوار فى تكوين الراى العام . ولكن دون ذلك صعاب كثيرة يجب التغلب عليها . وقد أتت هـــذه الصعاب من خطورة المراحل التى يمر بهـــا الخبر الاذاعى من حيث هو . فهناك مرحلة جمع الاخبار ، وهناك مرحلة اختيـــار الملائم من هذه الأخبار ، وهناك مرحلة الطريقة التى تقدم بها الأخبار ، وهناك مشكلة اختيار الوقت المناسب لاذاعة الأخبار ، وهناك مشكلة الأسلوب الذى يكتب به الخبر الاذاعى ، وهناك أمر يتصـــل بلهجة المذيع وظروف المستمع ونحو ذلك . غـــير ان هـــذه الصعاب كلها تهون أمام الصعوبة الحقيقية . ونعنى بها (موضوعية الاعلام الاذاعى) ومعاملة هـــذا الخبر على اساس من الموضوعية الصحيحة فالخبر فى ذاته يجب أن يتمتع دائما (بالقدسية) عندما تتعهد بنشره وسيلة من وسائل الاعلام المعروفة فى الوقت الحاضر . ومن اهمها فى الواقع وسيلة الصحف ووسيلة الاذاعة .

غير أن (موضوعية الاعلام) لا يمكن ممارستها الا بشرط واحد فقط هو « الحرية الصحفية او الاعلامية » . فهل تستطيع صحيفة من الصحف او محطة من محطات الاذاعة فى عالم اليوم ان تحظى بقدر كاف من الحرية يساعدها على هـــذه الموضوعية ؟.

يقولون فى الاجابة عن هذا السؤال « ليست هناك صحيفة أو اذاعة قادرة على ممارسة الموضوعية الصحيحة فى الوقت الحاضر » . ولا يستثنى من ذلك غير بعض الصحف البريطانية ومعهـــا الاذاعة البريطانية . ففى بريطانيـــا تستطيع محطـــة الاذاعـــة توزيع أوقات الكلام بين الأحزاب بالتساوى ؛ وذلك أثناء المعارك الإنتخابية .

وفى بريطانيا كذلك تستطيع الاذاعة — كما يقال — أن تميز تمييزا واضحا بين الخبر فى ذاته من ناحية والتعليق من ناحية ثانية . فأما الخبر فانها تحرص على نشره بدون تحريف . وأما التعليق فانها تمارس فيه كل حريتها ، وتبنى عليه كل ما تريد أن تبنيه من النتائج . لذلك ينظر الانكليز الى الاذاعة البريطانية على انها برلمان مستقل بذاته عن البرلمان الانجليزى المعروف . والبرلمان فى بلاد الانجليز هو المكان المقدس لمناقشة القضايا السياسية وغير السياسية . والاذاعة البريطانية فى نظر الانكليز تستطيع أن تنافس البرلمان الانكليزى فى جميع المجالات .

« الاذاعة البريطانية بقول مختصر موضوعية فى الاعـــلام ، منصفة فى توزيع اوقات الكلام على الأحزاب فى أدوار الصراع الانتخابى غير موجهة بقدر المستطاع بميول الحزب الحاكم حينما يتولى الحكم » (١) .

وندع الكلام عن الفرق بين الاذاعة أو الاعـــلام الانكليزى والاذاعة او الاعلام غير الانكليزى الى الفرصة التى سوف يبحث فيها (الاعلام) فى ذاته بعد الفراغ من الكلام عن (الرأى العام) فى ذاته .

هذا هو مجمل الكلام عن الصعوبة الأخيرة من الصعاب التى تواجه الاذاعة ، وهى هنا « صعوبة الموضوعية » .

ولكن كيف تؤثر الاذاعة فى الرأى العـــام عادة ؟.

ان ذلك يكون عن طريق الخبر ، ثم التعليق على الخبر ، وعن طريق الصحيفة الناطقة (أو مجلة الهـــواء) ، وعن طريق الأحاديث الاذاعية ، والندوات الاذاعية والمسرحيات الاذاعية ، وعن طريق البيانات الرسمية ، وأحاديث الحكام فى شرح الأسس التى يبنون عليها بياناتهم الرسمية ، ووجهة نظرهم فى السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية ونحو ذلك .

فأما الخبر والتعليق على الخبر فقد تحدثنا عنهما فى الكلام عن الصحيفة باعتبارها وسيلة اعلاميـــة فى غاية الخطورة . وما ينطبق على الصحف والمجلات ينطبق تماما على الاذاعة من هذه الناحية .

---

(١) حسن الحسن : الاعـــلام والدولة ، ص ٣٤٢ .

وأما الصحف الناطقة « ومجلات الهواء » فهى منوعة كل التنوع ، وهى شبيهة فى ذلك بالصحف أو المجلات المتخصصة . فهناك مجلة زراعية واخرى صناعية وثالثة اقتصادية ورابعة اجتماعية وخامسة فنية وسادسة دينية وسابعة نسائية وثامنة عمالية ... الخ . ومثل هـذا التنوع يمكن ان نجد له نظيرا فى (مجلات الهواء) أو الصحف الناطقة على السواء .

وليست الأحاديث الاذاعية والمسرحيات الاذاعية والنـدوات بحاجة الى بيان قدرتها على التأثير فى الرأى العام أو الأفكار العامة .

أما الذى يحتـاج منـا الى الشرح فهو أحاديث الحكام فى الاذاعة والتليفزيون . وهذا ما يدعونا الى الكلام عن :

الاذاعة والحكام :

اثر عن بول فاليرى انه قال فى وصف السياسة :

« لقد ظلت السياسة زمانا طويلا وهى عبارة عن فن منع النـاس من الدخول فيما لا يهمهم . أما الآن فقد أصبح للسياسة معنى آخر هو فن تعريف الناس بالأمور التى يجهلونها » (١) .

وعلى ذلك فوظيفـة الاذاعة فى البلد الديمقراطى هى تعليم الناس ما ينبغى لهم أن يتعلموه ليحسنوا الاجابة عن الأسئلة التى يطرحها النظام الديمقراطى . ووظيفتهـا كذلك مد المستمعين بجميع المعلومات الضرورية لمعرفة المشكلات التى يواجهونها .. ووظيفتها كذلك تزويد الناس بقـدر من الثقافة السياسية يمكنهم من الحكم على هذه المشكلات وعرض الحجج المختلفة والحلول المختلفة للمشكلة الواحدة بصورة موضوعية خاصة لا تعرف التحيز أو المحاباة » .

على انه من الملاحظ دائما ان الحكام هم احرص الناس على التأثير فى الرأى العام السياسى بنوع خاص . وهـذا صحيح فى جملته وتفصيله . فان من أبرز السمات التى تتسم بها المجتمعات الحديثة أن حكامها أصبحوا

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

مضطرين الى الاتصال بالشعب عن طريق الصحافة والاذاعة ، وذلك لبيان اعمالهم وشرح سياساتهم وتبرير هذه الاعمال والسياسات .

ولقد كانت السياسة في العصور القديمة حوارا في البيئات الديمقراطية بين الحكام وطبقة بسيطة من الناس لديها متسع من الوقت لهذا الحوار ، كما نشاهد ذلك في تاريخ البلاد اليونانية قديما . أما العصر الحديث فان هذا الحوار السياسي بين الحاكم والمحكوم اصبح بفضل وسائل الاعلام الحديثة يتسع لاكبر عدد ممكن من افراد الشعب . وقلما نجد حاكما من الحكام في الوقت الحاضر يرى في نفسه غنى عن الاتصال بالشعب الذي يحكمه . وهكذا أصبحت الحكومات الديمقراطية الحديثة مسئولة ليس فقط امام البرلمان ، ولكن أمام الصحافة والاذاعة بنوع خاص !.

على أن الخطر من الراديو على الحاكم لا يأتي بطبيعة الحال من الاذاعة المحلية ، ولكن يأتيه من الاذاعات الأجنبية . وبنوع خاص اذا كانت هذه الاذاعات معادية له مناوئة لخطته . ومن هنا شعرت كثير من الدول الحديثة بقلق على نفسها وعلى حكامها من الاذاعات الأجنبية التي أصبح في وسعها ان تحبط أعمال الزعماء ، وان تقلل من خطر الثورات ومن هيبة القادة . فماذا تفعل هذه الدول التي تشعر بمثل هذا الشعور ؟ ليس أمامها في الواقع الا طريقة واحدة هي هدم المحاولات التي تقوم بها الاذاعات الأجنبية لمثل هذه الغاية . ولذلك ظهر في عالم الاذاعة ما يسمى :

بالتشويش الاذاعي .

وهو نوعان : مقصود وغير مقصود .. فأما غير المقصود فيأتي من تكاثر الموجات الاذاعية وتضارب بعضها مع بعض واستحالة ايجاد موجة خاصة بالدولة او عدة موجات خاصة بها . وأما المقصود فهو ما تقوم به بعض الدول لتمنع ايصال اذاعة معينة اليها ، وذلك لأسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية . ولهذا تضع على تلك الموجات تشويشا مقصودا كصوت صفارة أو صوت قوي من نوع آخر يمنع هذه الاذاعة غير المرغوب فيها من الوصول الى المستمعين الذين يراد حمايتهم منها .

« ويقال ان أول تشويش اذاعي في العالم حدث عام ١٩٣٤ عندما

وضعت حكومة النمسا صفارة قوية على الموجة التى تذيع عليها محطة الاذاعة الالمانية لتمنع الدعاية النازية من الوصول الى الأراضى النمسوية » (١) .

وقد عنيت المنظمة العالمية المعروفة باسم « الأمم المتحدة » بهذه القضية وانتدبت لها لجنة منبثقة من لجنة حقوق الانسان انتهى رأيها فى هذه المسألة الى « ان معرفة الحقيقة والبحث عنها بحرية تامة هما من الحقوق الجوهرية للانسان . ولكل شخص الحق بصورة فردية أو جماعية فى البحث عن المعلومات وتلقيها ونشرها . وعلى الحكومات فى جميع الدول اتباع سياسة تؤدى الى حماية تدفق المعلومات والأنباء داخل البلاد وعبر الحدود . وعلى هذا فاى تشويش مقصود ضد أية اذاعة فى العالم أمر يخالف المادة التاسعة عشرة من الاعلان العالمى لحقوق الانسان وهى المادة التى تقول :

« لكل شخص الحق فى حرية الرأى وحرية التعبير . ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل ، واستقصاء الانباء والأفكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون التقيد بالحدود الجغرافية » .

دور السينما فى الرأى العام :

وصف لاروين بانوفسكى السينما فقال (٢) :

« ان السينما سواء رغبنا أم كرهنا هى القوة التى تصوغ أكثر من أية قوة اخرى الآراء والأذواق والزى والسلوك ، بل المظهر البدنى لجمهور يضم أكثر من ستين فى المائة من سكان الأرض » .

وهذا قول صحيح فى جملته وتفصيله . وهو سبب من الأسباب التى ترجع اليها الفروق الشاسعة بين الآباء والأبناء . ذلك أن الشباب أميل بطبيعته الى السينما من الشيوخ ، واكثر تقبلا لما تدعو اليه السينما من تجديد فى كل نواحى الحياة . وهذا فضلا عما للسينما من المقدرة

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة ، ص ٥٧ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٦ .

المنظيمة على التعبير عن العواطف والمشاعر والأفكار والآراء والتجارب الانسانية على اختلافها . ومعنى ذلك أن السينما لم تصبح كما كانت من قبل مجرد أداة لتسلية الجمهور ، ولكن غدت وسيلة اعلامية من أقوى وسائل العصر الحديث ، كما غدت وسيلة ثقافية قد لا تعدلها وسيلة أخرى من الوسائل فى العصر الحديث . وصدق من قال ان السينما فن وعلم وصناعة فى وقت معا . فهى علم قائم على آلات التصوير التى تمخض عنها الفكر الحديث وتقدمت بخطى واسعة فى باب الاختراع بحيث أصبحت بها السينما ناطقة بعد أن كانت صامتة . والسينما علم لأنها أصبحت تبنى على أصول علمية يجب أن يتعلمها القائمون على هذا الجهاز الكبير من أجهزة الاعلام . والسينما فن لأنها تقوم على دراسة الاضاءة وهندسة الصوت ، وتعتمد فى كل ذلك على عدد كبير من الآلات الدقيقة .

وقد أصبح الهدف الأول للسينما فى الوقت الحاضر هو الثقافة وخدمة المجتمع . ولكن السينما كالصحف أصيبت بشىء من الانحراف وأصبحت هدفا للاستغلال الذى قام به أصحاب رؤوس الأموال . ومالت السينما الى ارضاء المشاهدين كما تميل الصحف الصفراء الى مثل ذلك . ولهذا السبب اهتم العلماء برسالة الفن السينمائى ، وكتبوا الكثير من البحوث التى دعوا فيها الى تمسك السينما بأهدافها الثقافية والاعلامية . ومنذ ذلك الوقت وجدنا الحكومات فى جميع أنحاء العالم تعنى بمراقبة السينما عنايتها بمراقبة الصحف سواء بسواء . وفى وزارات الارشاد والثقافة موظفون عهدت اليهم الدولة القيام بهذا العمل الهام من الأعمال المتصلة بالثقافة والاعلان .

ومما لا شك فيه أن السينما مسؤولة فى أكثر بلاد العالم المتحضر عن انحراف الأطفال وسوء سلوك الشباب . وكل ذلك برغم ما أجرى من التجارب الكثيرة التى أثبت بعضها صدق هذه الحقيقة بالأرقام . وانكرتها بحوث أخرى بحجة أن الانحراف فى الأطفال وفى الشباب لم يخرج عن كونه استعدادا طبيعيا فيهم . ثم أتت السينما فكشفت عن هذا الاستعداد وحاولت تغذيته وانماءه بشكل من الأشكال . ومما لاشك فيه أيضا أن كثرة ارتياد الشبان والأطفال لدور السينما له تأثير عميق فى آرائهم وتفكيرهم .

ومهما يكن من شيء فان الناس ينظرون الى السينما فى اغلب الحالات على أنها وسيلة من وسائل التسلية والترفيه . غير أن من هـذه الوسائل الترفيهية ما يرتفع بالمرء الى درجة عالية من درجات التأثر الايجابى والانفعال بمعانى الشرف والنبل والشهامة ، ويشعر الانسان بانسانيته كاملة أو قريبة من الكمال . ومن هذه الوسائل الترفيهية ما يهبط بالمرء الى ادنى درجات التأثر السلبى والانفعال بالمعانى الدنيئة ، واشباع الغرائز الخسيسة ، والنزول بانسانية الفرد الى احط الدرجات .

لذلك أصبح الفيلم الثقافى موضع اهتمام الحكومات الحديثة كما قدمنا ؛ وذلك منذ أن شعرت السلطات المسئولة فى العالم المتحضر بضرورة ارشاد الجماهير عن طريق السينما ، فشجعت على انتاج هذا النوع من الأفلام ، ووصلت الجمهور بآخر انباء العالم ومخترعاته ، وقصت عليه قصة الحضارة الحديثـة وما أحرزته من انتصارات كثيرة ، وجعلت ذلك كله جزءا هاما من الأفلام المسلية أو الأفلام الاخبارية أو الأفلام التاريخية ونحو ذلك .

مذاهب نشر الأفـلام السينمائية :

انقسم العالم الذى نعيش فيـه بالنسبة للسينما الى مذاهب ثلاثة أو اربعـة :

أولها ــ المذهب الامريكى الذى يرى فى السينما انها اداة من ادوات التسلية للمشاهد ، والربح للمنتج . ولذلك يعنى العنـاية كلها بالروايات البوليسية ، ويصنع من المجرمين ابطالا ، ويؤثر بذلك فى نفوس الشباب أسـوأ تأثير .

وثانيها ــ المذهب السوفيتى ، وهو على النقيض من المذهب المتقدم . والسينما عند أصحاب هذا المذهب واسطة للثقافة ، وفن ديمقراطى وشعبى وظيفته التعبير عن افكار الشعب وآرائه وعواطفه ومشاعره ورغباته .

والدولة فى هذا النظام هى التى تفرض على الفنانين موضوعات خاصة يعرضونها على الشاشة . ويؤمن الفنانون السوفيت بهذا التقدم ويقولون ان المدرسة الحديثة للسينما (يقصدون انفسهم) هى التى تقوم على أسس

حديثة ومدروسة ، وان العهد الذى كان فيه الفيلم عبارة عن عمل فنى هدفه الربح المادى قد ولى وانتهى الى غير رجعة .

وثالثها — المذهب الذى يجمع بين المذهبين السابقين . فلا هو بالمتهافت على الربح واجتذاب الجماهير بالأفلام البوليسية وأفلام رعاة البقر واستعراض أعمال المجرمين والنظر اليهم على أنهم أبطال يمثلون أشق الادوار على مسرح الحياة الانسانية ، ولا هو بالمتزمت الذى يحصر جهده فى الأمور الجدية والثقافية والاعلامية التى ينفر الشعب من الكثير منها . ولكنه مذهب بين بين . والأمثلة على هذا المذهب الأخير كثيرة فى الأفلام السينمائية التى تنتجها البلاد الآسيوية والأفريقية .

ورابعها — مذهب يصح أن يقال عنه انه المذهب الاشتراكى المعتدل . وهو قريب من المذهب الثالث . ولكن يزيد عليه شيئا واحدا هو اللون الاشتراكى للفيلم . فكما تعتمد الدول الشيوعية على السينما فى الترويج لمذهبها ، أو فى افهامه جميع طبقات الشعب ، وكما تعتمد الدول الرأسمالية على السينما فى غاية كهذه الغاية ، فكذلك تعتمد الدول الاشتراكية على هذه الأداة من أدوات الاعلام فى تغذية الشعب بالمبادىء الاشتراكية وبنوع خاص اذا كانت هذه المبادىء جديدة عليه كل الجدة .

وكذلك تفعل الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الحاضر . وربما كان الفيلم الذى عنوانه « الرسالة » — مع شىء من التساهل — من الأمثلة الحية على الأفلام الاشتراكية الناجحة فى الوصول الى هذا الغرض .

* * *

ثم ان السينما استخدمت بعد الحرب العالمية الثانية لأغراض أخرى عدا الأغراض الاعلامية والثقافية ، استخدمت وسيلة من وسائل التعليم فى المدارس والمعاهد . وأحدثت بذلك انقلابا هائلا فى تاريخ التربية . وفتحت مجالات جديدة فى التعليم . وبذا استطاع الفيلم السينمائى الواحد أن يجوب بالطالب جميع أنحاء العالم . وصدق من قال ان الفيلم التعليمى هو النافذة التى يطل منها الطالب على العالم كله . وهكذا أصبح من شعارات المعلمين والمربين قولهم « تعلم فى زمن قصير ما يتعلمه غيرك

فى زمن اطول بكثير » . يريدون بذلك أن يقولوا ان السينما تعطى الطلاب من المعلومات الكثير فى وقت قصير جدا ما لا يعطيه الكتاب من المعلومات فى وقت اطول .

ونعود الى الحديث عن رقابة الدولة للسينما فنقول عن هذه الرقابة انها رقابة وقائية فى أكثرها . والغرض منها صيانة الشباب من الانحراف . ولذلك فرضت الولايات المتحدة نفسها رقابة رسمية على انتاج الأفلام . ثم تحولت هذه الرقابة الحكومية بعد ذلك الى رقابة ذاتية — أى رقابة السينما نفسها بنفسها ، وذلك على أساس من دستور وضعه مكتب الرقابة الذاتية بالولايات المتحدة .

وفى انجلترا رقابة على الأفلام ترك فيها الأمر للمناقشة المباشرة بين الجمهور الانكليزى وصانع الفيلم . وفى انجلترا أيضا مكتب للرقابة الذاتية أو مجلس لهذه الرقابة . وليس لهذا المكتب أو المجلس قانون مكتوب . ومع ذلك فله مبادىء غير مكتوبة يسير عليها . ولذلك نرى الرقيب الانجليزى على الأفلام يسأل نفسه دائما هذه الأسئلة الثلاثة وهى :

١ — هل من المحتمل أن يفسد الفيلم المستوى الأخلاقى العام للجمهور ، وذلك عن طريق التقليل من بشاعة الجريمة ، أو عن طريق التساهل فى القيم الاجتماعية ؟.

٢ — هل من المحتمل أن تسىء القصة أو الحادثة أو الحوار الى الجمهور المتزن فى تفكيره ؟.

٣ — ما تأثير القصة أو الحوار أو الحادثة على الأطفال من مختلف الأعمار ؟.

وتتفق الرقابة الذاتية فى الدول المتحضرة فى عصرنا هذا على طائفة من المبادىء تحاول العمل بها قدر المستطاع منها ما يلى :

١ — المحافظة على كرامة الأسر والبيوت والابتعاد ما امكن عن ذكر العورات والعلاقات الجنسية المحرمة ونحو ذلك .

٢ — الاعراض عن ذكر الشذوذ الجنسى والاختلاط المحرم ونحو ذلك .

٣ — تحكيم الذوق فى المنـــاظر الخاصـــة بخلع الملابس أو عرض غرف النوم وما اليهـــا .

٤ — الاعراض عن مناظر القتـــل بطريقة الشنق او الكهرباء او الأعمال الوحشـــية .

وهكذا نجد أن تأثير السينما اقوى ما يمكن على السلوك والأذواق . وهما مظهران من مظاهر الراى العام لا محالة . والافلام السينمائية فى هذا التأثير اشبه ما تكون بالقصة . ونحن نقرأ القصص فى الحقيقة لكى نغير شيئا من آرائنا ، وافكارنا ؛ وأذواقنا ومعلوماتنا شيئا فشيئا . أى أن هذا التغيير أو التعديل انما يتم ببطء . ومع ذلك فقد تنجح قصة واحدة فى هذا التغيير والتبديل . وقد لا تنجح قصص عديدة فى الوصول الى هذه النتيجة . وكذلك الشـــأن مع الفيلم السينمائى . فهناك الأفلام التى يخرج منهـــا المشاهدون فى شبه ثورة عقليـــة على وضع معين أو رأى معين . وهناك الافـــلام التى تبعث فى المشاهدين نوعا من الاصرار على وضعهم القـــديم او رايهم القديم بعد ان راوا مساوىء الوضع الجديد الذى تعرضه الأفلام السينمائية وهكذا .

الباب الثاني

الاعـــــلام

الفصل الأول

الاعـــلام ووســـائله

تعريف الاعــلام :

الاعلام هو تزويد الناس بالأخبـــار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ، بحيث يعبر هذا الرأى تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم .

معنى ذلك أن الغــاية الوحيدة من الاعــلام هى الاقتنــاع بنشرها وذلك عن طريق المعلومات والحقائق والأرقام والاحصاءات ونحو ذلك .

اجل — يقوم الاعلام على الأرقام والاحصاءات ولكن بشرط ان تقدم هــذه الأرقام والاحصاءات كاملة غــير منقوصة . وهنــا نلفت النظر الى التحريف أو التزييف أو العبث الذى يقع فى هذه الأرقام والاحصاءات والحقائق والمعلومات ، وذلك من بعض المغرضين الذين يقومون بهذا الزيف أو العبث لغــاية فى انفسهم !.

على حين ان رجل الاعلام بالمعنى الصحيح يجب أن يقــدم الأرقام الصحيحة والاحصـــاءات الدقيقـــة فى الموضـــوع الذى يريد أن ينقـــله الى الآخـــرين .

من اجل ذلك قلنا فى كتاب « الاعلام له تاريخه ومذاهبه » ان اوضح تعريف للاعــلام حتى الآن هو التعريف الذى وضـــعه العـــالم الألمـــانى « أوتوجروتو » حيث قال :

« الاعلام هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولهـــا واتجاهاتها فى نفس الوقت » (١) .

---

(١) عبد اللطيف حمزة : الاعلام — له تاريخه ومذاهبه ، ص ٢٣ .

فالاعلام تعبير موضوعى . ومعنى ذلك انه ليس تعبيرا ذاتيا من جانب الصحفى أو المذيع أو رجل السينما او التليفزيون . وانما هو تعبير موضوعى خالص بمعنى انه يقوم على الحقائق او الأرقام والاحصاءات أو عليها معا اذا لزم الحـــال .

عنـــاصر الاعـــلام :

١ ــ عنصر المرســـل .

٢ ــ عنصر المســـتقبل .

٣ ــ عنصر الأداة أو الوسيلة .

فالمرسل (بكسر السين) هو صاحب الرسالة الاعلامية . أو الجهة التى تصدر عنها هذه الرسالة . سواء كانت هـــذه الجهة هى الحكومة أو الشركة أو الهيئة أو النادى أو الفرد أو الجماعة .

والمستقبل (بكسر الباء) هو من توجه اليه الرسالة الاعلامية سواء كان فردا أم جماعة .

والأداة أو (الوسيلة) هى ما تؤدى به الرسالة الاعلامية ، سواء كانت هذه الأداة هى الصحيفة ، أو الاذاعة ، أو التليفزيون ، أو الخطبة ، أو المؤتمر ، أو الوكالة الخاصة بنشر الأنباء ، أو السوق ، أو المعرض ، الى آخر هذه الوسائل الاعلامية المعروفة ، كما سيأتى ذكر ذلك .

اثر عن اليونان انهم كانوا يقولون :

ان الأمة لا تقوى على المحافظة على حريتها اذا اتسعت اتساعا كبيرا يصعب معه اتصال الشعب كله بحكامه . ذلك انه يجب ان يجتمع النـــاس كلهم فى ساحة من الساحات العامة فى المدينة ، ويستمعوا الى أقوال قادتهم وزعمائهم . وبغير هـــذه الطريقة يصبح الشعب عاجزا عن الاطلاع على أحوال الحكومة ، عاجزا عن مراقبة الحكام .

وفى العصر الحديث لم يعـــد فى استطاعة الجماهير الغفيرة فى الأمم الكبيرة ان يجتمعوا بكامل هيئاتهم واعدادهم فى الساحات أو الميادين العامة كما كان الشأن فى روما او أثينا او فى مكة أو المدينـــة ، [illegible]

من هذه الجماهير اصبحت قادرة فى الوقت الحاضر على أن تجتمع كل صباح ومساء حول أعمدة الصحف ، أو أجهزة الراديو أو التليفزيون . ومن ثم كانت لهذه الوسائل الحديثة أهمية كبيرة ، وندع هذه الوسائل الحديثة مؤقتا لنتكلم أولا عن :

وسائل الاعلام القديمة :

سبق لنا كذلك فى الكتاب الذى سبقت الاشارة اليه أن استعرضنا على عجل وسائل الاعلام التى عرفها البشر الى يومنا هذا . والحق ان وسائل الاعلام التى عرفتها العصور المتقدمة لم تكد تخرج عما يلى :

الشائعات ، والحفر على الأحجار والأشجار والأعمدة المنصوبة فى المعابد أو الميادين العامة . وكان التجار الذين ينتقلون من مكان الى مكان يحملون معهم الأخبار ، كما كان المنادون الذين يتجولون فى عرض البلاد وطولها لنشر الأخبار ، واعلان أوامر الحاكم . كان جميع هؤلاء يعتبرون كذلك من وسائل الاعلام فى تلك الأزمنة . ويضاف الى جميع الوسائل المتقدمة وسيلة هامة ، هى وسيلة الاتصال الشخصى .

ثم ظهرت المطبعة فكانت هى الفاصل الحقيقى بين العصور القديمة والعصور الحديثة من حيث الاعلام . ذلك أن المطبعة أمدت العالم الحديث بوسائل اعلامية جديدة ، منها الكتب والنشرات ثم الصحف فى نهاية الأمر .

وسنتحدث — كما قلنا — أولا عن أهم وسائل الاعلام القديمة ، وننتقل منها بعد ذلك الى الكلام عن وسائل الاعلام الحديثة . فمن الوسائل القديمة ما يلى :

القصيدة الشعرية :

كانت القصيدة الشعرية أول ما عرفه العرب وغير العرب من وسائل الاعلام ، وكانت الأداة الوحيدة للتعبير عن رأى القبيلة فى العصر الجاهلى . فلما جاء الاسلام لعبت قصائد الشاعر الاسلامى « حسان بن ثابت » دورها فى مناصرة صاحب الدعوة . ثم فى عصر بنى أمية وجد ما يسمى « بالشعر السياسى » . وعلى الشعراء السياسيين من أمثال جرير والفرزدق والأخطل

والراعى/وذى الرمة اعتمد خلفاء بنى أمية فى كثير من قضاياهم السياسية . ثم فى العصر العباسى ظهرت عصبية من نوع آخر اسمها « الشعوبية » وحلت محل العصبية القبلية . وتحمس الشعراء الشعوبيون للأمم أو الأجناس التى ينتمون اليها . كما ظهرت فى العصر العباسى عصبيات من نوع ثالث ، هى العصبيات المذهبية : فهذه فرقة دينية تتعصب لمذهب أهل السنة ، وهذه فرقة دينية تتعصب لمذهب المعتزلة ، وهذه فرقة دينية تتعصب للشيعة أو لآل البيت . وكان من شعرائها الكميت ودعبل الخزاعى وديك الجن . ثم هذه فرقة دينية تتعصب للخوارج ، وكان من شعرائها وكتابها الطرماح . وهكذا كان لكل فرقة من هذه الفرق الدينية شعراؤها وخطباؤها والذائدون عنها ضد الفرق الدينية الأخرى .

ثم فى عهود الخلافة الفاطمية والسلطنة الأيوبية وعهد المماليك — وهى العهود التى شهدت الحروب الصليبية — كان للشعر المكان الأول فى ميادين الاعلام والدعاية . وبالشعر كما بالسيف نجح الفاطميون فى مصر . وبالشعر كما بالسيف نجح صلاح الدين وأولاده فى محاربة الصليبيين وفى التغلب عليهم .وطردهم من البلاد الاسلامية .

وبقيت للقصيدة الشعرية مكانتها ووظيفتها السياسية والاجتماعية والاعلامية والدعائية الى يومنا هذا . ففى كل حادث هام أو موقف من المواقف السياسية والاجتماعية الخطيرة نسمع صوت الشاعر الى جانب صوت الصحفى . وللباحث المختص أن يراجع القصائد الشعرية التى قيلت فى حادث تأميم قناة السويس وحادث جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وهذا كله فضلا عن القصائد الشعرية التى نظمها كل من شوقى وحافظ فى محاربة الاحتلال البريطانى منذ وطئت أقدامه أرض مصر الى أن قامت الثورة الشعبية الكبرى فى مصر سنة ١٩١٩ (١) .

---

(١) عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة فى مصر ، الجزء الأول خاصا (بالأدب والصحافة) ، الفصل الذي عنوانه « القصيدة الشعرية والصحافة المصرية » .

الخطبـــة :

اما الدور الذى لعبته الخطبة الدينية والخطبة السياسية فى مجال الاعــلام ومجال الدعاية فى تاريخ العــرب الدينى والسـياسى فلا يقــل فى خطورته عن دور القصيدة الشــعرية ما لم يكن أكبر منه . والخطبــة منذ ظهور الاسلام هى الوسيلة الأولى من وسائل الإعلام التى اعتمد عليها صاحب الدعوة — صلوات الله وسلامه عليــه — فى نشر الدين الجــديد وفى شرح المبــادىء التى نادى بهــا فى الجزيرة العربيــة .

واذا تركنا عهــد الرسول الى عهــد الخلفاء الراشدين واستمعنا الى خطب الامام على — كرم الله وجهه — وجدنا انفسنا أمام رجــل يمثل درجة عاليــة من درجات البلاغة العربيــة لم يبلغها خطيب اسلامى قبله ولا بعده : باستثناء صاحب الدعوة . وقد حدث الخلاف بين على ومعاوية فكان ذلك من الأسباب التى وصلت بخطب الامام على الى هذه الذروة .

ونترك عهد الخلفاء الراشدين الى الدولة الأموية فنجد انفسنا كذلك أمام خطباء من اشــهرهم رجلان هما زياد بن ابيــه والحجاج بن يوسف الثقفى . وكان كل منهما شــديد اللهجة فى مخاطبة العراقيين . كما كان أحدهما — وهو الحجاج — قد ادخل العنصر المسرحى فى خطبته . فحين أراد أن يخطب العراقيين صعد المنبر وهو ملثم بلثام ، وبقى على ذلك مدة أثار فى اثنائها عجب الحاضرين فى المسجد . وجرؤ بعضهم فقال للحاضرين أحصبه لكم ؟ وهنا حسر الحجاج اللثام عن وجهه وبدا خطبته المشهورة بقــوله :

أنا ابن جــــلا وطـــــلاع الثنــــايا

متى أضــــع العمــــامة تعــرفونى

فأخاف بذلك أهــل العــراق وألقى الرعب فى قلوبهم واستقامت له احــوالهم .

وتوالى الخطباء بعد الحجاج حتى جاء يوم صعد فيه بعضهم على المنبر وخاطب أهل العراق قائلا لهم :

... ألا انكم كنتم تلقبون كل واحد من أمرائكم بلقب تعرفونه به ، الا فاعلموا أن لى لقبا أحب أن أعرف به فأنا (الجزار) !!.

ثم نصل الى العهد العباسى فنجد الخطبة العباسية لا تقل فى منزلتها عن الخطبة الأموية ، ونجد القصيدة تعود اليها مكانتها القديمة . ومع هذا وذاك فقد كانت القصيدة والخطبة تتعاونان على القيام بوظائف الاعلام والدعاية للدولة العباسية على أحسن وجه .

وتسير بنا عجلة التاريخ الى عصر الحروب الصليبية فنرى الخطب الدينية السياسية قد بلغت أوجها فى اثارة المشاعر وتهييج الخواطر ، وفى التهيئة للحرب . فاذا كان النفير العام للقتال فهنا ينتشر الخطباء فى الجوامع الكبرى فى كل من القاهرة ودمشق أو القدس وذلك لتحميس الشعب العربى الاسلامى وتهيئته للجهاد فى سبيل الله . حتى اذا انتصر الجيش الاسلامى بقيادة نور الدين أو صلاح الدين تسابق الخطباء الى القاء الخطب التى كان أشهرها وأروعها اذ ذاك ما يلقى فى جامع المسجد الأقصى . كما نجد الشعراء فى نفس الوقت يتسابقون كذلك الى نظم القصائد فى تهنئة نور الدين أو صلاح الدين أو أبنائه ممن أبلوا بلاء حسنا فى محاربة الصليبيين . وقد عرفت القصائد التى نظمت فى تهنئة صلاح الدين بانتصاراته على الصليبيين فى يوم حطين باسم مشهور فى تاريخ الأدب العربى هو « القدسيات » (١) .

ثم تسير بنا عجلة التاريخ كذلك فتصل هذه المرة الى العصر الحديث ، الى عصر الثورات الشعبية التى قامت فى بعض بلاد الشرق الأوسط — ومنها على سبيل المثال — الثورة الشعبية الكبرى لمصر سنة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول . وفى هذه الثورة ظهر عدد من الخطباء السياسيين — وعلى رأسهم سعد زغلول — ما زالت خطبهم ترن فى آذاننا الى اليوم .

قيل عن سعد زغلول انه ذهب مرة الى حيث قتل أحد الشبان

---

(١) راجع كتاب الحروب الصليبية ، وكتاب صلاح الدين بطل حطين . وهما للمؤلف .

فى مظاهرة سياسية ، وحين وصل الى هناك غمس منديله فى دم القتيل . ثم نادى فى جمهور المتظاهرين قائلا : أتدرون من هو الذى يحمل وزر هذا الدم ؟ انه عـدلى يكن !.

وبهـذه الحركة المسرحية بلغ الخـوف ذروته فى قلوب العدليين من انصار عدلى . كما بلغت الجرأة مبلغها فى قلوب السعديين من انصار سـعد (١) .

وقل مثل هذا فى الثورات الشعبية التى قامت بها الأقطار العربيـة الأخرى ضد الاستعمار ومنها ـ على سبيل المثال ـ ثورة الشعب السورى ضد الاحتلال الفرنسى ، وثورة الشعب العراقى ضد الاستعمار البريطانى .

الحق ، ان الخطبة كانت ـ وستظل ـ أداة خطيرة من أدوات الاعلام لا يمكن الاستغناء عنها أو زحزحتها عن مكانتها الكبيرة بين الوسائل الاعلامية الأخـرى .

أتدرى ما هى الحكمة فى أهمية الخطبة السياسية باعتبارها وسيلة من وسائل الاعـلام ؟.

ان الحكمة فى ذلك هى حاجة الحكام فى كل زمان ومكان الى التحدث الى الشعب . بل ان الحكمة فى ذلك أن الخطبـة تعتبر مظهرا من مظاهر الاتصال الشخصى الذى هو أخطر وسائل الاعلام قديما وحديثا (١) .

ذلك ان من أبرز السـمات التى تتسم بهـا المجتمعات الحديثـة أن الحكام مسوقون فيها الى الكلام ، مضطرون الى شرح نياتهم ، وبيان اعمالهم . ولا يملكون أن يضربوا صفحا عن تبرير مسلكهم ... وكل سياسة فى عصرنا انما هى حوار لا نهاية له بين الحاكم والمحكوم .

« على أن السمة الحوارية لا تقتصر على القرن الذى نعيش فيـه ،

---

(١) محمد حسين هيـكل ، مذكرات فى السياسة المصرية (بتصرف) ص ٢٢٢ .

(٢) فى خاتمة هـذا الكتاب اشارة الى (الاتصال الشخصى) باعتباره وسـيلة اعلاميـة .

فما من سياسة حفلت بالمحاورات أكثر مما حفلت به السياسة الأثينية القديمة . وقد احتفظت بآثارها فى مؤلفات أفلاطون . وما من مؤرخ وضع خطبة مشحونة بكثير من المعانى أكثر من توسيديدوس ...

« غير أن لحوار المجتمعات الحديثة مع ذلك شيئا تختص به ، وهو أن كلام الحكام يتجه من الآن فصاعدا الى الناس كافة » وذلك بالطبع عن طريق الخطب التى يلقيها القادة على عدد من أفراد الشعب . ثم تتولى الصحف والاذاعة نشر هذه الخطب على بقية أفراد الشعب . وبذلك جنحت المجتمعات الحديثة الى توسيع الحوار السياسى حتى شمل الناس كلهم . وبهذه الطريقة تنجح المجتمعات الحديثة فى اعطاء « المواطنة » صفة شاملة وتجعل فى نهاية المطاف جميع أعضاء الجماعة مواطنين ذوى فعالية » (١) .

المنادى :

كان النداء وسيلة لنشر الأخبار فى العصور القديمة . وما زال الى اليوم فى بعض البلاد العربية كسوريا وغيرها . وشهد الناس فى تلك العصور القديمة (المنادى) وهو يتجول فى المدينة عرضا وطولا . وكثيرا ما كان للمدينة الواحدة منادون كثيرون فى وقت واحد . واستمرت هذه العادة فى بعض البلاد العربية الى منتصف القرن العشرين بالرغم من وجود الصحف والراديو وغيرها من وسائل الاعلام .

وقد كان يعهد الى المنادى باذاعة الأوامر الحكومية وبعض قوانين الدولة وبعض الأخبار العسكرية . وكان على المنادى أن ينبىء عن وصول الحاكم الجديد للاقليم أو الولاية . كان يعهد للمنادى كذلك اذاعة المواعيد التى حددتها الحكومة للأعياد الدينية ونحوها . كما كان على المنادى كذلك أن يذيع نبأ وفاة عظيم من عظماء الدولة . وكان عليه ان يخبر بوصول السفن الحربية ورحيلها عن الموانىء العربية .

ومثل طريقة (المنادى) وجدنا طريقة أخرى للاعلام وهى طريقة

---

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة — ص ٣٣٦ (بتصرف)

(المآذن) ، ومن اعلاها كان المؤذن ينشر خبر وفاة أمير من الامراء أو كبير من الكبراء ، أو قائد حربى له شهرته فى ميادين القتال ، أو زاهد متصوف كبير من الزهاد والصوفية . وكان على المؤذن أن ينوه بشيء من كراماته . وكان عليه فى كل حالة من هذه الحالات أن يشيد بمناقب الفقيد ، وذلك بعد الفراغ من تسبيح الله وحمده والسلام على نبيه .

ولعل أخطر ما كان يقوم به المنادون فى العصور القديمة انهم كانوا ينادون بالنفير العام « التعبئة العامة » أو الدعوة للقتال اذا لزم الأمر ذلك . وفى هذه الحالة يذيع المنادون (أو المؤذنون فى المساجد) بعض الأحاديث النبوية الشريفة فى موضوع الجهـــاد فى سبيل الله .

الحق — لقد كانت للمنادى وظيفة اعلامية بالغة الأهمية فى العصور القديمة ، ولم يكن بالامكان الاستغناء عنه فى بيئة من البيئات العربية بحال ما .

البعثـــــــات :

ولا نستطيع أن نترك الحديث عن وسائل الاعـــلام القديمـــة دون أن نذكر هذه الوسيلة التى عرفها القدماء منذ ظهور الاسلام ، واعتمد عليها صاحب الدعوة اعتمادا كبيرا . ونعنى بهذه الوسيلة الأخيرة « البعثات » . ومن أوضح الأمثلة عليهـــا بعثات الرســـول صلوات الله عليـــه وسلامه الى النجاشى ملك الحبشة والى كسرى ملك الفرس . وقد كانت هذه البعثات النبوية حركة اعلامية من أخطر ما عرف التـــاريخ ، وهى من اجـــل ذلك تستحق دراسة خاصة من جانب العارفين معرفة جيدة بالتاريخ الاسلامى والثقـــافة الاســـــــلامية .

ان مما لا شـــك فيـــه أن الاســـلام كان ثورة من اعظم الثـــورات التى تعرض لهـــا تاريخ البشرية ان لم تكن أعظمها على وجه الاطلاق . ومما لا شك فيه أن هذه الثورة كانت بحاجة كبيرة الى جهود عظيمة فى ميدان الاعلام والدعاية ، غـــير أن الاســـلام لم يعرف فى أية مرحلة من مراحله التاريخية لفظ « الدعاية » ، وانما كان يعرف لفظا واحـــدا فقط هو لفظ « الدعوة الاسلامية » . وكان المسلمون الأولون ينشرون هـــذه الدعوة بطريقتين لا ثالث لهما ، هما طريق السيف من جهـــة ، وطريق الاقتنـــاع

بصوره المختلفة من جهة ثانية . وكانت البعثات النبوية صورة من الصور التى اعتمد عليها نشر الدعوة الاسلامية . ولذلك عنى بها صاحب الرسالة ، واختار لهـا كبار الصحابة .

وفى رأينا — والقياس هنا مع الفارق البعيد — أن الزيارات الرسمية وغير الرسمية مما نعرفه من وسائل الاعلام الحديثة تعتبر شكلا من اشكال البعثات . وان كان القياس هنا مع الفارق البعيد كما قلنا .

ومن الأمثلة عليهـا الزيارات التى دبرتها جامعـة الدول العربيـة الى منطقـة الخليج العربى عام ١٩٦٤ للتحدث مع رؤساء العشائر .. وسنعود بعد قليل الى الحديث عن الزيارات كوسيلة من وسـائل الاعلام الحديثـة .

ترى لماذا ضربنا المثل هنـا بالقصيدة والخطبة والمنـاداة والبعثات من وسائل الاعلام القديمة بالذات واكتفينا بذلك ؟.

ليس لهذا من سبب فى الواقع سوى أن الكتب التى تتحدث عن الاعلام الى وقتنا هذا تغفل النظر فى هذه الوسائل الأربع المتقدمة . ولم تبدأ العناية بعد بالاعلام الاسلامى بالمعنى الصحيح كما يمكن أن نفهمه من خلال الكتب التاريخيـة الاسلاميـة لمؤرخين معروفين من أمثـال الطبرى وابن الأثير وأبى شامة (صاحب كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية) وغيرهم . أما بقية الوسائل الاعلامية القديمة كالكتاب والمناظرة والنـدوة فقد بحثها الدارسون أو أشاروا اليها (١) . فننتقل من ذلك الى الكلام عن :

وسائل الاعـلام الحديثـة :

كانت المطبعة بحق هى الفاصل الحقيقى — كما قلنا — بين العصور القديمة والعصور الحديثة من حيث الاعلام . أو بمعنى آخر كانت المطبعة ثورة حقيقية نقلت الاعلام كله من طور الى طور .

---

(١) انظر كتاب (الاعلام . له تاريخه وتراجمه) للمؤلف . الفصل الثانى بعنوان : تحليل وسائل الاعلام .

ثم بدأت الثورة الثانية من ثورات الاعلام بظهور أداة جديدة من أدواته ونعنى بها (وكالات الأنباء) . وأخيرا حدثت الثورة الثالثة والأخيرة فى مجالات الاعلام بظهور المخترعات الحديثة . ومنها السينما والراديو والتليفزيون . ولا ندرى ماذا يخبىء لنا المستقبل من وسائل الاعلام فوق ما أشرنا اليه .

من أجل ذلك نقف أمام الوسائل الآتية وهى :

١ — الصحافة .

٢ — وكالات الأنباء .

٣ — الراديو .

٤ — التليفزيون .

٥ — السينما .

ونضيف الى الوسائل السابقة ما يلى :

٦ — المعرض .

٧ — المؤتمرات الصحفية .

٨ — الزيارات الرسمية وغير الرسمية .

وأخيرا نقف فى نهاية المطاف عند وسيلة اعلامية ظهر خطرها منذ أوائل هذا القرن ونعنى بها :

العلاقات العامة :

والمقصود بها فن الاتصال بالجماهير التى تعنى بها مؤسسة من المؤسسات الأهلية ، أو مصنع من المصانع الكبيرة المعروفة ، أو هيئة أو دائرة من الهيئات أو الدوائر التى تتألف منها الحكومة ، أو جمعية من الجمعيات تهدف الى جلب الخير لعدد كبير من أفراد المجتمع ونحو ذلك .

يجدر بنا الآن أن نقف وقفات قصيرة عند كل واحدة من هذه الأدوات الاعلامية الحديثة . ولكن ليس معنى ذلك أن العصر الحديث لا يعرف غير هذه الأدوات . كلا — فهناك الكتاب والندوة والمسرح والتليفزيون (أو الكتابة اللاسلكية للأخبار) وغير ذلك .

الصــحافة :

لماذا يقرأ الناس الصحف فى أغلب الأحيان ؟ انهم يقرءونها للاطلاع على ما فيها من أخبار بدافع الرغبة فى الوقوف على أحوال العالم المحيط بهم . ويقرءونها كذلك للاطلاع على أخبار العلوم والمخترعات بدافع الرغبة فى حب الاستطلاع . ويقرءونها أيضا لمعرفة القضايا التى يتحدث عنها الرأى العام ولكى يكونوا على اتصال بالمناقشات اليومية التى تدور حول هذه القضايا ، ويقرأ الناس الصحف آخر الأمر لمجرد التسلية والامتاع بما فيها من طرائف خبرية ، ونوادر أدبية ونحو ذلك .

تلك هى الأغراض التى من اجلها يقرأ المواطنون فى كل بقعة من بقاع الأرض ما لديهم من الصحف . أما الأغراض التى تهدف اليهــا الحكومات أو الدول من وراء الصحف فتظهر من أن الحكومات الرأسمالية كالحكومات الاشتراكية تتخذ من الصحافة سلاحا قويا للدفاع عن أفكارها السياسية التى تميزها عن الحكومات الأخرى .

وفى ذلك يقول أحد زعماء المذهب الشيوعى — وهو هنا خروشوف : « الصحافة هى سلاحنا الفكرى الأيديولوجى الرئيسى ، ونحن نوجب عليها أن تنكل بخصوم الطبقة العاملة وأعداء العاملين جميعا فى المجتمع الشيوعى . واذا كان الجيش لا غنى له فى القتال عن السلاح فكذلك (الحزب الشيوعى الواحد) لا يستطيع أن يقوم بأعماله فى الميدان الفــكرى أو الأيديولوجى بغير ســلاح الصحافة » .

وللصحافة الحديثة مشكلاتها العديدة . غير أن جميع هذه المشكلات انها تنبع من شىء واحــد فقط هو ما يسمى « بحرية الصحافة » فالواقع أن الصحف فى أية بقعة من بقاع العالم الحديث لا تستمتع بحريتها الكاملة فى نقد الحكومة أو المجتمع . وان كانت الحرية الصحفية فى الدول الرأسمالية أظهر منها فى الدول الاشتراكية .

وهناك فرق بين المطالب التى يضغط الشعب بهــا على الصحف ، والمطالب التى تضغط بها الحكومة على هذه الصحف . فالقراء ، لا يضغطون على الصحف الا من ناحية واحدة فقط هى رغبتهم فى تنويع المواد التى تقدمها

الصحف . وفى هذا السبيل تشقى الصحف شقاء كبيرا لاشـــباع رغبات الجماهير . أما الحكومات فانهـــا تضغط على الصحف لأغراض سياسية وأخرى ذاتية أو شخصية . ومن أجل ذلك وجدنا الأستاذ هارولد لاسكى فيلسوف حزب العمال البريطانى ينصـــح طلبـــة الصحافة فى مقدمة كتابه (الصحافة والشؤون العالمية) بالنصائح الأربع الآتية :

أولا — يجب عليـــكم أن تدركوا تمام الادراك انه لا توجـــد حكومة فى العالم لا تعمل على توجيه الأنباء الوجهة التى تخدم مصالحها .

ثانيا — يجب أن تدركوا كذلك أن هناك هيئات كثيرة تعمل فى جمـــع الأنباء وتحاول تلوين بعضها باللون الذى تمليه عليهـــا الأهواء والأغراض والتحيزات ونحـــو ذلك .

ثالثا — يجب أن تدركوا كذلك أن المراسل الخارجى — وهو رجـــل له وزنه الخاص للأمور — كثيرا ما تضطره الظروف الى تلوين الأخبـــار التى يبعث بها الى صحيفة وتحريفها كذلك .

رابعا — يجب عليكم أن تدركوا تماما أن هيئة التحرير فى كل صحيفة بحجة السياسة التى تتميز بها عن بعض الصحف الأخرى تقوم باختيـــار الأخبار على أساس الهوى والغرض . ثم تقوم بتحرير هذه الأخبار بطريقة تتفق وهـــذه السياسة .

نخلص من ذلك كله الى أن الحرية الصحفية لا وجود لها فى الوقت الحاضر . كما نخلص من ذلك ايضا الى أن هذه الحرية الصحفية لو صح أنها وجدت فى صحافة اليوم فانها تكون مهددة بأخطار كثيرة ، منها ما يأتى من جانب الحكومة ، ومنها ما يأتى من جانب الصحف ذاتها ، وأقلها وأيسرها خطرا ما كان من جانب الجمهور القارىء . وقد قلنـــا أن هـــذا الجمهور القارىء قلما يطلب شيئا أكثر من تنويع المادة الصحفية ذاتهـــا .

لهذا السبب ولأسباب كثيرة أخرى سبق لنـــا أن ناقشناها فى كتاب (أزمة الضمير الصحفى) قلنا ان الشك أخذ يدب فى صدور القراء من ناحية الصحف وذلك عقب الحرب العالمية الثانية . ويقال ان نجاح الرئيس روزفلت

فى انتخابات الرئاسة بين عامى ١٩٣٢ — ١٩٤٤ كان دليلا على أزمة الثقة بين الشعب والصحافة . فقد ظهر أن ٨٠٪ من الصحف الأمريكية جاهرت بعدائها لروزفلت غير أنها كانت فى ذلك غير معبرة عن اتجاهات الشعب الأمريكى الذى أصر على انتخاب روزفلت .

ولكن هل معنى ذلك أن الصحافة لا تعتبر وسيلة ناجحة من وسائل الاعلام والتأثير فى الرأى العام ؟ كلا — فاننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نستغنى عن الصحف والحريصون منا على معرفة الحقيقــة يوجبون على أنفسهم أن يقرأوا عدة صحف فى وقت واحد . ذلك أن دواء الصحف فى دائها غالبا . والخطأ الذى تقع فيه صحيفة من الصحف تصلحه صحيفة أخرى . والصواب دائما يقع بين طرفين . وهذا هو شأننا كذلك مع الراديو . فان الاستماع الى اذاعة واحدة لا يأتى بنفس النتيجة التى تكون بالاستماع الى عدة اذاعات فى آن واحد .

ان الصحافة هى منبر الرأى العام — لا جدال فى ذلك . والصحافة هى أقدر وسيلة من وسائل الاعــلام على مناقشة الآراء والمسائل العــامة فى كل مجتمع . ومن الحقائق التى نؤمن بها كذلك تلك الحقيقة التى تقول « ان لكل مجتمع صحافته التى يستحقها » .

والصحافة فى ذاتهــا صناعة وتجارة ورســالة . وهى جزء هام من الجهاز السياسى لكل دولة . وهى فى الوقت نفسه أداة هامة فى بناء المجتمعات ، ومقياس لحضارة الأمم على اختلافها . والصحافة مسؤولة كذلك عن تثقيف الجماهير ، مسؤولة عن الأخلاق العامة للمواطنين ، مسؤولة فى نهاية الأمر عن السلام العالمى ، وقادرة على تحقيقه متى خلصت النية فى ذلك .

بل ان الصحافة فى نظر المفكرين هى المسؤولة عن مستوى المعيشة فى البلاد التى تصدر فيها ، مسؤولة عن الأمراض التى تعانى منها هذه البلاد .

(والخلاصة) ان الصحافة ليست مهنة فحسب ، وانما هى حيــاة

أيضا . فالذى يختار الصحافة لا يختار مهنة للكسب فقط ولكنه يختار حياة كلها جهاد وكفاح من أجل المجتمع (١) .

من هنا جاءت أهمية الصحافة . ومن هنا كانت لها هيبتها فى المجتمع تلك الهيبة التى عبر عنها نابليون حين قال « اننى أرهب صرير الأقلام أكثر مما أرهب دوى المدافع » . وفى ذلك يقول السياسى الكبير مترنيخ « ان نابليون مدين للصحافة بجيش قوامه ثلثمائة ألف جندى على الأقل » (٢)

وكالات الأنبــاء :

حدثتنا الكتب أن تاريخ وكالات الأنبــاء انما يرجع الى سنة ١٨٣٥ وهى السنة التى ولدت فيها وكالة أنباء هافاس .

وهافاس هذا شاب فرنسى أنشأ له مكتبا فى باريس لجمع الأنباء . واضطره ذلك الى أن يقوم برحلة كبيرة زار فيهــا أكثر العواصم الكبرى فى القارة الأوربية . وتعاقد مع مراسلين له فى كل عاصمة من هذه العواصم . وكانت الطرق التى اعتمد عليهــا فى توصيل الأخبــار الى مكتبه الأصلى فى باريس لا تكاد تتجاوز البريد ، والحمام الزاجل ، والأشــخاص الذين يبعث بهم هافاس الى تلك البلاد لكى يجمعوا بأنفسهم الأخبار ثم يعودوا الى هذا المكتب الرئيسى فى مدينة باريس حيث يقومون بصياغة هذه الأخبار ثم توزيعها على المشتركين ورجال السلك الدبلوماسى وكبار التجار ورجال المــال وغــيرهم .

« والغريب أن الصحف فى ذلك الوقت حين عرض عليهــا هافاس أن يمدها بالأخبار قابلت ذلك بالرفض التام . وحجتها فى ذلك أن المقــال كانت له السيادة العظمى على الصحف حينذاك (٣) .

ولم تمض أكثر من سنة واحدة على هذا الوضع حتى أدركت الصحف انها اخطأت فى ذلك . ومال القراء الى الأخبار . وكان على الصحف ان تشبع

---

(١) عبد اللطيف حمزة : أزمة الضمير الصحفى ، ص ٢٥ — ٣١ .
(٢) الصحفى المحترف لجون هوهنبرج ترجمة فؤاد مويسانى . ص ٦ .
(٣) اليونسكو ، الكتاب الخاص بوكالات الأنباء ، ط — باريس ١٩٥٤ .

ميولهم من هذه الناحية . وهكذا استطاع هافاس فى زمن يسير أن يحقق بوسيلته هذه توثيق الروابط بين باريس ولندن وبروكسل وروما وفينا ومدريد وكثير من المدن الألمانية الكبيرة .

وكالات الأنباء العالمية :

المعروف أن هذه الوكالات العالمية ست الى الآن ، وهى :

١ — وكالة فرانس أجنس الفرنسية (هافاس سابقا) .

٢ — وكالة رويتر الانجليزية .

٣ — وكالة تاس السوفيتية .

٤ — وكالة الأسوشيتدبريس الأمريكية .

٥ — وكالة اليونايتدبريس الأمريكية أيضا .

٦ — وكالة الأنترناشيونال نيوز سرفيس الأمريكية كذلك .

وهناك حقيقة هامة لا ينبغى أن يغفل عنها رجال الاعلام . وهى أن جميع الوكالات العالمية للأنباء تترك اثرها واضحا فى توجيه الرأى العام العالمى . ومن المستحيل فى الواقع أن تكون هذه الوكالات العالمية محايدة فى عرض الأنباء . وذلك ما دعا الى انشاء وكالات الأنباء المحلية ومنها (وكالة انباء الشرق الأوسط) فى الجمهورية العربية المتحدة وذلك فى شهر يناير ١٩٥٦ . والقت الحكومة على هذه الوكالة طائفة كبيرة من المسؤوليات بما يتفق والمجتمع الجديد الذى تحاول حكومة الثورة أن تتولى بناءه على أساس من الاشتراكية الديمقراطية التعاونية (١) .

ومهما يكن من شىء فان الفرق عظيم بين الوكالة العالمية والوكالة المحلية التى ضربنا لها مثلا بوكالة الشرق الأوسط . ويتمثل هذا الفرق فى ضخامة الخدمات الأعلامية التى تقدمها الوكالة العالمية وفى المدى البعيد

---

(١) ليرجع القارىء متى أراد الى كتاب : الاعلام والتحول الاشتراكى للدكتور مختار التهامى ، المدرس بقسم الصحافة بجامعة القاهرة .

الذى يمتد توزيعها ، وفى عدد العملاء الذين يشتركون فى هــذه الوكالة ، وفيما تملكه من تســهيلات فى وسائل الارســـال والاتصـــال ونحو ذلك . على حين أن نشاط الوكالة المحلية ينحصر أو يكاد فى نطاق البلد الذى تصدر فيه هــذه الوكالة . وان كان بعض هذه الوكالات المحليــة يوزع نشرات منتظمة ومحدودة فى الخارج تستهدف خدمة المواطنين المقيمين فى البــلاد الأجنبية . ولكنه لا سبيل الى مقارنتها بالنشرات الاخبارية التى تصدرها الوكالات العالميــة (١) .

ومع ما تملك هذه الوكالات العالمية من هذه الميزات التى أشرنا اليها فان لها خطرا كبيرا يهدد الاعلام كله فى البلاد العميلة . ونعنى التى تصل اليها أخبار هذه الوكالات . وذلك لعدم استطاعة هــذه الوكالات العالمية — كما قدمنا — اتباع الحيدة فى نشر الأخبار وصياغتها وشأن الوكالة فى ذلك تماما شأن الصحف كما سبق القول فى هذه القضية .

وربما كان الدواء الوحيد الذى تعالج به هــذه المشكلة فى الاقتراح الذى سبق أن اقترحناه فى كتابنا « مستقبل الصحافة » وخلاصته أنه لابد من انشاء (وكالة أنباء عالمية) تابعة تبعية مباشرة لمنظمة « الأمم المتحدة » . والمفروض فى هذه الوكالة المقترحة هو انها تلتزم الحيدة فى نشر الأخبار ، سعيا وراء نشر السلام والرفاهية فى شعوب الأرض ، وتبنى خطتها الاخبارية على هذه الأسس وحدها دون غيرها .

وكما أن الصحافة مسؤولة عن واجبــات كثيرة منها حفظ الســـلام فى العالم فكذلك يجب أن تكون وكالات الأنباء لها نفس الهدف . خـــذ لذلك هــذا المثــل (٢) :

« حين حدثت أزمة الحــدود بين مصر والسودان منـــذ اعوام قليلة أذاعت وكالة رويتر الانجليزية برقية فى الهزيع الأخــير من الليل مؤداها

---

(١) راجع فيل اولت : الأخبار ليلا ونهارا ، ترجمة أحمد قاسم جودة . ص ٥ .

(٢) عبد اللطيف حمزة : أزمة الضمير الصحفى ، ص ١٦٣ .

أن الجيش المصرى غزا السودان . وكانت وكالة رويتر هى الوكالة الوحيدة التى انفردت بنشر هذا الخبر واختارت له توقيتا معينا هو الهزيع الأخير من الليل لكى تنشره الصحف السودانية قبل أن يتاح لها الوقت الكافى للتحقق من وقوع هذا الغزو أو عدم وقوعه . وكان قصد الوكالة الانجليزية من ذلك خلق حالة من التوتر أوحت بها الأوساط الانجليزية فى تلك الفترة .

لا شك أن فى هـــذا مثلا صارخا من الأخبار الزائدة التى يراد بهـــا افساد العلاقات بين قطرين شقيقين يعيشان على نهر واحد وثقافة واحدة .

الاذاعـــة :

الى ماركونى ثم اديسون من بعده يرجع الفضل فى اختراع الراديو . وبعـــد الحرب العالمية الأولى انشأت شركة ماركونى مع (الديلى ميل) فى لنـــدن محطة ارسال أذيعت منها حفلات موسيقية استمع لهـــا الشعب الانجليزى لأول مرة . غير أن هـــذه المحطة الاذاعية لم تستطع أن تشمل الجزيرة البريطانية كلها فى ذلك الوقت . ثم تقدمت هذه الاذاعة الانجليزية شيئا فشيئا حتى أصبحت تسمع فى باريس وايطاليا والنرويج وسفن المحيط الأطلسى بســـهولة .

وفى سنة ١٩٢٠ أنشأت بعض الشركات الأمريكية محطة اذاعة كبرى بالولايات المتحدة . وكانت قد سبقتها الى الوجود محطة اذاعة فى موسكو . استطاعت الاذاعة الأمريكية أن تعلن نتيجة انتخاب السيد (وارن هاردنج) رئيسا للجمهورية . وكان ذلك أول انتصار للاذاعة على الصحافة فى نقل الأخبار العامة . فقد قيل ان الاذاعة سبقت الصحافة فى ليلة الانتخاب . وشجع هذا النجاح شركات كثيرة على انشاء محطات اذاعية بلغ عددها اربع محطات ارسال سنة ١٩٢١ ، وتسعا وعشرين محطة عام ١٩٢٢ ، وثلثمائة واثنتين وثمانين محطة سنة ١٩٣٧ .

وبين الحربين العالميتين الأولى والثانيـــة ادخلت تحسينات كثيرة على الاذاعة فى كل من أوربا وامريكا ، وتنوعت البرامج فى هـــذه المحطات تنوعا كبيرا . وكان من بينها البرامج التمثيلية . ومنذ ذلك الوقت أصبح للاذاعة خطرها البالغ فى مجال الاعلام . وما زال لها هذا الشأن الى اليوم .

والمهم أن الراديو يعتبر من اقوى أجهزة الاعلام فى الوقت الحاضر لانه غير محدود بحدود الاقليم الذى يوجد فيه . على حين أن التليفزيون ما زال محدودا بالحدود الاقليمية الضيقة الى اليوم . وفى كلامنا عن الرأى العام اشرنا الى الاذاعة والى اختلاف أنظمتها وبرامجها باختلاف الحكومات والشعوب . فللاذاعة الانجليزية نظـــام ، وللاذاعة الألمانية نظام آخر ، وللاذاعة السوفيتية نظام ثالث وهكذا .

ذلك أن الدول الأوربية الكبرى — وخاصة بعـــد الحرب العالميـــة الثانية — اتجهت الى الأخذ بنظام الاذاعة الرسمية . اى أن الاذاعة فى هذه الدول اعتبرت جهازا من أجهزة الحكومة . ولها — اى للحكومة — ان توجه هـــذه الاذاعة كما تشـــاء .

التليفـــزيون :

منـــذ عـــام ١٩٣٠ بدات الدول الكبرى ومن اولاها أميركا وانجلترا وفرنسا والمانيـــا والاتحاد السوفيتى طائفـــة من التجارب التى ساعدت على ظهور التليفزيون . وفى عام ١٩٣٦ كانت انجلترا أولى الدول فى تقديم برامج تليفزيونية بصورة منتظمة . وتبعتها الولايات المتحـــدة الأميركية . وفى عام ١٩٣٨ انتشر جهاز التليفزيون فى اكثر المنازل فى أميركا . ومنذ بداية الحرب العالمية الثانية حتى سنة ١٩٤٥ خضع جهـــاز التليفزيون لتطورات كثيرة وخطيرة . وفى سنة ١٩٤٨ أصبح عدد محطات التليفزيون فى أميركا أربعا وعشرين محطة تقوم بالارسال من احدى وخمسين مدينة من المدن الكبيرة . ثم ارتفع عـــدد المحطات التليفزيونية فى أميركا فى ســـنة ١٩٥٨ الى خمسمائة وتسع وعشرين محطـــة . وفى نهاية هـــذه السنة المذكورة بلغ عدد محطات التليفزيون فى الاتحاد السوفيتى ثلاثا وستين .

وكما تدخلت الحكومة فى الاذاعة وسيطرت عليهـــا ، فكذلك فعلت الحكومات بمحطات الارسال التليفزيونى . وفى ذلك ما يدل على القيمـــة الكبيرة لهـــذا الجهـــاز من الناحية الاعلامية الخالصة .

ولأن التليفزيون وسيلة محليـــة ومحدودة بحدود الاقليم كما سبقت الاشارة الى ذلك ، فقد فكرت الحكومات والشعوب فى علاج لهذه الحالة .

وذلك عن طريق تبادل البرامج التليفزيونية . سواء كانت هـذه البرامج اخبارية أو تعليمية أو تمثيلية أو غنائية ، ولهذه الغاية انشىء اتحاد أوربى للاذاعات سنة ١٩٥٧ باسم (الأوروفيزيون) يضم اثنتى عشرة دولة أوربية هى : المانيا والنمسا وبلجيكا والدانمارك وفرنسا وايطاليا ولوكسمبرج وموناكو وهولندا وانجلترا والسويد وسويسرا ، ويعمل (الأوروفيزيون) تحت اشراف لجنة البرامج التابعة للاتحاد الأوربى للاذاعات ، ومقر هـذه اللجنة مدينة جنيف وتعمل هذه اللجنة على الشكل التـالى :

ترسل كل محطة من محطات الدول المذكورة برامجهـا التليفزيونية التى أنتجتها الى مركز لجنة البرامج وهى اللجنة التى تستقبل هذه البرامج وترسلها الى الدول الأعضـاء لتأخـذ علما بنوعيتهـا وموضوعاتهـا . ثم تجمـع الأجوبة التى ترد الى اللجنـة من هـذه الدول حول البرامج التى تفضلها الدولة على غيرها ، وحول اللغة التى تستعمل فى هذه البرامج عند تقديمها ... الخ (١) .

وفى البلاد العربية فى الوقت الحاضر تعاون وثيق بين محطات الاذاعة والتليفزيون على اختلافها . فنجد هـذه المحطات كثيرا ما تتبادل البرامج الاذاعية والتليفزيونية فيما بينها بصورة قوية .

وفى شـهر سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٦٤ عقد مؤتمر خاص بتطوير التليفزيون فى القارة الافريقية . وقامت هيئـة (اليونسكو) بتنظيم هـذا المؤتمر فى (لاجوس) . وحضر المؤتمر طائفة من الخبراء العالميين . وانتهى الى عدد من التوصيات المهمة رأيت من الخـير أن الحقهـا بهـذا الكتاب فى نهايتـه (٢) .

وكان من بين هذه التوصيات على سبيل المثال ما يلى : « لكى نصـل الى تفاهم أوثق وتعاطف اشد بين الشعوب الافريقية لابد للهيئات الاذاعية

---

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة ، ص ١٨٨ — ١٨٩ .
(٢) وقد سبقنا إلى ذلك الدكتور مختار التهامي فى كتابه « الاعلام والتحول الاشتراكى » س

الافريقية أن تقوم بتنظيم تبادل دورى للبرامج فيما بينها . ولابد لهذه البرامج المتبادلة أن تصور الثقافة تصويرا صادقا ، وتصور طريقة الحياة فى تلك البلاد والخصائص المميزة لهـــا » .

ومن هـــذه التوصيات كذلك :

« يوصى المؤتمر بانشاء مجالس قومية استشارية للتليفزيون ويجب أن تحظى هذه المجالس باهتمام الهيئات التليفزيونية الأفريقية على اختلافها . وذلك باعتبارها وسيلة لزيادة التحسين فى فاعلية هذه الهيئات وقوة تأثيرها وعظم وقعهـــا فى نفوس المشاهدين من اهل تلك البلاد .

« ويتعين أن تتضمن هذه المجالس الاستشارية بالاضافة الى ممثلين عن الخدمات الاذاعية والتليفزيونية القومية قادة من جميع قطاعات الحياة ، ولا سيما المهيمنين منهم على مجالات التربية والاعلام على أن تأخذ هـــذه المجالس الاستشارية فى اعتبارها جميع المسؤوليات التربوية والاجتماعية والثقافية لهيئة التليفزيون صاحبة الشأن » .

الســـــينما :

الى (أديســـون) يرجع الفضـــل الأول كذلك فى اختراع الصـــور المتحركة . وقد استطاع (روبرت هول) بعـــد ذلك أن يدخل تحسينات على آلة العرض للصور المتحركة نفسها وعلى عرض هذه الصور من أبعاد كبيرة دون أن يؤثر ذلك شيئا فى وضوح الصور على الشاشة . ثم فى عام ١٨٩٥ استطاع العالمان الفرنسيان (لويس وأوجست لوميرا) أن يصنعا آلة جـــديدة للعرض . وعرضا بها على الجمهور الفرنسى لأول مرة فيلما طوله خمسون قدما . وكان هذا بحق اول ميلاد السينما .

ثم جاء (شارل باتيه) من فرنسا فتقدم بهذه الصناعة اشواطا بعيدة حققت أرباحا مذهلة فى الحقيقة ، ومنذ ذلك الوقت انتشرت السينما فى ربوع أوربا وأميركا .

وبعد عام ١٩٠٣ انتشرت الأفلام الاخبارية واحتاجت الى مجهودات كالتى تبذلها وكالات الأنباء سواء بسواء . ثم ظهرت الأفلام الروائية .

وفى روسيا السوفيتية أصبحت السينما — على حـــد تعبير لينين —

أهم الفنون التى تستعين بها الدولة فى نشر مذهبها . وهناك فى تلك البلاد ما يسمى بـ (الجريدة السينمائية) . وهى عبارة عن ملحق لصحيفة (برافدا) . وهكذا أصبحت السينما السوفيتية فى نهاية الأمر كما سبق أن أشرنا الى ذلك — واسطة للثقافة ، وهى كذلك فن ديمقراطى شعبى بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، وظيفته الأولى التعبير عن الأفكار والعواطف والرغبات التى تجيش فى نفوس الملايين من الشعب السوفيتى .

وفى أمريكا وبعد الحرب العالمية الأولى تقدمت هذه الصناعة تقدما متزايدا سمحت به القدرات الاقتصادية والاجتماعية التى توفرت للولايات المتحدة ولم تتوفر لغيرها . وبعد الحرب العالمية الأولى بنحو عشر سنوات بلغت الأفلام الأمريكية درجة من القوة اكتسحت بها جميع الأفلام الأوربية . وكانت الفترة من عام ١٩١٩ الى ما قبل صناعة الأفلام الناطقة هى للأفلام الصامتة فى أمريكا (١) .

وقد سبق لنا فى الباب الخاص بالراى العام أن تحدثنا عن اثر السينما من ناحيتين هما تكوين الراى العام من جهة ، ونشر الثقافة من جهة ثانية ، فلسنا بحاجة الى تكرار ما قلناه .

المعرض :

وهو من أنفع الوسائل الاعلامية فى الوقت الحاضر . لأنه ليس وسيلة من وسائل اللهو والتسلية وقضاء أوقات الفراغ بقدر ما هو وسيلة اقتصادية ناجحة للتعريف بشتى وجوه الحياة فى الأرض التى يقام عليها . والمعرض فى ذلك شأنه كشأن السوق فى العصور القديمة حين كانت تجمع بين المعروضات المادية والمعروضات الفكرية كالشعر والخطب ونحو ذلك ، وان كانت هذه المعروضات الفكرية قلما توجد فى المعارض الاقليمية بقدر ما توجد فى المعارض الدولية . وقد التفت الاعلاميون المحدثون الى هذه الظاهرة القديمة — وهى الجمع بين المعروضات المادية والمعروضات الفكرية ، مثال ذلك :

---

(١) المصدر المتقدم ، ص ٣٣٣ .

حدث فى معرض نيويورك الدولى أن عرضت (الأردن) فى الجناح الخاص بها لوحة كتبت عليها قصيدة مؤثرة تصور حالة اللاجئين المطرودين من فلسطين ، وكان لهذه اللوحة تأثير نفسى وآخر اعلامى فى نفوس الجماهير . فما كان من اسرائيل الا أن اقامت الدنيا واقعدتها ولم يهدأ لها بال حتى تمكنت من ازاحة هذه اللوحة من المعرض .

ومن الأمثلة على المعارض الحديثة كذلك (المعارض المتحركة) وهى معارض تقام على ظهور السفن والبواخر الكبرى ، ومن الأمثلة عليها معرض اليابان للأسلحة الحربية والمنتجات القومية . وقد أخذ هذا المعرض ينتقل فى عرض البحار ويرسو على مختلف الأقطار ويجذب اليه الأنظار .

هكذا تعددت وسائل الاعلام الحديثة ، والظاهر أن المستقبل يخفى منها عددا اكثر واضخم . فقد سمعنا أخيرا عن الصحف التى تنشر فى البيت عن طريق جهاز يلتقط الأنباء ويسجلها على شريط ، ويقدمها للبيوت مع اخبار أخرى مكتوبة بهذه الطريقة . وقد استطاعت بعض الشركات أن تدخل تعديلا على هذه الأجهزة بحيث تتمكن كذلك من نقل الصور الى جانب الالفاظ . وبهذه الطريقة تستطيع الصحيفة أن تنافس الراديو والتليفزيون منافسة قوية .

الزيارات الرسمية وغير الرسمية :

وهى شبيهة (بالبعثات النبوية) التى تحدثنا عنها قبل ذلك . والقياس هنا مع الفارق .. وقد أصبحت الزيارات وسيلة من وسائل الاعلام التى ينتفع بها كثيرا فى الوقت الحاضر . والأمثلة على هذه الزيارات كثيرة تطالعنا بها الصحف ومحطات الاذاعة والتليفزيون كل يوم .

وقد أدركت الحكومات المعاصرة ما لتبادل الزيارات من الفوائد الجليلة ، فنرى رؤساء الدول فى وقتنا هذا يكثرون من هذه الزيارات . وقد يؤدى بعضها الى عقد مؤتمرات ومعاهدات . وفى هذه المؤتمرات او الزيارات يناقش العديد من المشكلات الاقليمية والمشكلات الدولية التى تمتاز بصفة (الحالية) . فيوحى كل ذلك للمواطن الحديث بأن العالم قد أصبح أسرة واحدة بل جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى !!

ومن الأمثلة على الزيارات كذلك تلك الدعوات التى تتوجه بهــــا الدول الكبرى كأمريكا وروسيا وانجلتره الى بعض الصحفيين أو السياسيين او الأدباء والفنانين لزيارة هذه البلاد والتعرف على مجالات التقدم فيها . وكثيرا ما تعمد الدول النامية كذلك الى هذه الطريقة ليتعرف عليها الراى العــــام العــــالمى .

ومن هذا القبيل كذلك ما تلجأ اليه بعض الحكومات من توزيع صــــور الزعماء والقادة وكبار الشعراء والكتاب والفلاسفة والمفكرين فى الأمـــة . ويكون هذا التوزيع اما فى داخل الوطن الذى ينتمى اليه هؤلاء البارزون ، واما فى خارجه . وفى هـــذه التصرفات وامثالها تعريف بالأمـــة التى انجبت هؤلاء النابغين وســـعدت بهم .

ومثل هذا يقال أيضا بالقياس الى (الرحلات) التى تقوم بها الهيئات والشركات والمدارس والمعاهد والجامعات الى بلاد بعيدة بقصـــد التعرف عليها ، وتعريف أهلها بهم وببلادهم وما وصلت اليها فى ميدان الأدب والعلم والفن .

المؤتمـــــــرات :

وهى أنواع : فمنها المؤتمرات الصحفية والعلمية والأدبيـــة والعمالية والبرلمانية التى نسمع بها كثيرا فى معظم الدول المتحضرة . ومن أوضـــح الأمثلة عليها المؤتمر الصحفى الذى يعقده رئيس جمهورية الولايات المتحدة بصـــفة دورية .

ومن أوضح الأمثلة عليها كذلك (مؤتمرات القمة) التى يعقدها رؤساء الدول العربية والافريقية أو الأسيوية أو الأفروأسيوية وما اليها . ولشهرة هذه المؤتمرات على اختلافها عنيت بها الصــــــحف والاذاعة والســـــينما والتليفزيون . ولذلك لا تحتاج منا الى مزيد من القول . بقى أن نتحدث عن وسيلة أخرى من وسائل الاعلام الحديثة وهى :

العلاقات العامة :

والعلاقات العامة ــ كما قلنا ــ هى فن الاتصال بالجماهير التى تتعامل معها المؤسسات الهامة فى المجتمع سواء كانت هذه المؤسسات او المنشآت أهلية أم حكومية .

والهدف منها فى الواقع هو رعاية الروابط الانسانية السليمة فى المجتمع وكسب الجماهير ، وضمان التفاهم التام بين هذه المؤسسات على اختلافها . وبعبارة أخرى ان فن أو علم العلاقات العامة يهتم كذلك بالكشف عن الأسس والمبادىء التى تساعد على اقامة روابط ودية سليمة بين فئات الشعب من ناحية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى (١) . وبسبب هذه المعرفة الدقيقة يستطيع الجمهور أن يتصرف تصرفا سليما مع هذه المؤسسة او المهنة ، ويستطيع فى الوقت نفسه أن ينتفع بها على الوجه الأكمل .

وأما الفوائد التى تعود على المؤسسة الأهلية أو الحكومية من وراء العلاقات العامة فكثيرة أيضا .

لقد اثبتت التجارب والاحصاءات الكثيرة أن المؤسسات لا تتقدم فى عملها بقوة (الادارة) وحدها . بل بقوة العلاقات العامة الى جانب ذلك . وقد اعتاد علماء هذا الفن أن يشبهوا المؤسسة بمركبة لها جوادان : أحدهما يمثل الناحية الادارية فى المؤسسة ، والثانى يمثل ناحية العلاقات العامة . كما يمكن تشبيه المؤسسة كذلك بالطائرة لها جناحان ، جناح يمثل الادارة ، وآخر يمثل العلاقات العامة .

ولكن — هل معنى ذلك أنه لابد لكل مؤسسة من وجود جانب التسويق الى جانب العلاقات ؟

كلا — فان هناك مؤسسات حكومة وأخرى اهلية ليس لها جانب تسويق . ومثال ذلك الجامعات والمستشفيات العامة . فمن غير المعقول أن يكون للجامعة أو المستشفى ناحية تتصل بالتسويق . فالجامعة عملها نشر العلم . والمستشفى عمله العلاج . وليس للجامعة او المستشفى أن يبيع الناس شيئا يربحان من ورائه ربحا قل أو كثر . ومعنى ذلك ان التشبيهين الأخيرين لا ينطبقان الا على المؤسسات الصناعية والتجارية وليس غير .

---

(١) ابراهيم الامام ، العلاقات العامة والمجتمع ، ص ٧ .

(والخلاصة) ان العلاقات العامة عبارة عن نشاط مؤسسة من المؤسسات أو نقابة من النقابات أو شركة من الشركات ، أو دائرة من الدوائر الحكومية ، أو جمعية من الجمعيات ، أو أصحاب مهنة من المهن من أجل اقامة علاقات سليمة ونافعة بين الجمهور العام وهو جمهور المستهلكين وبين هذه المؤسسات بمن فيها من المساهمين والموظفين . وذلك كله بغية التكيف مع البيئة ، وبغية تفسير النشاط الاجتماعى الذى تزاوله كل منظمة من تلك المنظمات (١) .

ولكن ما الفائدة التى تعود على الطرفين — طرف المؤسسة من جانب وطرف الجمهور المنتفع من جانب آخر — من وراء العلاقات العامة ؟

الواقع ان فى تبادل الآراء والأفكار بين هذين الجانبين فائدة كبيرة تعود على كل منهما على حدة .

ثم ما هى الوسائل التى يعتمد عليها رجل العلاقات العامة ؟

ليس أمام هذا الرجل الا الوسائل الاعلامية المعروفة كالصحافة والاذاعة والتليفزيون والسينما . وهو فى استخدامه لهذه الوسائل الكثيرة بحاجة ماسة الى ثقافات كثيرة يستطيع أن يفهم بها عقلية الجماهير وأن يتعامل معها بطرق سليمة . ومن هذه الثقافات علم النفس وعلم الصحافة وعلم الاقتصاد وطرق قياس الرأى العام وطرق الاستفتاء وعلم الاحصاء ونحو ذلك .

وعلى هذا فالعلاقات العامة ليست مجرد اقامة الحفلات والظهور بين الناس بالملابس الرسمية والقاء الكلام المعسول فى الترحيب بالجماهير ، كلا — فانها أبعد من ذلك وأعمق . انها عبارة عن افهام الناس حقائق المؤسسة الحكومية أو الأهلية وأوضاعها وتفسير هذه الأوضاع وتعليلها والوصول من وراء ذلك الى غاية رئيسية هى (التكيف الاجتماعى) الى جانب غايات أخرى من أهمها الربح المادى أو النجاح المعنوى للمشروع الذى تتولى العلاقات العامة شرحه للجماهير .



(١) نفس المصدر المتقدم ، ص ٨ .

وهكذا استطاعت وسائل الاعلام الحديثة أن تغير مفهوم الناس لمعنى السياسة . وفى ذلك يقول الأستاذ الفرنسى بول فاليرى :

« لقد كانت السياسة طيلة قرون عديدة عبارة عن فن منع الناس من الدخول فيما لا يعنيهم ، فأصبحت فى عصرنا هذا عبارة عن فن استجواب الحكام عما يجهله الشعب من المسائل السياسية وغير السياسية على السواء » .

مهما يكن من شىء فان أشهر الوسائل الاعلامية والصقها بالمواطنين فى المجتمع الواحد وسيلتان كبيرتان هما الصحافة والاذاعة . ولذلك يشتد الصراع بين هاتين الأداتين . وهو صراع ينتفع به الجمهور القارىء او السامع .

ومن هنا لا نستطيع ان نترك هذا الفصل دون أن نخوض فى بعض الموضوعات التى تتصل بوسائل الاعلام . ومن أهمها موضوعان كبيران :

أولهما : المنافسة بين الراديو والتليفزيون والصحافة .

وثانيهما : اللغة التى تستخدم فى هذه الأجهزة الثلاثة . ونعنى بها اللغة الفصيحة التى يمكن أن تكون مفهومة من أكبر عدد ممكن من أبناء البلاد العربية فى وقتنا الحاضر . أما اللغة العامية أو اللهجة المحلية فلم نشأ أن نعرض لها فى هذا البحث .

بين الراديو والصحف :

تعانى الصحف فى وقتنا هذا كثيرا من المشقة فى منافسة الراديو والتليفزيون . مع أن الحقيقة ان هذه الأدوات الثلاث يعين بعضها البعض ويكمل بعضها البعض بطريقة تلقائية لا عناء فيها . وأكثر ما تظهر هذه المنافسة على أية حال فى البلاد الرأسمالية الكبيرة كالولايات المتحدة الأمريكية . فقد كان عدد الصحف اليومية عام ١٩٠٩ فى تلك البلاد الفين وستمائة صحيفة . ثم فى عام ١٩٥٥ هبط هذا العدد الى ١٧٨ صحيفة فقط . والسبب فى ذلك هو دخول الصحف فى منافسة قوية مع الراديو بنوع خاص . ولم تجد الصحف الأمريكية أمامها للتخفيف من هذه المنافسة غير طريق واحد : هو طريق ادماج الجرائد والمجلات فى تكتلات صحفية يساعد بعضها بعضا على الظهور للجمهور بأخبار كثيرة وموضوعات

متنوعة ، وأعمدة شائقة ، وصور جذابة ، ومواد اعلامية تزيد على المواد التى يقدمها الراديو . وبهذه الطريقة الاخيرة تستطيع كل صحيفة من تلك الصحف ان تضمن لنفسها أبتاء من أجل المجموعة التى تنتمى اليها . وهى المجموعة التى يتحمل بعضها خسائر بعض فى المال . ويزود بعضها بعضا بالمواد الاعلامية من جميع الصور والاشكال .

على أن الراديو من بين وسـائل الاعلام فى الوقت الحاضر ما زال يحتفظ لنفسه بمكانة عالية وتأثير كبير فى نفوس المستمعين . وحسـبنا أن نشير من مزاياه العديدة الى ما يلى :

أولا — انه أصلح الوسائل الاعلامية بالقياس الى المجتمعات البدائية أو التقليدية ، وذلك لانتشار الأمية فى هذه المجتمعات ، ولسـوء المواصلات وقلة المال الذى تستعين به هذه المجتمعات التقليدية فى ادخال التحسينات اللازمة على هذه المرافق الحيوية من مواصـلات وتعليم وطـرق اعلام ونحـو ذلك .

ثانيا — ان الراديو يمنح المواطنين فى البيئات المتقدمة أو الحديثـة حرية اعلامية أوسع من بقية الوسائل الاعلامية الأخرى كالصحف بنـوع خاص . ذلك ان فى استطاعة المستمع بحركة بسـيطة يحرك بها زرا من أزرار الراديو أن يسـتمع الى محطات اذاعية كثيرة فى وقت واحـد . وتستطيع هذه الاذاعات أن تمد المستمع بأخبار متنوعة وآراء وأفكار متباينة يصحح بعضها بعضا ، وتعطى فى النهاية صورة متكاملة للمشـكلة التى تتحدث عنها محطات الاذاعة المختلفة وتبل بها الرأى العام سواء فى ذلك المجتمعات المتقدمة أو المجتمعات النامية .

هكذا يتمتع المسـتمعون بحرية اعلامية كبيرة عن طريق الراديو ، فى حين أن ثمن هذه الحرية الاعلامية كبير عن طريق الصحف والمجـلات والكتب وما اليهـا .

ثالثا — ان الدعاية عن طريق الراديو — ومعـه التليفزيون — أعظم اثرا من الدعاية عن طريق الصحف وحدها . ذلك أن المستمع يظل أقدر على التأمل والنقد حين يكون وحده فى مكان يسـتمع فيه الى الراديو أو

يشاهد فيه التليفزيون . ولكن المستمع يفقد هذه القدرة فى الغالب عندما يصغى الى خطبة يشارك فى الاصغاء اليها عدد من الجماهير الغفيرة التى اجتمعت لسماعها . وكذلك الشأن فى المحاضرة ونحو ذلك .

رابعا — ان الراديو قادر دائما على أن يجعلنا نعيش فى عالم غنى بالأحاسيس الاجتماعية . وربما كان هذا هو السبب فى التصرف الذى يبدو غير معقول من بعض المواطنين حين يتركون الراديو مفتوحا طول النهار دون أن يصغوا اليه .

خامسا — ان الراديو له فضل على الجماهير من الناحية اللغوية البحتة . فمما لا شك فيه أن الراديو يزيد فى محصولهم اللغوى يوما بعد آخر .

سادسا — أن الناس لا يتصل بعضهم ببعض عن طريق النظر بقدر ما يتصل بعضهم ببعض عن طريق السمع . وأصح من هذا أن يقال أنه عن طريق النظر يتصل الناس بالأشياء . ولكن عن طريق الأذن يتصلون بالأحياء . والفرق بعيد بين الحالتين . ومن ثم كان الراديو أقدر من سواه على تزويد الناس بالأحاسيس الاجتماعية والتأملات الذهنية .

بين الراديو والتليفزيون :

من الموازنة بين الراديو والتليفزيون يتضح لنا أن الراديو يمتاز بأن موجاته تخترق كل انحاء العالم فى أقل من لمح البصر . ذلك أن موجة الأثير تدور حول الكرة الأرضية فى نحو ١/٨ الثانية لا تقف فى سبيلها سدود أو حدود . على حين أن التليفزيون محدود بدائرة قطرها لا يزيد حتى الآن عن مائة ميل . ولابد من وجود محطات للتقوية كلما أريد التوسع فى هذه الدائرة .

ومن هنا نجد برامج التليفزيون فى كل بلد من بلاد العالم برامج محلية لا تتعدى حدود الوطن الذى توجد به المحطة التليفزيونية .

ومن ثم كان الراديو أقدر على تكوين (الرأى العام العالمى) وقد يتفوق على الصحافة نفسها فى هذا السبيل . أما التليفزيون فانه أقدر على تكوين الرأى المحلى .

اجرى استفتاء فى البلاد العربية حول وسائل الاعلام . وكان من نتائج هذا الاستفتاء أن ٧٦٪ من البلاد العربية يفضل (الاذاعة) على بقية الوسائل الاعلامية . وانفردت الجمهورية العربية المتحدة بتفضيل الصحف على غيرها من هذه الوسائل .

ولا ينبغى لنا أن ننسى فى مجال التنافس بين الاذاعة والتليفزيون والصحافة كذلك ما قيل عن العصر الذى نعيش فيه من أنه (عصر الترانسستور)وهو جهاز صغير من أجهزة الاذاعة يحمل فى اليد بل يحمل فى الجيب . واعترف الاستعمار بخطر هذا الجهاز ، وبأنه كان كفيلا باحباط الجهود التى بذلها فى الشرق الأوسط . وقال ان كل جهاز من هذه الأجهزة الصغيرة كان اقوى من فرقة كاملة مسلحة .

وسيلة الاتصال الشخصى :

تحدثنا الى الآن عن وسائل الاعلام القديمة والحديثة بوجه عام . ولم نشر اشارة كافية الى وسيلة أخرى يعرفها الجميع . وكأنها لشهرتها بين الناس لا تحتاج الى من يشرحها لهم . وهذه الوسيلة من وسائل الاعلام المعروفة فى كل زمان ومكان هى (الاتصال الشخصى) أو المباشر . وعليها تعتمد الدعاية فى كل شكل من أشكالها . والسبب فى ذلك أن الناس يتأثرون عادة بطريق الاتصال الشخصى أكثر مما يتأثرون بطريق الصحف أو الاذاعة أو التليفزيون . ذلك أنهم مع الصحف والاذاعة لا يعيرون انتباههم الا الى الأشياء التى تهمهم . ولكنهم مع الاتصال الشخصى مضطرون الى الاستماع لمن يحدثهم فى موضوعات غير معلومة ولا محدودة لهم من قبل . ثم أنه فى حالة الاتصال الشخصى المباشر يسهل على المتحدث أن يقدر رد الفعل المباشر على من يحدثهم ، كما يسهل عليه أيضا أن يكيف نفسه وحديثه تبعا لذلك . وهذا ما لا يتيسر بالطبع للصحيفة أو الراديو . ويضاف الى كل ذلك أنه من اليسير علينا دائما أن نقتنع بوجهة نظر أناس بيننا وبينهم صلات . فى حين أنه ليس من السهل أن نقتنع بوجهة نظر الكتاب والمذيعين الذين قل أن نعرفهم كما نعرف الأصدقاء .

بين اللغة المسموعة واللغة المكتوبة :

كتب الأديب الفرنسى (جورج ديهامل) قال :

« عرفت بنفسى طبيبا من الأطباء حضر موقعة من مواقع القتال وسمع بأذنيه أصوات المدافع فى الميدان ، كما سمع أنين الجرحى وأصوات الذعر التى انبعثت من بعض الجنود . ولكن مشـــاعر هذا الطبيب لم تهتز لهذه الأصوات المؤلمة جميعها . وحين عاد هذا الطبيب الى بيته وقرأ عن هـــذه الموقعة فى كتاب تأثر بما قرأ الى حد البكاء » (١) .

ليس لهذا الحديث الذى رواه الأديب الفرنسى غير معنى واحد وهو ان من الناس من تؤثر فيهم الوسائل السمعية من وسائل الاعلام . ومنهم من لا يتأثرون بغير الوسائل البصرية منها .. وربما كان هذا هو الســـبب الذى من اجله يجد المثقفون لذتهم الكبرى فى القراءة ، ولا يجدون ما يعادل هذه اللذة فى الاستماع أو المشاهدة .

مهما يكن من شىء فان هناك فروقا واسعة بين اللغة المسموعة واللغة المكتوبة . أو بعبارة أخرى — بين لغة الراديو ولغة الصحف . فأما مـــن ناحية الراديو فان من المبادىء المتفق عليهـــا فى الوقت الحاضر أن هنـــاك فيما يذاع أشـــياء يحبها الجمهور وأشـــياء لا يميل اليها . ولذلك تحرص محطات الاذاعة فى العالم على استفتاء الجمهور المستمع بين آن وآخر عن طريق رسائل المواطنين الى محطة الاذاعة . ومن هذه الرسائل يستطيع المذيع أن يدرك ميول الجماهير وعليه أن يشبع رغباتهم . والمستمعون فى هذه الحالة لا يتصلون بالمذيع الا عن طريق آذانهم . أما أبصارهم فلا ترى المذيع ولا تدرك صورته أو هيأته . ومع هذا وذاك فان المستمع يدرك بذهنه عالما آخر مليئا بالأحاسيس الاجتماعية — كما قلنا .

ومن الحقائق التى نعرفها كذلك بالنسبة الى الراديو أن له وقتا معينا من أوقات النهار والليل . وهذا من جهة . ومن جهة أخرى نجد أن المـــذيع لا يتوقف فى اذاعته ولا يسمح لنا بمراجعة الكلمة المذاعة — كما نفعل ذلك

---

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة ص ٣٣٣ .

بالكتاب ، فاننا حين نجد صعوبة ما فى فهم العبارات المكتوبة فاننا نحاول أن نعيد قراءتها مرة أو مرات حتى نفهمها فهما جيدا .

وبناء على هاتين الحقيقتين السابقتين نجد أنه يجب على اللغـــة المسموعة أن تتميز بهذه السمات :

أولا — سمة القصر فى الجمل والعبارات . فلا ينبغى للمذيع أن يعمد الى الجمل الطويلة أو العبارات المتشابكة ، ولا يصح له أن يعتمـد كثيرا على الجمل الاعتراضية وبذلك يسهل على السامع التقاط الكلمة المذاعة ، كما يتيسر له الحصول على معناها الاجمالى . ومعنى ذلك باختصار أن بناء اللغة المسموعة ينبغى أن يختلف عن بناء اللغة المكتوبة ، وذلك أن السامع لا يستطيع أن يقف من الكلام المذاع موقفه من الكلام المكتوب . فهو فى حالة الكلام المكتوب يعدل من سير القراءة قصد التغلب على صعوباتها .

ثانيا — فى مقدور المذيع أن يلجأ أحيـــانا الى تكرار بعض الألفاظ ليسهل حفظها على السامع . وعلى المذيع أن يصنع فى ذلك صنيع المدرس الذى يحرص كل يوم على تعليم تلاميذه ألفاظا جديدة ويحرص كذلك علـى تثبيتها فى أذهانهم عن طريق التكرار كلما أمكن ذلك .

ثالثا — يجب أن تكون عبارات المذيع واضحة كل الوضـــوح . ولا ينبغى له على الاطلاق أن يصطنع المبهم من الألفاظ أو الغامض من الأساليب والا ضاعت على المستمعين ثمرة استماعهم . وربما تعودوا بعد ذلك اقفال الجهاز عندما يجىء دور هذا المذيع فى البرنامج .

رابعا — يحســن برجال الاذاعة كما يحســن برجال الصحافة أن يحاولوا الوصول الى لغة اعلامية خاصة بوسائل الاعلام على اختلافها ولا يكون ذلك الا بالعمل على تحديد الكلمات التى يكثر دورانها فى أجهـــزة الاعلام . والفرق بين هذه الكلمات المستعملة وكلمات القاموس كبير للغاية . وسنوضح ذلك بجلاء عندما نتكلم الآن عن :

لغة الصحافة والاذاعة :

من الأمور المتفق عليها بالنسبة للصحافة فى الوقت الحاضر أننا نكتب ليفهمنا الناس . ومن هذه القاعدة البسيطة كل البساطة نبدأ خطواتنا نحو

أنشاء (لغة عربية بسيطة وفصحى فى نفس الوقت) يمكن أن تكون لغة عالمية فى المستقبل القريب أو البعيد .

والسبيل الى ذلك هو أن نعمد الى مجموعة من الكتب التى يكتبها المؤلفون للجمهور القارىء ونقوم باحصاء الألفاظ اللغوية التى نجدها بهذه الكتب . وبهذه الطريقة نصل الى أكثر الكلمات العربية شيوعا فى هذه الكتب .

ومن حسن الحظ أن العلماء قد بذلوا جهودا مشكورة فى هذا السبيل . وأثمرت هذه الجهود ظهور (معجم بيلا Chales Pillat) المطبوع الآن فى باريس . جمع فيه صاحبه الكلمات الأساسية فى اللغة العربية .

وفى سنة ١٩٥٠ نشر العالم بريل فى القدس قاموسا آخر . هو (قاموس الصحافة العربية اليومية) واعتمد فى وضعه على طرق الاحصاء الحديثة . وهى أن تحصى عدد المرات التى تتكرر فيها الكلمة الواحدة . ثم ترتب هذه الكلمات بحسب مقدار ورودها وتكرارها . وقد رجع بريل فى هذا الاحصاء الى مجموعة الصحف العربية التى صدرت فى مصر وفلسطين ولبنان والعراق ، وذلك فيما بين سنتى ١٩٣٧ ، ١٩٣٩ .

وبذلك توصل بريل الى جمع ١٣٦ الف كلمة أثبت أن خمسمائة منها ترد بنسبة ٦١٪ وأن الف كلمة منها ترد بنسبة ٨٩٪ وأن ثلاثة آلاف كلمة فقط ترد بنسبة ٩٥٪ .

ومعنى ذلك أن الف كلمة عربية تكون ثلاثة ارباع الثروة اللفظية للكاتب وللصحفى (١) .

وهذه البحوث العلمية وأمثالها انما تستهدف شيئا واحدا فقط هو الوصول الى ما نسميه (طواعية القراءة) . (Readability) وهو مجال فسيح للعلماء اللغويين الى يومنا هذا . وسيكون له تأثير كبير على لغة الاعلام بوسائله الكثيرة من اذاعة وصحافة وتليفزيون ومسرح وسينما ونحو ذلك .

---

(١) مراد كامل ؛ محاضرة بعنوان « العربية لغة عالمية » القاها بمؤتمر مجمع اللغة العربية ببغداد سنة ١٩٦٦ .

الفصل الثانى

الاعـــــلام والدولـــــة

ماذا نعنى بالاعلام والدولة ؟ ولماذا كانت العلاقة بينهما شيئا ضروريا للمحافظة على كيان الأمة ؟.

سبق لنا أن أجبنا على هذا السؤال فى كتابنا (الاعلام ـــ له تاريخه ومذاهبه) . والآن نعود الى الاجابة عن هذا السؤال بطريقة أخرى .

المقصود بالاعلام والدولة هو ان لكل نوع من أنواع الحـكومات فى العالم مذهبا اعلاميا يوافق هذا النوع ويحقق الغرض الذى يسعى اليه .

ولما كانت الصـــحافة اول نموذج من نماذج الاعلام الحـــديث ، فقد وجدنا الحكومات الحديثة تسعى للسيطرة عليها بكل الطرق الممكنة : لذلك وجدنا الصحافة العربية تنشأ فى حجور الحكام ، وتصدر بوحيهم وأفكارهم واموالهم ، كما كان الشأن فى مصر أيام محمد على وفى العراق فى عهـــــــد مدحت باشا . واما فى أوربا فقد وجدنا الحكومات منذ شعرت بخطورة هذه الأداة الاعلامية الجديدة وهى الصحافة تتجه الى السيطرة عليها اما بوضع القيود الخاصة بذلك ، واما بشرائها بالمال لكى تكون موالية لها ، ناطقـــة باسمها ، معبرة عن اتجاهاتها . وشأن الصحف فى هذه الحالة الأخيرة شأن الاذاعة فقد كانت أجهزة الراديو أهلية فى أول الأمر . ثم لم تدم الحال على ذلك الا ريثما التفتت الحكومات الى خطورة هذه الأداة الاعلامية الثانيـــة فسيطرت عليها واتخذت منها جزءا من الجهاز الرسمى للدولة .

غير أن ذلك لم يمنع مطلقا من وجود الصــــــحافة الحرة . وان كان ظهور الصحافة الحرة متأخرا بعض الشىء عن الصحافة الرسمية المقيدة بمصــــــالح الدولة .

مهما يكن من شىء فان حاجة الدولة الى الصحافة او الاذاعة ربمـــا كانت اقوى من حاجة الصحافة الى الدولة . وقد جاءت اقوال الكثيرين من

قادة العالم مؤيدة لهذه الفكرة . فمن الأقوال التى أثرت عن نابليـــــون بونابرت قوله :

« ينبغى للحاكم أن يجعل الصحافة فى خدمته دائما » .

كما أثر عن خروشوف أنه قال :

« الصحافة هى سلاحنا الفـكرى الايديولوجى الرئيسى . واذا كان الجيش لا يستطيع خوض القتال بدون سلاح فكذلك الحزب لا يســتطيع ممارسة أعماله بنجاح دون أن يتزود بسلاح الصحافة . ومن ثم يستحيل علينا أن نترك الصـــحافة فى ايد غير أمينة . فهى لابد أن توضع فى أكثر الأيدى أمانة واجدرها بالثقة » .

لنا بعد ذلك أن نسأل أنفسنا هذا السؤال :

كيف تختلف الصحافة من بلد الى آخر باختلاف أنظمة الحكم فيها ؟

الواقع ان الصحافة وبقية وسائل الاعلام المعروفة ترتبط ارتبـاطا وثيقا بأنظمة الحكم على اختلافها . فهناك نظام الملكية الاستبدادية ، ونظام الملكية الدستورية . وهناك نظم الجمهوريات بأشكالها المختلفة . ولهــذه الانظمة صلتها القوية بالمذاهب السياسية . كالمذهب الفردى أو الراسمالى، والمذهب الاشتراكى ، والمذهب الشيوعى . وهى المذاهب التى تمثـــل الصراع البشرى بين الفرد والمجتمع أو بين الطبقات التى يتألف منهـــا المجتمـع .

والاعلام هو الوسيلة الوحيدة والسريعة التى يؤثر بها الحـــاكم فى المحكوم ، ويؤثر بها المحكوم فى الحاكم .

والاعلام هو الوسيلة الوحيدة للتفاهم الذى لابد منه لهذين الجانبين.

« غير أن الحكام يتفاوتون تفاوتا بعيد المدى فى نوع التفـــاهم الذى يربطهم بالشعوب التى يحكمونها . فمنهم من لا يسمح بهذا التفاهم على أية صورة من الصور — كما فى الحكم الاستبدادى أو الديكتاتورى ، ومنهم من يسمح به دائما — كما فى الحكم الديمقراطي . ومنهم من يضيـــع له بعض

القيود الخاصة — كما فى الحكم الاشتراكى . ومنهم من يحرم المواطنين حرمانا تاما من هذا التفاهم اعتمادا منه على أن الحكومة لا عمل لها الا اسعاد الشعب بجميع أفراده على السواء — كما في النظام الشيوعى وهكذا » (١) .

نظر علماء الصحافة فى كل هذه الظروف أو الفروق فوجدوا ان العالم فى عصوره التاريخية كان ولا يزال محكوما بنظريتين بارزتين من نظريات الاعلام وهما ..

١ — نظرية السلطة .

٢ — ونظرية الحرية .

وعن هاتين النظريتين السابقتين تولدت نظريتان اخريان أصبحتا تحكمان العالم فى العصر الذى نعيش فيه وهما ..

٣ — النظرية السوفيتية التى تولدت عن نظرية السلطة .

٤ — نظرية المسؤولية الاجتماعية التى تولدت عن نظرية الحرية (٢).

فما المقصود بنظرية السلطة ؟

السلطة من انظمة الحكم التى نتحدث عنها هى التى تتمثل فى الملك أو الخليفة او الامبراطور أو الأمير أو الديكتاتور الذى لا يؤمن بالحرية وبالديمقراطية ، ولا يسمح للشعب أن يشاركه فى الحكم بصورة أو بأخرى .

وتستند (السلطة) باعتبارها نظاما من أنظمة الحكم على فكرة « الحق الالهى المقدس » وعلى الفكرة القائلة (بأن الحاكم ظل الله وخليفته فى الأرض) .

معنى ذلك أن الحاكم المطلق هو وحده صاحب الحق فى الهيمنة على

---

(١) عبد اللطيف حمزة ، الاعلام — له تاريخه ومذاهبه ، ص ٦ — ٧ .

(٢) Four Theories for the Press by : Siebrt, Peterson and Sebraman. Urban University 1956.

أمور الأمة ، أو صاحب الحق فى تصريف الأمور العامة . غير أن الحـــاكم المطلق فى العصور السابقة كان يدرك مع ذلك انه لا يستطيع أن ينفرد بهذه السلطة . فقد تعرض له أمور لا يعرف الصواب فيها من الخطأ . ومن ثم تظهر الحاجة الى استشارة الحكماء أو العلماء أو صفوة الأمة . وكان على هؤلاء أن يمدوه بالمشورة النافعة والآراء الراجحة متى طلب اليهم ذلك .

ذلك بالضبط ما حدث فى الدول الاســلامية كالدولة الأموية والدولة العباسية . فقد كان هناك ما يسمى « بأهل الحل والعقد » . وهم جماعة من علماء الدين كان يرجع اليهم الخليفــة فيما اشــــكل عليــه من أمور المســـلمين .

وذلك بالضبط ما قدحدث فى الدول الأوربية قبل عصر النهضة فقــد كانت الفكرة التى تستند اليها الدول الأوربية حينذاك هى الفكرة القـــائلة (بأن الحقيقة لا تنبع من من جمهور العامة ولكن تنبع من اذهان الخاصـــة وهؤلاء هم الحكماء والعلماء ومن اليهم) .

وهكذا اقتصر العمل الاعلامى فى ذاته على جهتين وهما :

جهة الحاكم الفرد أو الملك المســـتبد ، وجهة الصفوة من رجــال الأمة ، وهم بطبيعة الحال قليلون من حيث العـــدد . ورأيهم ليس ملزما للحاكم نفسه . ومن ثم كانت (الســـلطة) هى وحدها صاحبة الحق فى ممارسة الرقابة الفعلية على العمل الاعلامى فى أوربا . وهى وحـــدها صاحبة الحق فى اعطاء التراخيص لمن يريد من الناس اصدار صــحيفة أو نشرة أو نحــو ذلك .

وقبل أن ندع الكلام عن مذهب (السلطة) نضرب مثلا عليهـــا من واقع التاريخ الاسلامى نفسه . وليكن المثل الذى نضربه هنا هو (الخليفة المنصور) من خلفاء الدولة العباسية . وقد كان رجلا قوى البطش لا يعرف فى سياسته لينا ولا رحمة . وكانت له طريقته الخاصة فى مراقبـــة الكتاب والأدباء الذين كانوا يمارسون الاعلام الاسلامى عن طريق نشر الكتب .

ادرك أيام المنصور كاتب كبير هو عبد الله بن المقفع مترجم (كليـــلة ودمنة) . وذهب المؤرخون الى أن السبب الحقيقى فى كتابة (كليلة ودمنة)

هو توجيه النقد الى الخليفة بطريقة رمزية وذلك فى وقت عز على ابن المقفع أن يلجأ الى طريقة الكتابة غير الرمزية . ثم شعر ابن المقفع بعد ذلك أنه لابد من أن يوجه نقده الى الخليفة بطريقة غير رمزية . وكتب بالفعل رسالة صريحة سماها (الهاشمية) (١) نقد فيها نظام القضاء الاسلامى وغيره من النظم المعمول بها فى الدولة . وعلم الخليفة المنصور بهذا الكتاب الأخير فلم يجد بدا من الحكم بالاعدام على هذا الكاتب الذى جرؤ على نقده . وتم اعدام الكاتب بطريقة وحشية . فقد وضعه جنود المنصور فى تنور وقطعوا جسده قطعة قطعة ، وأخذوا يلقون بكل قطعة فى التنور . وكان ذلك جزاء له على توجيه النقد الى الخليفة المنصور وهو الرجل الذى يمثل التفرد بالسلطة ، ولا يعترف بحق الكاتب أو العالم أو الفيلسوف فى نقد الدولة .

ما المقصود بنظرية الحرية ؟

ظهرت هذه النظرية فى المجتمع الأوروبى نتيجة لتطورات فكرية ، ولأحداث سياسية واجتماعية . ومن أهم هذه الأحداث بطبيعة الحال نشوب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وهى الثورة التى أعلنت حقوق الانسان . ثم هى الثورة التى كان لها مفهوم اقتصادى ظهر فى قولهم (دعه يفعل . دعه يمر) . ومعنى ذلك ترك الفرد حرا فى مزاولة نشاطه الاقتصادى ونشاطه الفكرى دون أى تدخل من جانب الدولة فى هذا النشاط بأى شكل من الأشكال . ذلك أن الدولة يجب ان تقصر وظائفها على أمور ثلاثة وهى :

القضاء ، والأمن فى الداخل ، والدفاع عن الوطن ضد أى اعتداء خارجى .

والحق ان نظرية الحرية تقوم على الايمان المطلق بالانسان من حيث هو انسان. على حين ان نظرية السلطة تنظر الى الانسان على أنه جزء من المجتمع ، وان قيمته تنحصر فى هذا المعنى .

---

(١) وتسمى كذلك (رسالة الصحابة) .

وبعبارة أخرى — يرى مذهب الحرية أن سعادة الفرد هى الغاية من وجود المجتمع . وأما انصار مذهب السلطة فيرون أن سعادة المجتمع هى الغاية من وجود الفرد . والفرد فى نظر (الحريين) أو القائلين بمذهب الحرية اسمى من الدولة . على حين أن القائلين بمذهب (السلطة) يرون العكس .

من اجل ذلك اتاح مذهب الحرية اثمن الفرص من الناحية الاقتصادية لظهور (الديمقراطيات الراسمالية) وظهور (الاحتكارات) بأوسع معانيها . وفى ظل هذا النظام الراسمالى تحقق الكثير من الانتصارات الشعبية . ومنها التوسع فى التعليم ، ومنح حق الانتخاب لاكثر المواطنين ، ومنها حق الفرد فى ممارسة نشاطه الاجتماعى والتنافس فى الحصول على أكبر قدر ممكن من الربح — المادى — ومنها زيادة الانتاج بالجملة . وقد عادت كل هذه المميزات على الشعوب والمجتمعات بالرفاهية والتقدم . ومن الانتصارات التى حققها هذا النظام كذلك حرية الصحافة .

غير أن الصحافة فى ظل نظام الحرية تطورت هى الأخرى الى صناعة من اضخم الصناعات الحديثة . واحتاجت الى رؤوس اموال كبيرة .

« وادى ذلك الى تخليها تدريجيا عن قضايا الراى والشعوب ، واتجاهها الى تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح المادى باعتبارها مشروعا تجاريا يخدم الأهداف الاحتكارية » (١) .

أما الفلسفة التى تستند عليها نظرية الحرية والأفكار التى وراء هذه النظرية فانما تتمثل فى آراء (جون لوك) الانجليزى من ابناء القرن السابع عشر الميلادى ، ومعه فى هذا الاتجاه كل من جون ملتون من القرن السابع عشر ايضا وجون ارسكين وتوماس جفرسون من القرن الثامن عشر ، وجون ستيوارت مل من القرن التاسع عشر (٢) .

(والخلاصة) ان الصحافة فى ظل النظام الحر تمتعت بحرية كبيرة

---

(١) الميثاق الوطنى .
(٢) عبد اللطيف حمزة : الأعلام — له تاريخه ومذاهبه ، ص ١١٦ — ١١٧ .

لا تكاد تعرف من القيود الا قيدا واحــدا فقط هو حق الحكومة فى فرض الرقابة على الصحف زمن الحرب متى رأت المصلحة فى ذلك . ومع هذا وذاك فقد سارت الولايات المتحدة الأمريكية فى تطبيق هــذا الحق على أساس الاختيار لا الاجبار ، وعلى الود والصداقة وحسن التفاهم بينها وبين اصحاب الصحف وكان ذلك فى أثناء الحرب العالمية الثانية .

ولكن مهما قيل فى الحرية التى تتمتع بها الدول الراسمالية فى الوقت الحاضر ، ومهما قيل فى الديمقراطية التى تنعم بها هذه الشعوب فى العصر الذى نعيش فيه فان هناك حقيقة لا ينبغى تجاهلها . وهى أن الحكومات الديمقراطية الرأسمالية لا غنى لها مطلقا عن شىء من (السلطة) بالرغم من أنها تعتمد اعتمادا يوشك أن يكون تاما على نظرية (الحرية) .

وهذا القدر الذى يمارسه الحكام الآخذون بنظام الحرية من المذهب القائل بالسلطة يمكن أن نعادله بذلك المقدار من الحرية كما نراه عند الحكام الآخذين بنظرية (السلطة). الم نقل ان الخلفاء العباسيين وغيرهم من الحكام المستبدين كانوا لا يجدون غنى عن مشاورة الحكماء وعلماء الدين وهم الذين يتألف منهم ما يسمى (بأهل الحل والعقد) ؟.

معنى ذلك أنه ليس فى تاريخ العالم ما يمكن أن يسمى (بالحرية) الخالصة (مائة بالمائة) . وليس فى تاريخ العــالم ما يمكن أن يســمى (بالسلطة) الخالصة (مائة فى المائة) ، ولولا ذلك ما استقام لحكومة أمر ، ولا تحققت لأمة من الأمم غاية .

ما المقصود بنظرية المسؤولية الاجتماعية ؟

آمن اصحاب النظرية السابقة بالحرية العــامة للفرد من حيث هو وتولدت عن هذه الحرية ظواهر جديدة فى المجتمعات . منها تضخم رؤوس الأموال ومنها الاحتكارات . وأصبح المجتمع الراسمالى عبارة عن طبقتين هما طبقــة الأغنياء المسرفين فى الغنى ، وطبقة الفقراء الواصلين بالفقر الى أدنى درجاته .

وهنا سأل اصحاب هذه النظرية أنفسهم .. هل هناك حدود لهــذه الحــرية ؟.

وأجاب هؤلاء عن ذلك بأن الحرية المطلقة تشكل خطرا كبيرا على المجتمع ، وان الحرية الصحيحة هى المحدودة بحدود القانون من جهة وحدود الصالح العام من جهة ثانية .

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية علت الشكوى من حرية الصحف فى امريكا وغيرها من البلاد الراسمالية — وهى الحرية التى نجم عنها فساد الأخلاق وانحطاط القيم الانسانية — واخذ كل بلد من البلاد الرأسمالية يفكر فى أحسن الطرق لمقاومة هذه الأخطار التى سببتها حرية الصحافة . وظهرت فى أكثر بلاد العالم الحر فكرة تهدف الى انشاء (مجلس أعلى للصحافة) من شأنه أن يراقب الصحف ويحد من انحرافاتها بكل الطرق الممكنة .

والأساس الذى تبنى عليه نظرية المسؤولية الاجتماعية هو ان (الحرية حق وواجب ونظام ومسؤولية فى وقت واحد) . والمعروف أن هذه النظرية نشأت فى أمريكا وانجلترا وكانت ثمرة لكتابات وليم كنج ثم بلغت أوجها بعد الحرب العالمية الثانية وذلك فى كل من انجلترا وأمريكا أيضا . ولذلك أطلق عليها اسم (النظرية الأنجلو أميركية) .

والصحافة التى تأخذ بهذه النظرية ليست صحافة ذاتية بقدر ما هى صحافة موضوعية ، وليست ملكا للأفراد بقدر ما هى ملك للصالح العام .

ومهما يكن من شىء فان نظرية المسؤولية الاجتماعية فى بعض الدول الغربية لم تشأ أن تحل جميع المشكلات التى نجمت عن الأخذ بنظرية الحرية ، ومنها مشكلة الاحتكارات . كما عجزت عن حل المشكلة الكبيرة التى تتمثل فى خضوع الصحافة والاذاعة لرأس المال . كما أنها عجزت عجزا تاما عن تقديم الحلول الصحيحة لمشكلة الحرب والسلام .

الصحافة والسلام العالمى :

غير ان هذه المشكلة الأخيرة استطاع قسم الصحافة بجامعة القاهرة أن يشارك فى حلها قدر المستطاع وذلك عن طريق رسالة جامعية (١)

---

(١) الرسالة للدكتور مختار التهامى . وقد حصل بها على درجة الدكتوراه فى الأدب من قسم الصحافة بجامعة القاهرة ثم طبعت الرسالة بعد ذلك فى كتاب بعنوان (الصحافة والسلام العالمى) .

اشتملت على (مشروع دستور دولى للصحافة) مستقى من تحديد مهمة الصحافة فى المجتمع الدولى الحديث وفى هذا الدستور شرح للالتزامات التى القتها الرسالة على عاتق الاعلام باسم المسؤولية العالمية .

ما المقصود بالنظرية السوفيتية ؟

تقوم النظرية السوفيتية للاعلام على الشيوعية . وتستند الشيوعية على آراء ماركس . وتقول الفلسفة الماركسية ان الهدف الوحيد لها هو اقامة مجتمع شيوعى تتحقق فيه العدالة . والطريق الى هذه العدالة هو ترك الحكم فى أيدى الكادحين من العمال والفلاحين وهم الذين أطلق عليهم اسم (البروليتاريا) .

ومهما يكن من شىء فان الفلسفة الشيوعية تقوم على الأسس التالية :

١ — المادية الجدلية :

سميت مادية لأنها تتمسك بأن الحياة المادية وحدها هى التى لها صفة الواقع والحقيقة . أما الجانب العقلى بأفكاره وآرائه فليس الا انعكاسا لهذه الحياة المادية لا اكثر ولا أقل . وبعبارة أخرى — انعكاسا لمجموعة الانتاج المادى الموجود فى المجتمع فى وقت معين .

غير أن الفلسفة الشيوعية تعتمد كذلك على ما يسمى (بالمادية الجدلية أو المنطقية) . ومعناها أن كل تغيير اجتماعى وتطور أو تقدم فى المجتمع انما ينتج دائما عن تنازع بين قوتين أو عنصرين متضادين أو متناقضين فى داخل نطاق الحقيقة . وهاتان القوتان أو العنصران هما الفكرة ونقيضها، أو الراى وضده . وتكون نتيجة الصراع بينهما وجود حالة تسمى حالة تآلف النقيضين . وهذه الحالة الأخيرة لابد أن تكون ارقى من الحالتين المتناقضتين . وهذه الحالة الجديدة تصبح بعد ذلك فكرة جديدة ينشأ عنها نقيض يناقضها . وينتهى أمر الأخيرين الى تآلف جديد ينتج عنه فكرة جديدة أو حالة جديدة . وتستمر العملية على هذا النحو . وهذا ما يعرف فى تاريخ البشر باسم التطور .

وعلى ذلك فان الجدلية المنطقية هى القانون أو المبدأ الذى بمقتضاه يحدث التغيير الاجتماعى فى نظر الشيوعية .

٢ — المادية التاريخيـــة :

او التفسير المادى للتاريخ . وهى عبارة عن المادية الجدلية مطبقة على ميدان العـــلاقات البشرية فى المجتمع . وقد عرفهـــا ماركس فى كتابه (نقـــد فى الاقتصاد السياسى) بأنها — أى المادية التاريخيـــة — الغاية المشتركة لجميع الناس فى الانتاج وتبادل الأشياء التى أثمر عنها هذا الانتاج . وليس التغيير الاجتماعى فى تاريخ العالم نتيجة للتغيير فى الأفكار . ولكن نتيجة للتغيير فى طريقة الانتاج وطريقة التبادل . وهذا الانتاج يتضمن كذلك الصلة بين الناس بعضهم ببعض . وهو ما يسميه ماركس (بالعـــلاقات الانتاجية) . ومن هنا وجد النظام الرأسمالى . وبه تمكنت الأقلية من العيش الرغيد بفضل الجهود التى تبذلها الأغلبية .

وجاء تفسير هـــذه المشكلة فى مشروع ماركس المعروف (بالبيـــان الشيوعى) ؛ ذلك بأن اتجاه الناس الى استغلال بعضهم لبعض كان فسادا دخل التاريخ عن طريق الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت العلاقات الانتاجية علاقات بين طبقتين متناقضتين . أى أن تاريخ المجتمعات القائمـــة الآن هو تاريخ نضال الطبقات بعضها ضـــد بعض . وفى اعتقاد ماركس أن هذا التاريخ أخذ يدخل مرحلته النهائية . وهى مرحلة النضال بين البورجوازية والبروليتاريا . ذلك أن النظام الاقتصادى للمجتمع هو الأساس الحقيقى للتطور والتقدم . أما الدين والأخلاق والقوانين والنظم فى المجتمعات فانها البنيان الذى يبنى فوق الأساس . وهذا النظام يعكس مصالح الطبقة السائدة فى المجتمع . وعلى هذا فان نظام الأخلاق السائد مثلا فى وقت ما يكون عبارة عن مجموعة المبادىء التى ترى هذه الطبقة السائدة أنها المبادىء الواجب اتباعها والتى يجب أن يوجه اليها المجتمع .

ونتيجة لذلك فان مراحل التطور الاقتصـــادى هى فى الواقع مراحل التطور الاجتماعى ، ومراحل للتدرج التاريخى . وهما لا يحدثان بسبب ظهور مبادىء عقلية جديدة أو معتقدات أخرى للحق والعدالة . وانما يحدثان

نتيجة للتغيرات التى تصيب القوى الانتاجية على مر السنين وهــذا كله هو المقصود بالمادية التاريخية فى الفلسفة الشيوعية .

٣ ـــ سيادة الطبقة العاملة (البروليتاريا) :

يقال ان لفظ (البروليتـــاريا) مشتق من اللفظ اليونانى Prolitarisas ومعناه الطبقـــة الأخـــرة فى المجتمع اليونانى او الرومانى . وهم الذين لا يؤدون فيه حقوقا للدولة سوى انتاج النسل . ومن ثم اخذ اللفظ يحمل معنى التحقير . وفى الهامش السفلى الذى وضعه (انجلز) من (المانافستو الشيوعى) عرف البروليتاريا بانها طبقـــة العمال التى تعمـــل بالأجر . وهم الذين ليس لديهم وسائل انتـــاج لحسابهم الخاص . لذلك اضطروا الى بيع مقدرتهم على العمل فى سبيل لقمة العيش .

وفى نظر ماركس أن البروليتاريا هى الطبقـــة الوحيدة فى المجتمع . ويرجع بعض السبب فى ذلك الى أن جميع اعضائها مشتركون فى تحمـــل اعبـــاء الاستغلال . وهناك سبب آخـــر اعتمد عليـــه ماركس فى نظره الى البروليتاريا هـــذه النظرة . وهذا السبب الأخير هو ظروف استخدام العمال فى الأعمال الصناعية ، وتجمعهم داخل المصانع تجمعا ساعد على انماء الوعى الطائفى عند هذه الطبقة . وهو أمر يسهل به تنظيمهم للعمـــل الثورى . وكان ماركس وانجلز يعتقـــدان أن من نتائج الانقلاب الصناعى تركيز المجتمـــع فى طبقتين متناقضتين هما طبقـــة البورجوازية وطبقـــة البروليتاريا . وكل ما عداهما من اقسام المجتمع ـــ فيما عدا الفلاحين ـــ يعتبر شواذ مآلهـــا الزوال بزوال النظـــام الرأسمالى نفسه . ولذلك كان من رأيهما أن البروليتاريا ستكون على المدى الطويل هى اغلبية الشعب ـــ أو بمعنى آخر ـــ هى الطبقة الوحيدة فى المجتمع .

النظرية السوفيتية فى الاعـــلام :

تعمدنا شرح الفلسفة الشيوعية لنفهم بالضبط لماذا اتجهت النظرية السوفيتية فى الاعلام الى تحقيق الأهداف التالية :

١ ـــ ملكية الشعب للصحافة أو بمعنى آخر تأميم الصحف .

٢ — قيام الاعلام بدور فعال فى المجتمع السوفيتى والنظر اليه على أنه جهاز رسمى من أجهزة الدولة .

وفى ذلك يقول لينين :

« لابد للجريدة من أن تكون جهازا من أجهزة الجهاد والكفاح بحيث لا يمد القارىء بأخبار دقيقة وصادقة عن اقتصادنا فحسب ، بل يقصد الاعلام كذلك الى تحليل هذه الأخبار ودراستها دراسة عقلية لكى نصل فى نهاية الأمر الى نتائج صحيحة فيما يختص بالحركة العمالية » .

واضح من هذه العبارة أن الصحافة السوفيتية تعتقد أن الاثارة العقلية اهم وانجح من الاثارة العاطفية ، وان الأولى أليق بالأمم المتقدمة من الثانية . لذلك وضع لينين تعريفا للجريدة قال :

« الجريدة ليست أداة من أدوات الدعاية الجماعية أو الاثارة بقدر ما هى أداة للتنظيم الاجتماعى » .

* * *

تلك هى النظريات التى صدر عنها الاعلام عبر العصور التاريخية منذ القدم الى يومنا هذا .

وكان من الطبيعى أن تكون نظرية السلطة أولى النظريات وجودا فى تاريخ البشر . ذلك أن البيئات القديمة — فيما عدا بيئة اليونان وبيئة المدينة على عهد الرسول والخلفاء الراشدين — لم تعرف من أنظمة الحكم غير النظام الاستبدادى المطلق . ومعنى ذلك ان الاسلام جاء مبشرا بالحرية وبالمسؤولية الاجتماعية التى عبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى حديث نذكره بمعناه وفيه « أن قوما ركبوا سفينة . فاختص كل واحد منهم بمكان . وقال أحدهم أنا حر فى مكانى هذا افعل به ما اشاء . وهم بأن يخرق مكانه فى السفينة . فان ضرب القوم على يده نجا ونجوا . وان تركوه غرق وغرقوا » .

وهكذا عرف المسلمون الحرية كما عرفوا الشورى عن طريق القرآن والحديث ولكنهم لم ينتفعوا بهذه المعرفة بعد حياة الرسول والخلفاء الراشدين .

على حين أن أوربا جاءت معرفتها بالحرية عن طريق الثورات والنضال بين الطبقـــات المختلفة عبر القرون الوسطى . ثم جاء الفلاسـفة والكتاب فأخذوا يفلسفون هذه الثورات وهذا النضال . ووصلوا من ذلك الى معرفة الحرية وفلسفة الحرية ووضعوا لها تلك النظرية .

ومعنى ذلك انه بينما عرف المسلمون هـــذه المعانى بطريقة تلقينية سهلة ــ كما أوضحنا ــ اذا بالغربيين يعرفون هـــذه المعانى عن طريق الفلسفة . ولذا ترك لنا هؤلاء الفلاسفة كثيرا من الكتب فى موضوع الحرية والتحرر وصراع الطبقات ومذاهب الراسمالية والاشتراكية ولم يترك لنـــا العرب مثل هـــذا التراث .

(وبعد) فلسنا نريد أن نفرغ من هـــذا الفصل دون أن نعرض على أنفسنا هـــذا السؤال الأخير .

ما هى النظرية الاعلامية للجمهورية العربية المتحدة فى وقتنا هذا ؟

اختلف الباحثون فى تحديد النظرية الاعلامية التى تصدر عنها حكومة الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الحاضر .

فمنهم من قال انهـــا (نظرية المسؤولية الاجتماعيـــة) . وقد عبرنا عن ذلك فى كتاب (الاعـــلام له تاريخه ومذاهبه) وذلك فى الفصـــل الذى تحدثنا فيه عن (الاعلام والمسؤولية الاجتماعية فى الميثـــاق) (١) . ومنهم من ذهب الى أنهـــا (النظرية السوفيتية) . ومن هـــؤلاء صاحب كتاب (الاعلام والتحول الاشتراكى) الدكتور مختار التهامى .

وفى تقديرى أن النظرية الاعلامية للجمهورية العربية المتحدة ليست هى نظرية الحرية ، وليست هى نظرية المسؤولية الاجتماعية ، وليست هى النظرية السوفيتية . ولكن فيها شىء من كل ذلك .

ولعـــل ذلك ما حـــدا بكثير من الباحثين العرب الى دعوة جديدة ، هى اقتراح اسم جديد للاشتراكية العربية لا يحمل لفظ « الاشتراكية » . كأن يكون هذا الاسم الجديد «النظرية الاقتصادية العربية» أو « الاقتصادية

---

(١) ص ١٤٩ .

التعاونيــة » ومن هؤلاء الباحثين العرب صديقنا الدكتور نعمت ســعيد الأستاذ بكلية الاقتصاد بجامعة بغداد . وهو يرى فى الاسم الجديد تمييزا للاشتراكية العربيــة عن سواها من الاشتراكيات الأخرى فى العــالم . هذا من جهة . ومن جهة ثانية يرى أن فى ذلك حماية للبلاد العربية من شرور المعسكرين الشرقى والغربى متى عرف كل منهما أن الاشتراكية العربية لا تمت لأحدهما بصلة .

ومع هذا وذاك فاننا نلاحظ ان اشتراكيتنا العربية أنما ترتكز على عمودين هما :

الاشتراكية العلمية بالتطبيق العربى من جهــة ، والدين الاسلامى الذى لا يرضى بطبيعته ان يكون المال دولة بين الأغنيــاء — أعنى متداولا بينهم فقط — من جهــة ثانية .

ومع هذا وذاك فلابد أن نعترف هنا أن الاشتراكية العربية ما زالت غامضة فى أذهان الكثيرين من العرب أنفسهم الى يومنا هذا .

ولعل ذلك ما دعا (الجزائر) الى عقد ندوة لبحث الاشتراكية العربية . ولا يدل ذلك كله فى نظرنا الا على شىء واحــد فقط ، وهو أن الاشتراكية العربية — أو الاقتصادية التعاونية — ما زالت فى انتظار الكاتب العبقرى أو الفيلسوف الســياسى الاجتماعى — الذى يضع لنــا ما يمكن نسميته « بفلسفة النظرية العربية فى الاشتراكية » .

صحيح أن الاشتراكية الأوربية كانت نتيجة للصراع الهائل بين طبقات المجتمع الأوربى — وهو الصراع الذى ألهم الفلاسفة الأوربيين وضــع « الفلسفة الاشتراكية » . ومن هؤلاء بطبيعة الحال الفيلسوف ماركس .

وصحيح أننا نحن العرب لم تمر بنا فى تاريخنــا الطويل مثل هــذه التجربة بالشــكل الذى عرفتــه أوربا . ومن ثم اضطررنا نحن العــرب الى أن نستورد النظــام الاشتراكى من الخارج حين شــعرنا بالحاجــة الى مثله . غير أننا وجدنا بعد ذلك أن النظام الاشتراكى بصورته الماركسية لا يلائم ظروفنا الحالية ولا يتفق وتقاليدنا العربية الاسلامية ، ولا يحــل جميع مشكلاتنا الاقتصادية ومن ثم رسمنا لأنفسنا صورة لاشتراكية عربية

لا تتجاهل التـاريخ العربى الاسـلامى ، ولا الدين العربى الاسلامى ، ولا التقاليد العربيـة الاسلامية .

وهنا تتاح لى الفرصة من جديد لكى الخص الحجج التى اعتمدت عليها فى ان الجمهورية العربية المتحدة غير آخذة بالنظرية السوفيتية .

أولا — ان ما فعلته الجمهورية العربية المتحـدة بالصحافة الى الآن هو « التنظيم » لا التأميم ، وأما ما تفعله الجمهوريات السوفيتية بالصحافة فهو « التأميم » والفرق كبير بينهما . « التأميم » نظام تؤول فيـه ملكية الصحف الى الحكومة وتصبح به الصحافة مرفقـا من المرافق العامة . وتحصل الخزانة العامة للدولة على ايرادات الصحافة . وتتحمل فى الوقت نفسه خسائر الصحف .

أما « التنظيم » فبه آلت ملكية الصحف الى الاتحاد الاشتراكى العربى لا الى الحـكومة . وليس الاتحاد الاشـتراكى جزءا من الجهاز الادارى للحكومة . وانما هو مجرد سلطة توجيهية بيد المجتمع .

ثم ان ايرادات الصحف بمقتضى قرار التنظيم لا تؤول الى الحكومة ولكن تنقسم الى قسمين . الأول يكون لموظفى المؤسـسة الصحفية بمن فيها من العمال والمحررين . والثانى لمشروعات التحسين فى الصحيفة .

فى التأميم لا يوجد ما ينص على طريقة ادارة الصحيفة . وفى التنظيم نص على أنه من حق الاتحاد الاشتراكى العربى أن يشكل مجالس ادارات الصحف ويعين لكل مجلس ادارة رئيسـا أو عضوا منتدبا أو أكثر . ويتولى المجلس نيابة عن الاتحاد الاشتراكى مباشرة جميع التصرفات القانونية .

ثانيـا — ان الميثـاق الذى زاد فى تأكيد ملكية الشعب للصـحافة أكد فى الوقت نفسه استقلالها عن الأجهزة الحكومية . وبذلك ينتزع للشعب أعظم أدوات حرية الرأى ويمنح الصحافة أقوى الضمانات لممارسة النقد الموجه للشعب أو الحكومة .

والأمر على عكس ذلك بالقياس الى الصحافة الشيوعية التى هى جزء من أجهزة الدولة والتى لا تملك الحرية فى توجيه النقد للمجتمع أو الحكومة .

ثالثـا — اننا ما زلنا إلى اليوم نفرق تفرقة واضحة بين الاشتراكية

المعتدلة والشيوعية . وقد اختار الشعب العربى لنفسه فى الجمهورية العربية المتحدة المذهب الأول لا الثانى . أو بمعنى آخر اختار الاشتراكية بالتطبيق العربى . وهى شىء بعيد عن الشيوعية .

وفى اعتقادنا الى الآن أن هذا الشعب لو عرضت عليه الشيوعية او أجرى له استفتاء عام فيها لرفضها رفضا باتا . واستند فى رفضه هذا الى أمور منها العقيدة الاسلامية التى لا تتفق مع مبادىء الشيوعية .

رابعا — ان النظريات الاعلامية فى ذاتها كبقية النظريات الاعلامية الأخرى — ليست متشابهة فى جميع بلاد العالم ... فاذا لم تشأ نظرية المسؤولية الاجتماعية فى أمريكا أن تحل مشكلات الاحتكارات واستقلال راس المال الخاص وغيرها من المشكلات الخطيرة على أجهزة الاعلام فى تلك البلاد — فان هذه النظرية — وهى نظرية المسؤولية الاجتماعية — قد استطاعت أن تجد حلا لهذه المشكلات التى تأثر بها الاعلام فى بلاد أخرى غير أمريكا ومنها الجمهورية العربية المتحدة . وقد جاء ذلك عن طريق محاولتين هما :

١ — قانون تنظيم الصحافة (سنة ١٩٦٠) .

٢ — الميثاق الوطنى (سنة ١٩٦٢) .

وليس معنى ذلك بالطبع أن حكومة الثورة صدرت فى هاتين المحاولتين عن النظرية الشيوعية . وهى النظرية التى أبى مؤلف الكتاب الا أن يسميها (بالنظرية الاشتراكية) . ولم يشأ أن يسميها باسمها المعروفة به لدى جميع دول العالم وهو (النظرية السوفيتية) . ومن هنا قامت حكومة الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة بتأميم كثير من المرافق العامة . كما قامت حكومة الثورة بمساندة العمال والفلاحين ، وجعلت لهم نسبة كبيرة فى مجلس الأمة .

ونحن نرى أن جميع هذه الجهود كانت تطبيقا سليما للديمقراطية فى بلد يؤمن بالاشتراكية المعتدلة . ولم تكن تطبيقا — بحال ما — للشيوعية .

خامسا — هناك نوع من التقارب بين نظريات الاعلام فى الوقت الحاضر . ومن آياته أن المجتمع الرأسمالى يضطر فى كثير من الأحيان

الى اختيار طريق التأميم حلا لبعض المشكلات الاقتصادية . وذلك برغم ان التأميم فى ذاته أصل من اصول الشيوعية .

(وبعــد) فانهم يقولون ان المجتمعات فى تطور مستمر ، وان حتمية التاريخ ستؤدى الى اعتناق الاشتراكية . وفى هذا الأخير عــلاج لأدواء البشرية . وهــذا كله صحيح فى جملتــه وتفصيله . ولكن ليس معنــاه فى اعتقادى ان السيطرة التامة فى نهاية الأمر لابد أن تكون للمذهب الشيوعى ما دام المذهب الاشتراكى قادرا على حل المشكلات التى يئن منها العــالم فى وقتنا الحاضر وربما فى الأزمنة المقبلة أيضا .

الفصل الثالث

الاعــــلام فى الدول النامـيـة

تنقسم المجتمعات الانسانية عند علماء الاجتماع الى ثلاثة أنواع هي : المجتمعات التقليدية ، والمجتمعات الانتقالية ، والمجتمعات الحديثة .

١ ـــ (**فالمجتمعات التقليدية**) هى المجتمعات التى يخضع فيها الفرد لسلطان العادات والتقاليد ، ويخضع فيها الفرد كذلك لنفوذ رجال الدين اذا كان لهم وجود هناك . والتطور فى هذه المجتمعات يسير ببطء شديد ، ووسائل الاعلام فى هـــذه المجتمعات بدائية ومتأخرة ، والأمية متفشية ، والأوهام كثيرة ومتسلطة . وفى هذه المجتمعات يقوم العرف مقام القانون ، وأهم من كل ذلك ان التفاهم بين الأفراد فى هذه المجتمعات ليس له لغـــة موحدة أو على الأصح لهجة واحـــدة . ذلك أن اللغـــات تتعدد فى هـــذه المجتمعات تعددا لا يساعد على تحقيق الغاية من الاعلام . ففى الهند مثلا نجد ثلاث عشرة لغة رسمية . بل قيل انها ١٢٥ لغة . « ودقات تام ـــ تام فى أواسط أفريقيا » تنقل لهجات عديدة لهـــا وجود فى تلك البلاد . ولابد من استخدام التراجمة والمفسرين اذا أريد اجتياز بعض المناطق الجغرافية هنـــــاك .

فاذا راعينـــا العوائق اللغوية وطول المسافات وصعوبة المواصلات علمنا كيف يكون التفاهم عسيرا لا يتيسر الا بصعوبة ومشقة » (١) .

نظر رجال الاعـــلام فى هـــذه الخطورة الناجمة من صعوبة التفاهم فى هذه المجتمعات . كما نظروا فى الصعوبات الناجمة من تفشى الجهـــل والأمية وسوء المواصلات فى تلك الجهـــات فانتهوا الى ان انسب وسيلة

---

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة ، ص ٣٧٦ .

من وسائل الاعلام الحديثة لمثل هذه المجتمعات التقليدية فى الوقت الحاضر انما هى وسيلة الاذاعة . وبمعنى أدق (جهاز الترانزستور) .

معنى ذلك أن الراديو هو أنفع وسائل الاعلام فى بلاد تتكلم الى أيامنا هذه بلغة الطبول والزهور . ويستحيل فيها اصدار صحف محلية اذ هى تعجز كل العجز عن أن تخاطب المواطنين بلغات متعددة فى وقت واحد . وذلك كله فضلا عن أن وصول هذه الصحف الى قرائها — ان وجدوا — قد لا يكون قبل مضى ثلاثة أو خمسة أيام فى حين أن الاذاعة بأجهزتها المعروفة تستطيع الاتصال بالجماهير اتصالا مباشرا وسريعا فى نفس الوقت وتستطيع أن تخاطبهم بلغاتهم الكثيرة اذا لزم الأمر (١) .

٢ — النوع الثانى هو (**المجتمعات الانتقالية**) ، وتسمى كذلك بالمجتمعات النامية . وهى مجتمعات بدأت طريق التقدم بالفعل . وربما قطع بعضها أشواطا كبيرة فى هذا السبيل . ومن دلائل التقدم فى هذه المجتمعات النامية زيادة نسبة التعليم زيادة ملحوظة ، وارتفاع مستوى المعيشة بحيث يشمل الرخاء أكثر طبقات الشعب ، ومنها الطبقة الفقيرة . وزيادة الوعى القومى ، والوعى الصحى ، والوعى العلمى ، والوعى الأدبى أو الفنى ونحو ذلك .

غير أن أهم ما تمتاز به المجتمعات النامية فى الحقيقة هو (زيادة التطلع) بين أفرادها الى مستقبل أفضل وحياة أفضل ونظام أفضل . ومن أجل ذلك نجد أن الدول النامية تشهد منذ منتصف القرن الذى نعيش فيه ثورة جديدة يمكن أن نطلق عليها اسم « ثورة التطلعات » وتعتبر وسائل الاعلام الحديثة سببا من أسباب هذه الثورة فى الحقيقة . ومن هذه

---

(١) وهنا نحيل القارىء الى التجارب الناجحة التى قام بها كل من (الأب ساليندا) فى كولومبيا عام ١٩٤٧ وتجربة (ميزون لافيت) فى قلب الغابة داخل قصر قديم امتلكته الاذاعة الفرنسية وراء البحار ، راجع : المصدر السابق ، ص ٣٧٩ ، ص ٣٨٢ .

الوسائل الاعلامية بطبيعـــة الحال كل من الصحف والاذاعة والتليفزيون والسينما والكتاب .

وبسبب هذه الوسائل الاعلامية كذلك زادت مطالب الشعوب النامية بما يزيد كثيرا على قدرة الحكومات التى تتولى أمر هذه الشعوب ومن ثم بدت هذه الحكومات وكأنها عاجزة عن تحقيق آمال الشعوب التى تحكمها . وهو أمر ادى الى حالة من السخط فى ثلاثة أرباع شعوب العالم فى الوقت الحاضر . والذى لا ريب فيه أن وسائل الاعلام تعتبر كذلك السبب الأول من أسباب تفاقم هذه الحالة والوصول بها الى هذه الدرجة من السخط والتذمر ، وذلك بما تنشره هذه الوسائل الاعلامية بين حين وآخر من وعود وآمال من جانب الحكام فى مستقبل زاهر وحياة كريمة ، وبما تنشره كذلك عن مستوى المعيشة فى الدول القديمة العهـــد بالتقدم والرخاء . ولعـــل من أسباب هذه الحالة التى تشير اليها كذلك — وهى حالة السخط والتذمر فى اكثر أجزاء العالم النامى فى الوقت الحاضر — زيادة الاتصال بين القرية والمدينة ، وازدحام العواصم الكبرى بأعداد غفيرة من المواطنين الذين هربوا من بؤس الحياة وشظف العيش فى الريف ، وجاءوا بأمل كبير فى لين الحياة وسعة الأرزاق فى العواصم .

الحق انه مما يزيد فى ثورة التطلعات التى نشير اليها ما نجده فى أغلب الدول النامية من الفروق الكبيرة بين القرية والمدينة ، ذلك أن سوء توزيع الثروة فى الريف وتوفير العناية بالمـــدن الكبيرة ، واهمال القرية من جميع الوجوه ، وتركيز التعليم والعلاج والصناعات ودور الحكومة فى العواصم — كل هذه الأمور تجعل مشكلة التطلعات تزداد فى كل يوم حدة على حدة .

وقد يسأل سائل . ولكن ما هو الطريق الى حل هذه المشكلة ؟.

والجواب على ذلك ان لكل داء دواء من جنسه . فاذا كانت وسائل الاعلام الحديثة هى التى ادت الى هذه الحالة الخطيرة ، فان هذه الوسائل الاعلامية هى التى تستطيع أن تشترك فى حل هذه المشكلة بأن تعدل تعديلا واضحا فى برامجها اليومية أو الدورية لكى تحقق هذه الغاية .

اذا كان اهمال القرية وتركيز النشاط الحكومى والنشاط الشعبى فى العواصم من الأسباب التى أدت الى هــذه الحالة الخطرة فان العناية بالقرية وتزويدها بكل أسباب الحياة الصحيحة أو السعيدة التى يحياها الناس فى العواصم يكون طريقا من طرق علاج هذه المشكلة .

وعلى ذلك يجب أن تتسع القرية منذ الآن لأجهزة الاعلام على اختلافها من صحف واذاعة وتليفزيون وسينما ومكتبة وناد ونحــو ذلك كما يجب ان تكون طرق المواصلات بين القرى والمدن سهلة ومتوفرة ومعتدلة الثمن .

وكذلك يجب أن يتوفر للقرى العدد الكافى من المدارس على اختلاف درجاتها ، والمستشفيات بجميع أشكالها ، وأن تبدأ القرية طورا جــديدا من أطوار حياتها يقوم على الصناعة بشرط أن تكون من وحى البيئة وذلك الى جانب الزراعة التى ستبقى طابعا للقرية لا تفارقها بحال من الأحوال .

بهذه الحلول وأمثالها لا يحس اهل القرى بالفروق البعيــدة بينهم وبين سكان المدن ، ولا يحسون الحرمان الذى يحسونه الآن بعد أن بدأوا يتطلعون الى الحياة التى من هذا النوع . والمواطنون المحدثون فى القرى مخالفون فى ذلك لآبائهم وأجدادهم كل المخالفــــة . فقد كان هؤلاء الآباء قد أراحوا أنفسهم من هذا التطلع ورضوا بحياة هى أكثر ملاءمة للمجتمعات التقليدية منها للمجتمعات النامية .

ونعود الى وسائل الاعلام فنقول انها تستطيع أن تنقذ الناس من هذه الحالة . ولا يكون ذلك الا بتقوية أجهزة الاعلام وتطوير برامجها وتغيير مضمونها بحيث تستطيع هذه الوسائل ان توجه الحكومة والشعب الى نشر مبادىء التضحية والعــدل والبذل وغيرها من المبادىء اللازمة للمواطنين فى مرحلة الصناعة أو مرحلة الانتقال من طور الى طور .

وهذا ما تفعله بعض الدول النامية فى الوقت الحاضر . ومنها الجمهورية العربية المتحدة . غير أن هناك دولا أخرى نامية عجزت عن اتخاذ مثل هذه السياسة . ومع هذا وذاك فمنذ سنة ١٩٦٠ والعالم يشهد تحول الثورات التطلعية فى هذه الدول الى ثورات أكثر عنفا وأعظم خطورة . وقد أطلقنا على هذه الثورات الجديدة اسم (ثورة التذمر أو السخط) .

ونعود فنقول هنا ان أول سبب من أسباب هـذه الثورة الجديدة هو وسائل الاعلام الحديثة ، ومن أسباب هذه الثورة كذلك عدم الاستقرار السياسى فى اغلب الدول النامية ، ثم من أسبابها أيضا تمسك الطبقة المثقفة فى الدول النامية بمبادىء الديمقراطية الغربية ، ومحاولة زرع هذا النبات فى ارض غير ارضه ، وفى فصل زراعى غير فصله . ومن هنا نجد بعض هذه الدول النامية يعانى من محنة التقلبات السياسية والثورات الشعبية ما يعوق تقدمه ويعرقل نموه ويؤدى ذلك كله الى عدم التوفيق فى اختيار الحكم الملائم له آخر الأمر .

ولذلك نجد دول أمريكا اللاتينية على سبيل المثال فى ثورة مستمرة الى يومنا هذا . وكذلك نجد شعوب شرق آسيا وبعض الدول العربية . وما تزال هذه الأخيرة موزعة بين الخوف من الاستعمار الغربى والخوف من الاستعمار الشـيوعى . وكذلك الشأن فى دول افريقيـا تلك الدول التى ما زالت تحترق بنـار البغض والكراهيـة للاسـتعمار الاوربى . على أن كراهية الدول النامية للاستعمار الغربى على هذا النحو هى التى تجعلها تتجه صوب الكتلة الشرقية واهمـة أن لهـذه الكتلة ايديولوجية ربما اعانتها على تحقيق أمانيها السياسية والاقتصادية فى اقرب وقت . وهكذا تقف الشيوعية أمام هـذه الدول النامية وكأنها الطريق الوحيـد الى الخلاص من حالة السخط الذى تشعر به .

فكر علماء السياسة فى أوضـاع الدول الناميـة فى الوقت الحاضر فاهتدوا الى أن أصلح نظام لهذه الدول هو النظام المبنى على نوع من الحكم الأبوى العادل . ومعناه اسناد الحكم فى هذه الدول النامية الى اقلية عادلة تسعى جهدها لتطوير المجتمع والقضاء على الأوضاع القديمـة الفاسدة فى هـذا المجتمع . ولاشك أن القضاء على القديم يتطلب نوعا من القيم الجديدة والمفاهيم الجديدة والقيادات الجديدة . وبدونها يستحيل التحول من طور الى آخر من اطوار الأمة .

وهكذا تواجه المجتمعات الانتقالية أو النامية مهمة صعبة هى مهمة تطوير هذه المجتمعات فى سنوات قليلة والوصول بها الى المستوى الذى تعيش فيه المجتمعات المتقدمة .

٣ — النوع الثالث (**المجتمعات الحديثة**) او المتقدمة وهى المجتمعات التى مرت فى طريق طويل من النضال والكفاح ، وتطعت فى هذا الطريق اعمارا طويلة من حياتهـــا .

اجل يحدثنا التاريخ ان هذه المجتمعات او الدول الحديثة او المتقدمة ومنها دول أوربا مرت بعصور كثيرة من اهمها : عصر الاستكشـاف ، وعصر الاضطهاد الدينى ، وعصر النهضـــة ، وعصر الثورة الصناعية ، وعصر الثورة الفرنسـية وهكذا . واما العالم فى تلك الدول المتقدمة فقد مر هو الآخر بعصر البخار وعصر الكهرباء ، وعصر الذرة . كل ذلك والدول الناميـــة او المتخلفة تقف من هــــذه العصور أو الأطوار موقف المتفرج او المتعجب لا اكثر ولا اقل .

ومرة اخرى نسأل أنفسنا :

ما هى وظائف الاعــــلام فى المجتمعات بأنواعها الثلاثة ؟ وهل يمكن أن نعقد موازنات بين الوسـائل الاعلامية فى هذه المجتمعات .

اما فى (المجتمع التقليدى) فقد راينا أن الراديو فى وقتنا هذا يعتبر انسب الوسـائل وانجحها فى الحقيقة . وذلك نظرا لانتشار الأمية من جهة وسوء المواصلات من جهة ثانية ، ولنقص القدرة المالية التى تقوم بالانفاق على وسـائل اعلامية اخرى آخر الأمر .

اما فى (المجتمع الانتقالى) أو النامى فما زال الراديو صاحب الأفضلية على الصحف بوجه خاص . وان كانت هذه الأخيرة تؤدى فى الوقت الحاضر دورا خطيرا فى عملية التطوير او الانتقال من حالة الى حالة افضل منها .

واما فى (المجتمع الحديث) أو المتقدم فان للكتب والسينما والمسرح والمعرض ، كما للمؤتمرات الصحفية الدورية، وأحاديث الشخصيات الكبيرة فى الدولة أثرا كبيرا فى توجيه الرأى العام . وليست الاذاعة فى هذه المجتمعات الحديثة الا وسيلة واحـــدة من بين وسائل اخرى عديدة ربما كانت اعظم من الاذاعة تأثيرا فى هـــذا المجتمع .

وبرغم ذلك فان الراديو فى المجتمعات الحديثة يمتاز على بقية الوسائل الاعلامية الأخرى بميزات عظيمة من أهمها :

١ — انه الوسيلة السريعة التى بها يمارس المواطن فى كل المجتمعات التى تحدثنا عنهـا ما يسمى (بحرية الاعـلام) أو بمعنى أدق (حرية الاستعلام) . ففى وسع المستمع فى أية جهة من جهات العالم أن يستمع الى محطات اذاعيـة كثيرة فى وقت واحـد أو فى يوم واحد . وتستطيع كل اذاعة من هذه الاذاعات أن تصحح الاذاعات الأخرى . لأن الحقيقة تقع بينها جميعا . وقلما تختص بهـا — اى بالحقيقة — اذاعة واحدة فقط . كل ذلك بطريقة سهلة قلما تتيسر للمستمع بعدوله عن الراديو الى الصحف .

ولكن ما هى وظائف الاعلام فى الدول النامية بصفة خاصة ؟.

من اليسير علينا أن نفهم أن المرحلة الانتقالية فى أى مجتمع انسانى يمكن أن تنقسم الى فترات زمنية ثلاث وهى :

الفترة الأولى — وفيها يكون الهدف الرئيسى للمرحلة هو تقوية سلطة القائمين بالأمر . ونعنى بها سلطة الأقلية التى جاءت للقيام بهـذه المهمة الخطيرة كما قلنا — وهى مهمة تطوير المجتمع .

لذلك نجـد أن وسائل الاعـلام فى هـذه الفترة من المرحلة تحاول ما وسعها ذلك اثبات شرعية هذه الأقلية الحاكمة . كما نجد الدول نفسها تحاول أن تسيطر كل السيطرة من جانبها على وسائل الاعلام فى هذه الفترة من المرحلة بنوع خاص . ومعنى ذلك أن على وسائل الإعلام فى هذه الفترة الأولى أن تدافع عن القادة ، وتسندهم مساندة قوية حتى يقوموا بواجبهم نحو هـذه المهمة الكبيرة وهى تطوير المجتمع .

الفترة الثانية من فترات المرحلة — وفيها تبذل وسائل الاعلام قصارى جهدها فى نقل آراء الشعب ، ووجهة نظره فى حـل المشكلات الناجمـة عن حركة التطوير الى القادة وعلى رأسهم رئيس الجمهورية .

الفترة الثالثة من فترات المرحلة — وفيها تقوم وسائل الاعلام بدور المتحـدث الدقيق بلسان الشعب ، وتمثيل السلطة الرابعـة فى الدولة

ـــ وهى سلطة الصحافة ـــ بالمعنى الواسع لهذه الكلمة ، وهو المعنى الذى يشمل الصحافة المكتوبة ممثلة فى الصحف والمجلات ، والصحافة المسموعة ممثلة فى الاذاعة ، والصحافة المرئية ممثلة فى السينما والتليفزيون .

وفى هذه الفترة الأخيرة نجد أن مستوى الأمة الاجتماعى والسياسى قد ارتفع ، وان الشعب قد بدأ يعــد نفسه اعــدادا سليما للديمقراطية الصحيحة بالمعنى الغربى ، ويكون الشعب فى هذه الفترة قد أنجز شوطا كبيرا فى طريقه الى تقــدم صحيح وحيـــاة أفضل .

ولكن ما هى الخطة الاعلامية فى الدول النامية ؟.

لا شك أن الهدف الأول ـــ بطبيعة الحال ـــ هو نقل المجتمع الى مرحلة جــديدة من مراحله . أو بعبارة أخرى تحويل هــذا المجتمع الى النظام الاشتراكى . واذ ذاك يجب على المجتمع أن يقوم بتحديد النظرية الاعلامية التى يأخذ بها ، ويلتزم الشعب ومعه الحكومة بهــذه الطريقة منذ اعلانها بالطرق الرسمية والطرق الشعبية .

وقد سبق أن عرضنا رأينا فى هذه النقطة الأخيرة . وقلنا ان النظرية الاعلامية التى تلتزم بها الجمهورية العربية المتحدة هى (نظرية المسؤولية الاجتماعيـــة) ، وليست النظرية السوفيتية . وهنـــا نســمع بالدعوة الى ما يسمى (بدستور المثقفين) لتحقيق هذه الغاية . كما نسمع بتنظيم الحلقات الدراسية ، ومعسكرات العمل الميدانى للارتفاع بمستوى العاملين فى أجهزة الاعلام . ولمنظمة اليونسكو مشاركة قوية فى هذا الميدان الأخير لابد انها ستترك أثرا قويا فى تمكين أجهزة الاعلام فىالدول النامية من القيام بدورها على أحسن وجه ممكن .

ان انتقال المجتمع النامى من مرحلة قديمة الى أخرى جديدة يحتاج فى الواقع الى القيام بعملين كبيرين هما :

الأول ـــ عملية التغيير الفكرى أو الأيديولوجى .

والثانى ـــ عملية التغيير الانتاجى والاقتصادى .

والتغيير الفكرى يهـدف الى محاربة الأفكار الرجعية التى تسيطر على المجتمع ومحاربة الانتهازية التى هى الطابع العـام لهـذه الرجعية فى كل مجتمع . ولا يكون ذلك مطلقا الا بطريقين لا ثالث لهما . .

الأول — طريق التعليم .

الثانى — طريق الاعـلام .

ففى التعليم توضع المناهج الجديدة التى تلائم المرحلة الجـديدة . وفى الاعـلام توضع البرامج الجديدة التى تتمشى مع الأوضـاع الجـديدة (كما سبقت الاشارة الى ذلك) .

وأما التغيير الانتاجى فيهدف الى بناء مجتمع جديد ، هو مجتمـع الكفاية والعدل . وقد ضربت الجمهورية العربية المتحـدة مثلا يحتذى به فى هذه الناحيـة .

وندع التغيير الانتاجى جانبا لأنه لا يعنينا فى هذا البحث . وننظر فى التغيير الايديولوجى . وهنا يقفز فى أذهاننا سؤال هام هو :

ما المفاهيم الجديدة والقيم الجديدة والقيادات الجديدة التى لابد منها للمجتمعات الانتقالية أو النامية لكى تسـير هذه المجتمعات فى طريقهـا السوى نحو التقدم الحقيقى ؟.

مما لا شـك فيـه أن مجموعة من القيم الجديدة لابد من توفرها للمجتمعات الانتقالية . وبدونها لا يحـدث الانتقـال من طور الى طور . ونريد أن نقرب هذا المعنى الى ذهن القارىء فنضرب له المثل هنا بالقرآن الكريم والشعر الجاهلى . أو بعبارة أخرى . بالفرق الكبير بين المثل الأعلى للعربى فى الجاهلية والمثل الأعلى للعربى فى الاسلام .

فالمثل الأعلى للعربى فى الجاهلية عبارة عن الفخر بالنجدة ، والفخر

بالكرم ، والفخر بالشراب ومخالطة النساء ، والدفاع عن القبيلة والأخذ بالثأر . وهذه صورة دقيقة للحياة فى نظر العربى فى الجاهلية (١) .

والمثل الأعلى للعربى فى الاسلام بخلاف ذلك جملة واحدة . فهو هنا الخضوع لله والانقياد لأوامره تعالى ، والتضحية بالمنافع الشخصية والمنافع القبلية فى سبيل الدين الجديد ، وتجنب الكبر والعظمة والتعالى على الناس ، والوفاء بالعهد فى كل وقت ، وبذل المال لمن يستحقون هذا البذل والصبر على الشدائد والمصائب ومنها مصيبة الحرب (٢) .

---

(١) يدلنا على ذلك أبيات لطرفة بن العبد . يجد القارىء العادى صعوبة فى فهمها لغرابة ألفاظها . أما معانيها فسهلة لأنها لا تخرج عما ذكرناه من أوصاف المثل الأعلى للعربى فى الجاهلية والأبيات هى :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وحقك لم أحفل متى قام عودى

فمنهن سبق العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الخباء المعمد

وكرى اذا نادى المضاف مجنبا ... كسيد الغضا ذى السورة المتورد

فهذا الشاعر يقول أنه لا يعيش فى هذه الدنيا الا ثلاثة أشياء هى الشراب والنساء والنجدة .

أما الشراب فقد عبر عنه فى البيت الثانى بالخمرة التى اذا علاها الماء أزبدت وصلحت للشراب . وأما النساء فعبر عنها فى البيت الثالث بقوله أنه يعشق المرأة الحسناء تحت الخباء المقام على أعمدة .

وأما النجدة فيعبر عنها فى البيت الأخير بقوله أنه مستعد على الدوام لنجدة من يستجير به . وأنه يفر لنجدته كما يفر الذئب الغاضب فى الصحراء .

(٢) وهذا المثل الأعلى فى الاسلام يعبر عنه القرآن فى آيات كثيرة منها :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . ومنها : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون =

وهذا الذى يحدث فى الثورات الدينية الكبرى كالمسيحية والاسلام يحدث مثله فى الثورات السياسية والاجتماعية الكبرى ، كالثورة الفرنسية والثورة الروسية والثورة المصرية لعام ١٩٥٢ وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فى العراق وغيرها .

وهذه الثورات السياسية والاجتماعية ليست الا ايذانا بميلاد عصر جديد أو مجتمع جديد ، هو المجتمع الانتقالى أو النامى على النحو الذى شرحناه من قبل .

وهنا يصبح المجتمع الجديد فى حاجة ماسة الى قيم جديدة ومفاهيم جديدة وقيادات جديدة .

ولنضرب المثل هنا بالمجتمع النامى فى الجمهورية العربية المتحدة وهو المجتمع الذى يأخذ فى وقتنا هذا بالاشتراكية العلمية بالصورة العربية، والتطبيق العربى لا الغربى كما نجده فى أية دولة من الدول الأوربية أو الآسيوية فى الوقت الحاضر .

ما هى المفاهيم الجديدة للجمهورية العربية المتحدة :

هناك مفاهيم سياسية واقتصادية ومفاهيم ذهنية وخلقية واجتماعية. فمن المفاهيم السياسية والاقتصادية :

١ — مفهوم الوحدة العربية من جميع النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاعلامية والتعليمية .

٢ — مفهوم الوحدة الافريقية لهدف الوحدة فى ذاتها أولا ، ولمحاربة الدعاية الصهيونية فى هذه القارة بعد أن بلغت هذه الدعاية مداها واستخدمت لذلك كل الوسائل .

٣ — مفهوم الحياد الايجابى ومعناه الوقوف موقفا وسطا بين المعسكرين الشرقى والغربى لاحداث التوازن بينهما .

= بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

٤ — المفهوم الجديد للثروة بما يتفق والاشتراكية العربية التى تؤمن بالملكية ، ولكنها تكفر باستغلال رأس المال وتحارب الاحتكار بجميع صوره.

٥ — مفهوم السلام العالمى ومكافحة الاستعمار بجميع اشـــكاله فى أية بقعة من بقاع الأرض . وفى رأى الايديولوجية السياســية العربية أن الاســتعمار الصهيونى ممثلا فى دولة اسرائيل انما يشـــكل اخطر انواع الاســـتعمار الحديث .

وغنى عن البيان أن هذه المفاهيم السياسية والاقتصادية لا تحتاج الى مزيد من الشرح بعد اذ أصبحت معروفة لكل عربى مهما قل حظه من الاتصال بالصحف والاذاعة وغيرهما من وسائل الاعلام المألوفة غــير أن هناك طائفة من المفاهيم الجديدة قد تحتاج الى شىء من الشرح ومنها :

١ — الشــعور بالمســؤولية الاجتماعية :

سبق أن قلنا ان الحرية فى النظام الرأسمالى حرية مطلقة توشك الا تكون لها حدود معينة . على حين أن الحرية فى ظل النظام الاشتراكى حرية مقيدة لصـــالح المجمــوع . ولا فرق بين الحرية الرأســـمالية والحرية الاشـــتراكية الا من هذه الناحيــة .

صحيح أن النظام الرأسمالى بدأ يشعر بخطورة الحرية التى لا حدود لها . ومن ثم أخذ يضع لها حدودا تقف عندها . غير أن هذه الحدود التى وضعت للحرية الرأسمالية — مهما بولغ فيها . فانها لا يمكن أن تصل الى مستوى الحدود التى وضعتها الحرية الاشتراكية ذاتها .

والواقع ان الحرية الاشتراكية لا تعنى غير المســؤولية الاجتماعية بكل ما تحمل هذه العبارة الأخيرة من معنى .

أليس من معانى المســـؤولية الإجتماعية عندنا نحن العرب ان كل مواطن عربى مسؤول عن المشاركة الفعلية فى بناء المجتمع الجديد ؟ . ومن ثم نرى الجمهورية العربية المتحدة — على سبيل المثال — تعيش فى هذه الحقبة الزمنية ثورات ثلاثا فى زمن واحد : ثورة سياسية ، وثورة اجتماعية،

وثورة اقتصادية . على حين أن المجتمع السابق لمجتمع الثورة فى مصر كان يعيش ثورة واحدة فقط ، هى الثورة السياسية .

والخلاصة ان المسؤولية الاجتماعية معناها تقديم الصالح العام على الصالح الخاص ولا شيء أكثر من ذلك .

٢ — التعـاون وانكار الذات :

ان بناء الوطن أو اعادة بنائه من جديد يحتاج الى تضافر القوى والى انكار الذات . بمعنى أن المواطن العربى فى المجتمع العربى اصبح عليه أن يقوم بكل ما يستطيع أن يقوم به من عمل ، عارفا أنه مهما بذل فى سـبيل هذا العمل فليس من حقه أن ينسب شيئا من الفضل لنفسه ، ولا أن يشيد بعمله ، ولا أن ينتظر عليه الأجر من الناس أو من الدولة . وان كانت الدولة نفسـها لا تنسى جهود العاملين ، ولا تترك فرصة من الفرص الا اشادت بهم ومنحتهم المكافآت المادية أو المعنوية التى يستحقونها على اعمالهم .

ومن شأن هذه الايديولوجية التعاونية أن تنظر الى الثروة — كمـا قلنا — على انها ملك لجميع الشعب . واذ ذاك فقط يسقط لفظ [الاحسان] ويحذف من قاموس الحياة الاشتراكية السليمة ، ويحل محله لفظ [الحق] الذى لكل فرد من افراد الأمة على الدولة .

فالضمان الاجتماعى حق .

واشراك العمال فى أرباح المؤسسات حق .

وأخذ ما زاد عن حاجة الأغنياء للفقراء حق وهكذا .

٣ — مبدأ تكافؤ الفرص :

وقد تبع هذا المبدأ الأخير من المبدأ السابق (لكل مواطن الحـق فى خيرات بلاده بقدر ما يعمل لها) . ولا يكون ذلك بطبيعة الحال الا اذا اتاح المجتمع لكل المواطنين فرصا متكافئة للعمل ، وفرصا متكافئة للربح الناتج عن هذا العمل ، بشرط الا يتم ذلك بطريق المجاملات أو « المحسوبيات » أو اعتبار الفرص المتكافئة نوعا من « التفضل » ونحو ذلك .

هذه بعض سـمات المجتمع الجديد الذى انتقلت اليه الجمهورية

العربية المتحدة . غير أن هذه المفاهيم الجديدة تحتاج الى قيادات جديدة لنشر هذه المعـانى الجـديدة .

فما هى القيادات الجديدة للمجتمع الجديد ؟

سبق أن ذكرنا أن الجمهورية العربية المتحدة تقف الآن فى المرحلـة الانتقالية من مراحل المجتمعات البشرية ، وانها لا تزال تمر بالفترة الثانية من فترات هذه المرحلة . ومعنى ذلك أن هذا المجتمع الذى نتحدث عنـه ما زال يعانى من صفتين هما .. صفة القلق ، وصفة التطلع . وقد سبق أن قلنا ان آمال الشعوب فى هذه الفترة تبـدو أعرض وأطول مما يلزم . وهنا تواجه الحكومات الاشـتراكية موقفا ينطوى على كثير من الحـرج والصعوبة . ومن ثم يحتاج المجتمع فى هذه المرحلة الى :

قيادات سياسية واقتصادية .

وقيادات اجتماعية وثقافيـة .

وقيادات اعلاميـة .

فالقيـادة السياسـية :

تتمثل أولا فى قائد المرحلة ونعنى به رئيس الجمهـورية باعتبـاره الرجل القادر على وضع الحلول الناجحة للتغلب على ثورة القلق والحلول الناجحة لثورة التطلع . ثم هو القادر على تحقيق آمال الشعب السياسية كالحياد الايجابى والوحدة العربية ، والآمال الاقتصادية الاشتراكية بتحديد الملكية وحسـن توزيع الثروة .

أما القيـادة الاجتماعية :

فان أول ما يجب عليها أن تدرسه هو خصائص المرحلة الانتقالية وأن تعمل على نشر القيم الجديدة للمجتمع الجديد على النحو الذى شرحناه من قبل أو على نحو أفضل منه كلما أمكن ذلك .

وعلى أساس من هذه الدراسة يمكن للقيادة الاجتماعية أن تنظر فى كثير من المشكلات الحاضرة ، كمشكلة الأسكان وزيادة السكان ومشـكلة المرأة ، ومشكلة العمال والفلاحين ، ومشكلة تحديد النسل ، ومشكلة الأمية

ومشكلة البطالة ، ومشكلة الاستهلاك الفردى والحد من هذا الاستهلاك ، ومشكلة الرقابة على ما يبدو من الانحرافات الفردية من جانب الرجعية والانتهازية كالرشوة والمحسوبية . واذا كان (التعليم) أمرا من الأمور التى تتصل بالقيادات الاجتماعية فعليها أن تعمل على نقل الأفكار الثورية للأجيال الجديدة عن طريق المدرسة والجامعة حتى يمكن التغلب على العقليات الجامدة التى لم تؤمن بعد بالثورة ولم تحاول أن تساير الركب .

وهنا نتقدم باحتياط واحد فقط وخلاصته أن للحكومة الاشتراكية أن تؤثر أو تغير أو تبدل أو تحذف أو تضيف ما تشاء الى المناهج الدراسية فى المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية . وحقها فى ذلك واضح لا يناقشها فيه أحد . ولكنها — أى الحكومة الاشتراكية — ينبغى لها أن تترك الجامعة دون أن تحدث هذه التغييرات فى مناهجها . ذلك أن الجامعة هى المكان الذى تتكون فيه شخصية الطالب الجامعى بعيدا عن كل هذه المؤثرات . ولأن ممارسة أى ضغط على الطالب الجامعى من جانب الأستاذ أو المنهاج أو الحكومة يعوق تكوينه العقلى ويؤثر فى نضجه الفكرى .

لذلك نكرر القول بأن من حق الدولة أن تتصرف كما تشاء فى مناهج التعليم العام . أما المناهج الجامعية فليس من الخير للدولة أن تحدث فيها أى تغيير أو تبديل .

غير أن ذلك لا يمنع مطلقا من أن يفتح الباب على مصراعيه أمام طلبة الجامعات لكى يناقشوا الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى خلقها الوضع الاشتراكى . وبهذه الطريقة — وليس بطريق العبث بمناهج الدراسة — يستطيع طلبة الجامعات أن يكونوا لأنفسهم رأيا سليما فى هذه الموضوعات .

ولا شك أن الفرق كبير بين عقلية الشباب المتحركة وعقلية الرجعيين الجامدة . وآية ذلك ان كل ثورة من الثورات السياسية وغير السياسية انما تنبع أولا من عقول الشباب ثم تسرى منهم الى سواهم من المواطنين فى الأمة .

اما القيـــادات الاعلامية :

فنحن نعرف ان الاعلام بمعناه الواســـع يشـــمل الاشـــياء المكتوبة والأشياء المسموعة ، والأشياء المرئية ، وقد أشرنا فى تضاعيف الكلام عن وســـائل الاعلام أنها يجب أن تســـــاير الفترات الزمنية الثلاث للمرحلة الانتقاليـــــة .

ففى الفترة الأولى — تبذل وسائل الاعلام أقصى جهدها فى نشر الثقة بالأقليـــة الحاكمـــة .

وفى الثانية — تقوم وسائل الاعلام مقام الوسيط بين الحاكم والمحكوم، وتسمع هذه الأقلية الحاكمة صوت الشعب المحكوم .

وفى الثالثة — تبلغ وسائل الاعلام أعلى مستوياتها فى تمثيل السلطة الرابعة فى المجتمع ، وهى السلطة الاعلامية أصدق تمثيل وأعظمه .

أما القيادات الأدبية والعلمية والفنية فأصحابها بطبيعة الحال هـــم وحـــدهم المثقفون فى الأمة . وعليهم واجب كبير هو الاشـــتراك العقـــلى فى بنـــاء هـــذه الأمة .

(فالقيادة الأدبية) تهدف الى خلق أيديولوجية جديدة للأدب ، ودعوة الى نوع جديد من هذا الأدب ، وهو هنا (الأدب الهـــادف) . أما الأدب الخيالى أو الرومانسى أو الأدب المبنى على الأساطير والخرافات فلا يكون الا لمجرد الامتاع والتسلية ، وليست هذه الأخيرة محترمة .

(والقيادة العلمية) تتمثل فى محاولة العلماء فى وقتنا هذا اللحـــاق بركب العلم فى الأمم المتقدمة — تلك الأمم التى قلنا أنها قطعت عصر البخار وعصر الكهرباء وانها تعيش الآن فى عصر الذرة . ولا ينبغى لنا أن نكتفى بسرد القصص العلمية التى توضح لنا جهود العلماء فى ميـــادين الاختراع ونحو ذلك . بل يجب أن ننتقل من ذلك الى الاشتراك العقلى فى حـــــركة الاختراع نفســـــــها .

(والقيادة الفنية) يتلخص هدفها فى جعـــل الفنون على اختلافها مسايرة لتقدم المجتمع ، خادمة لأغراضه الجديدة وأوضاعه الجديدة ، معبرة عن آماله العريضة ، معنية بالشعب او بالطبقة الجديدة التى ظهرت فى هذا الشعب وهى طبقة العمال ومعها طبقة الفلاحين الموجودة قبل ذلك . وذلك بدلا من العناية بطبقة الأغنياء وأصـــحاب رؤوس الأموال وذوى الجاه والســـلطان ومن اليهم .

الحق — ان فى وسع الأدب أو الفن أن ينفخ فى روح المجتمعـــات الجديدة ، وأن يساعدها على ادراك الحياة الجديدة ، والقيم الجـــديدة والمفـــاهيم الجـــديدة .

لعل هذه الأسباب المتقدمة هى التى رمت الى التفكير فيما ســـمى (بدســـتور المثقفين) . وقد أعدت (أمانة الفكر والدعوة) بالاتحـــاد الاشـــتراكى العربى بالقـــاهرة هذا الدســـتور ، فقالت فى ضرورة الأدب والفن :

« الأدب والفن الثوريان هما الوجه الآخر من العملة التى تسـكها الثورة لنفسها . أما الوجه الأول فهو الوجه الاقتصـــادى والاجتماعى ، ومعنى ذلك انه يجب أن نتحدث دائما عن التخطيط الثقافى والفنى فى نفس الوقت الذى نتحدث فيه عن التخطيط الاقتصادى بوصـــف إن التخطيطين وجهان لشىء واحد هو الثورة . ان هدف الثورة الاقتصادية والاجتماعية هو اكفاء (أى توفير) الحاجة المادية للمواطن الاشـــتراكى . وهدف الفن والأدب هو اكفاء حاجته الروحيـــة .. وما لم يكن لدينا ادب وفن من نوع آخر فلن نستطيع انجاح الثورة وتدعيمها .

وطرح الدستور هذا الســؤال : هل نقف على الحياد بين المذاهب الفنية المختلفة ؟ واجاب عنه بقوله : ان النهج الاشـــتراكى الذى اخترناه اسلوبا لحياتنا يفرض علينا أن نقف الى جوار المدارس الفنية التى تناصر الانسان وتعطف عليه وعلى مشاكله وتهتم اهتماما أصيلا بتقدمه » .

ثم طرح الدستور سؤالا آخر وهو : كيف يتجه الكتاب ورجـــال

الاعلام للشعب ؟ واجاب عن ذلك بقوله : ان الهدف الرئيسى لأجهزة الاعلام والثقافة هو مساندة عملية التحول الاشـــتراكى على الصعيد المادى ، واحداث تحويل اشتراكى فكرى وفنى فى قطـاع الثقافة والاعلام .. وان الطريقة الوحيدة لفهم الجماهير وتغييرها هى التعبير عن الجماهير فعلا . وبهذا تتغير الجماهير وتتطور ؟ ويتغيير معهـــا من يتصدون لقيادتهـــا وتعاليمهـــا » .

ومن الأسئلة التى طرحها الدستور كذلك : هل الدولة وصية عـلى الفنان ؟ وأجاب عن ذلك بالانكار . ولكن فى الوقت الذى لا تقيم فيه الدولة من نفسها وصية على الفنـــان ، فإن من واجبها أن تحرص على توفير الظروف التى تتيح له أن يتحول تلقائيا الى طريق الاشتراكية .. يجب ان نحذر من مطالبة الفنان بالالتزام الحرفى بتفاصيل الخطة وأهدافها . ونكتفى بأن يؤيد روح الخطة وروح الهدف .

الباب الثالث

الدعـــــاية

الفصل الأول

ما هى الدعـــــاية

الدعاية هى محاولة التأثير فى الأفراد والجماهير والسيطرة علـى سلوكهم لأغراض مشكوك فيها ، وذلك فى مجتمع معين وزمان معين ولهدف معـين .

وقد عرفت الدعاية منذ فجر التاريخ ، وكانت الخطابة اليونانيـــة القديمة وسيلة من وسائلها . واعترف إفلاطون بقيمة الخطابة فى ميـدان الدعاية السياسية . وكذلك كان الشعر عند اليونان القدماء . أما العرب فقد كان اعتمادهم على الشـــعر فى الدعاية أكبر من اعتماد غيرهم من الأمم ـــ وذلك باستثناء اليونان والرومان القدماء . وهم الذين اتخذوا من الشعر الحماسى فى كل من الالياذة والأوديسا وســـيلة لاثارة الجماهير والهاب مشـــــاعرهم .

وأما فى المجال الدينى فقـد لعبت الدعاية دورا فى غاية الخطورة . وفى عهد البابا جريجوار السابع عقد مؤتمر لنشر الدعاية بالمذهب الكاثوليكى . ويقال ان من هذا المؤتمر أخذت كلمة (الدعاية) معناها فى اللغات الأوربية الحديثـة .

هـذا فى التاريخ الأوربى . أما فى التاريخ الاسلامى ـــ وفى الحروب الصليبية بنوع خاص ـــ فقـد لعبت الدعاية دورا أهم وأخطر من جميع الأدوار السابقة . ذلك أن فكرة الحرب من حيث هى اشترك فى الترويج لها فقهـاء الدين عن طريق « القصص الدينى » الذى كان يلقى على الجنود فى الميدان . وكان يقوم به رجل من أخطر موظفى الدولة وهو « القاص » كما اشترك فى الترويج لها كذلك الأدباء من شعراء وكتاب وخطباء اثاروا

الحمية فى النفوس وأشعلوا نار العصبية الاسلامية حتى تسابق الجنــد الى الاستشهاد فى سبيل الله والاسلام وباعوا نفوسهم رخيصة من أجله (١) .

ومنذ بداية الحرب العالمية الأولى وفى أثناء هذه الحرب ظهرت الحاجة ماسة الى الدعاية السياسية . وتطورت الدعاية ذاتها حتى أصبحت علما من العلوم له قواعده وأصوله . وكان لكل دولة من الدول المشتركة فى الحرب العالمية الأولى سياستها فى الدعاية التى تخالف بها سياسة الدولة الأخرى .

فسياسة انجلترا تقوم على اقناع الدول المتحالفة معها بعدالة الانجليز واحقيتهم فى هذه الحرب وبأن النصر سيكون حليفا لها فى نهاية الأمر .

اما المانيــا فتقوم سياســتها على مجرد الدفاع أو الرد على دعايات الحلفــاء وهكذا .

والمهم هو أن الدعاية كانت الأداة السرية الرئيسية فى الحرب وكان يطلق على هــذه الدعاية السرية عند الانجليز اسم (الحرب السياسية) وعند الألمان (الحرب الثقافية) وعند الأمريكيين (الحرب السيكولوجية) . وكلها تهدف الى جعل الآخرين يتصرفون كما تريد هذه الدعاية أن يتصرفوا وان يعملوا . وفى ذلك يقول قائد المانى من قادة الحرب فى ذلك الوقت :

« اننا نستهلك الكثير من القنابل لندمر بها مدفعا واحدا فى يد جندى . اليس الأرخص من ذلك ان توجــد وسيلة تسبب اضطراب الأصـــابع التى تضغط على زناد ذلك المدفع فى يدى الجندى ؟ » .

من أجل ذلك اخذ الانجليز ينظمون لأنفسهم فى الحرب العالمية الأولى دعاية من هذا النوع . وكانت الصحف احدى وسائلها . وكان الصحفى الانجليزى (نورثكليف) هو المنظم الحقيقى لها . وكان أسلوب هذا الصحفى يقوم على نشر روح الهزيمة فى داخل المانيا اعتمادا على القاعدة التى تقول ان روح الهزيمة انما تبدأ أولا فى الجبهة الداخلية للعــدو .

---

(١) لمن أراد المزيد عن حركة الاعلام والدعاية الإسلامية فى أثناء الحروب الصليبية أن يرجع الى كتاب (أدب الحــروب الصليبية للمؤلف ، طبــع دار الفكر العربى بالقاهرة) .

انواع الدعاية :

والدعاية فى ذاتها انواع او الوان منهـــا :

١ ــ الدعاية البيضـــاء .

٢ ــ والدعاية الســـوداء .

٣ ــ ودعاية تتخذ لنفســـها لونا بين الأبيض والأسود وتسمى الدعاية الرمادية .

فالدعاية البيضاء : هى الدعاية المكشوفة غير المستورة . وهى عبارة عن النشاط العلنى من أجل هدف معين . كما يكون ذلك فى الصحف والاذاعة ووســائل الاتصـــال بالجماهير .

والدعاية السوداء : هى الدعاية المستورة . وتقوم عادة على نشاط المخابرات السرية . ولا تكشف الدعاية الســـوداء مطلقـــا عن مصادرها الحقيقية . ولكنها تنمو وتتوالد بطرق سرية . وذلك فى داخل أرض العدو أو على مقربة منهـــا .

والدعاية الرمادية : هى الدعاية التى لا تخشى من أن يقف النـــاس على مصادرها الحقيقيـــة . ولكنها تختفى وراء هـــدف من الاهـــداف . ومن الأمثلة عليها اذاعات أوربا الحرة . . وهى عبارة عن شبكة من المحطات الاذاعية تتولاها (اللجنـــة الأهلية لأوربا الحرة باسم الاذاعة الموجهـــة) الى دول شرقى أوربا وجنوبى شرقها ، وهى بولنـــدا وتشيكوسلوفاكيا ، والمجر ، ورومانيا ، وبلغـــاريا . والهدف من هـــذه الاذاعات الموجهـــة انما هو احباط الدعاية الشيوعية فى تلك البـــلاد .

ويصح أن ننظر الى الاذاعة الموجهة ــ وهى جزء من برامج الاذاعة فى الجمهورية العربية المتحدة ــ على انها من هذا النوع بالرغم من أن اللون الغالب على هذه الاذاعة الموجهة فى مصر هو اللون الثقافى . أى أن الدعاية التى من هذا الطريق دعاية غير مباشرة . والدعاية غير المباشرة أقوى تأثيرا بدون شك من الدعاية المباشرة .

وسائل الدعاية السـوداء :

وللدعاية السـوداء فيما عدا الاذاعة السرية وسائل اخرى كثيرة . منها وسيلة الصحف السرية والنشرات أو المطبوعات السرية . وتزييف اغلفة الصحف الوطنية . كما فعلت اسرائيل فى استخدامها غلاف مجلة مصرية هى مجلة (روزاليوسف) فى نشر دعاية سـوداء ضد الجمهورية العربيـة المتحـدة .

د. اساليب الدعاية :

للدعاية فى ذاتها عوامل واساليب كثيرة منها على سبيل المثال :

ا — اسـلوب النكتة :

وللنكتة تاثير كبير فى الراى العام كما نعرف . وخاصة فى الشعوب التى تميل بطبيعتها الى ذلك ، كالشعب المصرى . وقد يحدث أحيانا أن يكون لبعض النكات تاثير فى الرأى العام اكبر واعمق من تأثير المقالات الصحفية والأحاديث الاذاعية . ولذلك تعنى البـلاد المعادية دائما بجمـع النكات ذات الهـدف السياسى . فعلت ذلك انجلترا فى أيام موسولينى وحاولت سنة ١٩٥٦ — اى فى اثناء العدوان الثلاثى على مصر — أن تستغل بعض هذه النكات فى نقد الأوضـاع القائمة فى مصر فأشاعت النكتة التالية :

« اشترى رجل اقة سمك . وتوجه بها الى منزله . فقالت له زوجته : مفيش زيت (باللهجة العراقية : ماكو دهن) . فذهب الرجل الى البقال ليشترى زيتا . فوجد طابورا من الناس أمام البقال ينتظرون وصول الزيت . واخيرا وبعد طول انتظار لم يصل الزيت . فعاد الرجل غاضبا الى منزله واخذ السمك والقى به فى النيـل . فاخرج السمك رأسه من الماء وقال : يعيش جمال عبد الناصر » .

وبتحليل هذه النكتة والبحث عنها وجد انها أخذت أخذاً من الكتاب الذى جمعت فيه النكات التى ترجع الى أيام موسولينى ولم يحدث التغيير

الا فى عبارة « يعيش الدوتشى » . فقد حذفت وحل محلهـــا « يعيش جمال عبـــد النـــاصر » (١) .

٢ ــ اســلوب التــكرار :

وهو من اهم اساليب الدعاية فى الواقع ومن اهم اساليب الاعـــلان كذلك . ومن اجل هذا لا تكتفى سلعة من السلع فى الاعلان عن نفســـها بمرة واحدة فى الصحف أو الاذاعة او التليفزيون ولكنها تاخذ فى تكرار الاعلان عن نفسها بكل الوسائل المتقدمة حتى تطمئن الى أن هذا الاعلان قد استقر فى اذهان الناس بصورة عميقة وطويلة الأمد .

وكذلك الدعاية السياسية أو الاجتماعية لا غنى لها مطلقا عن التكرار وسيلة من وسائل تثبيت المعلومات فى عقول الجمهور فعلى الصحف والاذاعة والتليفزيون وجميع وسائل الاعـــلام المعروفة أن توالى نشر الموضوعات التى تتصل بانتصارات الشعب ، ومؤامرات الاستعمار وحيله والاعيبه . وعليهـــا أن تقوم بواجب الرد على الدعاية الســـوداء . ولعـــل اذاعـــة (صوت العرب) فى القاهرة اقوى مثل على ذلك .

٣ ــ الأســلوب الدينى :

وقد اعتمدت العصور الانسانية كلها تقريبا على هـــذا الاسلوب . ويكفى أن نذكر الحروب الصليبية ، وما قام به الخطباء الدينيون من الجهد الكبير فى مساندة السلطان صلاح الدين الأيوبى وأولاده فى هذه الحرب . وظفر صلاح الدين بفتح بيت المقدس . فتزاحم الشعراء لتهنئته فى ذلك اليوم ومنهم الشاعر الذى قال :

اتــرى منـــاما مـــــا بعينى ابصر
القـــــدس يفتـــح والفرنجـــة تكسر
من كان هـــــذا فتحـــه لمحمـــد
مـــاذا يقـــال لـــه ومـــاذا يذكـــر

---

(١) من محاضرات القاها الدكتور محمد عبد القادر حاتم على طلبة قسم الصحافة بجامعة القـــاهرة .

وأما الخطباء فقد تبارزوا كذلك فى اذكاء الروح الدينى بكلمات لا يتسع المجال لذكرها . وليرجع اليها من أراد فى كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شــــامة .

وفى مصر وفى أثناء العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ : كان من الاناشيد الحماسية التى ألهبت نفوس الشعب كله نشيد ...

الله أكبـــــر الله أكبـــــر

الله أكبر فـــوق كيـــد المعتـــدى

والله للمظلوم خير مؤيد ... الخ

٤ — اســلوب الكذب والاختــلاق :

وللدعاية فى الواقع أساليب غـــير مشروعة منهـــا أسلوب التحريف والتزييف ، وأسلوب الحـــذف أو البتر ، وأسلوب الكذب والاختـــلاق . وقد اعتمد (جى دى موليه) على هذا الأسلوب الأخير فى أثناء العــدوان الثلاثى على مصر فأذاع بأن الجيش الفرنسى سيطر سيطرة تامة على مدينة الاسماعيلية . غير أنه عقب هـــذا التصريح الكاذب بساعة ونصف ساعة كان الفرنســـيون المقيمون فى الاسماعيلية قـــد أبرقوا الى باريس يقولون أن (جى دى موليه) كذب فيما أدلى به من تصريح .

٥ — أسلوب الاستضعاف والاستعطاف :

ومن الأساليب الهامة فى الدعاية أسلوب الاستضعاف بغيـــة التأثير فى نفوس الشعوب والحكومات .. وعليـــه تعتمد الصهيونية كثيرا فى نشر دعايتها ضد الدول العربية فى ربوع أمريكا . وهى الدعاية التى تدافع بها اسرائيل عن كيانها وبقائها فى المنطقة ... ومن ذلك ما تعتمد عليه الصهيونية هناك فى أمريكا من استخدام عبارات مؤثرة فى نفوس الشعب الأمريكى مثل قولهم (اعطونا لنعيش) . ومع هذه العبارة رسم لطفل صغير يريد الطعام فلا يجده . وبذلك يستدرون عطف الأمريكيين ويستجدون عطاءهم .

٦ — الأناشيد والأغانى :

وقد ثبت أن هذا الأسلوب من أهم أساليب الدعاية . وكانت تجربة العدوان الثـــلاثى على مصر من أقوى الشواهد على ذلك . وكما نجحت

الدعاية الشيعية فى انتصار السلطان صلاح الدين على الصليبيين في العصور الوسطى ، فكذلك نجحت الأغانى والأناشيد الوطنية في نجاة مصر من العدوان الثلاثى .

ويطول بنا القول لو أردنا أن نستعرض طائفة من هذه الأناشيد والأغانى . وقد اشرنا منها الى نشيد (الله اكبر) . ومن هنا أصبح لكبار المغنين فى مصر من أمثال محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش والسيدة أم كلثوم دين كبير فى عنق الوطنية المصرية العربية التى كتب لها النصر فى ذلك الوقت .

٧ ــ الشعارات :

والشعارات عبارة عن الكلمات البسيطة التى تصدر عن الزعماء فى كل حركة من الحركات السياسية والاجتماعية ثم يرددها الشعب نفسه كما يردد الأغانى والأناشيد القومية . ففى الثورة الشعبية لسنة ١٩١٩ كان من الشعارات التى يرددها الزعيم سعد زغلول قوله « الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة » . وقوله « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » ... الخ .

ومن الشعارات التي كان يرددها الرئيس جمال عبد الناصر فى ثورة سنة ١٩٥٢ وما زال يرددها قوله « ارفع راسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد » ...

ان هذه الشعارات تذكرنا دائما بما كان للأحاديث النبوية الكريمة من قوة التأثير على المسلمين ــ والقياس هنا مع الفارق البعيد بينهما .

وللرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الأحاديث النبوية ما يقوم مقام هذه الشعارات السياسية أو الدينية . ويزيد عليها كثيرا فى قوة التأثير على النفوس .

ومن ذلك قوله :

« المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » .

وقوله : « الجنة تحت ظلال السيوف » .

وقوله : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » .

وقوله : « ان الدين متين . أوغل فيه برفق . ان المنبت (١) لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى » ... الخ .

٨ — اسلوب منطاد الاختبار او جس نبض الراى العام :

ويكون ذلك غالبا عن طريق الشائعات واطلاقها بين الناس فى وقت معين ، ثم القيام بتحليل الرأى العام بالنسبة لهذه الشائعات . فاذا اثبت التحليل نجاحها ذاعت وتكررت . واذا اثبت فشلها عدل عنهـا الى غيرها وهـكذا .

وكثيرا ما تعتمد وكالات الأنباء على هذا الاسلوب الأخير من أساليب الدعاية . فتنسب الوكالة كلاما معينا الى شخصية مسؤولة فى احدى الدول ضد دولة أخرى . وهنا يحدث هذا التصريح بلبلة فى الأفكار لابد أن تقابله الدولة المقصودة بهذا التصريح بمجهود دعائى كبير للعمـل على احباطه . وقد يكون جس نبض الرأى العـام بطريق مقالة تنشر فى الصحف حـول موضوع معين . فاذا رضى عنه الراى العام أعلن صاحب المقال — وكثيرا ما يكون رئيس الدولة أو رجـلا مسؤولا فيهـا — انه صاحب الفكرة . واذا سخط الرأى العام فان كاتب المقال يصرح بأنه لا يوافق على الفكرة أو الموضوع ايثارا للصالح العـام للأمة .

عد العلماء من أساليب الدعاية هذه ثلاثين أسلوبا . وقد اكتفينا نحن منها بهذا القدر . ذلك أن العبرة من هذه الأسباب والعوامل ليست فى كميتها ولكن فى الطريقة التى تمارس بهـا .

على أن العقـل البشرى يخترع فى كل يوم جديدا من هـذه الطرق والأساليب كما سيتضح لنـا ذلك بجلاء عند الكلام عن الدعاية النازية ، والدعاية الصهيونية ، والدعاية السوفيتية (٢) .

---

(١) المنبت : هو الذى انقطع عن أصحابه فى السفر لأنه أجهـد دابته لكى يسبقهم فنفقت دابته .

(٢) رأينا أن نسبق ذلك بالكلام عن نموذج من نماذج الدعاية الاسلامية فى العصر الوسيط — هو الدعاية الأموية — وذلك بعد أن تحدثنا فى كتابنا السابق (الاعلام تاريخه ومذاهبه) عن الدعاية الفاطمية والدعاية الايوبية .

الفصل الثانى

الدعاية الأمـــوية

من الحقائق التى لا تحتاج الى تدليل ان الاسلام ــ باعتباره دينا ــ لم يحتج الى دعاية وانما احتاج الى اعلام . ولكن الاســـلام ــ باعتباره سياسة ــ احتاج الى الدعاية قبل كل شىء . اجل لم يكن الدين الاسلامى بحاجة الى (دعاية) بل كان بحاجة الى (اعــلام) . والاعلام هو اذاعة الحقائق والوقائع كما حدثت بصورتها الحقيقية . وأما الدعاية فهى فى اجتذاب الجماهير ولو كان ذلك عن طريق الباطل فى بعض الأحايين . والاسلام حق ، والرسول حق ، والقرآن حق (كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) تنزيل من عزيز حكيم .

من اجل ذلك لا يستطيع التاريخ أن يفسر حركة واحــدة من حركات الرسول ولا كلمة واحدة من كلماته على أنها دعاية . ولكن يستطيع ان يفسر كل هذه الحركات والخطب والأحاديث النبوية على أنها اعلام بأكمل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . حتى الشعر الذى كان يلقيه الشعراء بين يدى صاحب الرسالة ــ كشعر حسان بن ثابت ــ لم يكن من قبيل الدعاية للاســـلام ولا لبنى الاسلام لأن الاســـلام ونبيه لم يكونا بحاجة إلى شىء من ذلك . بل ان القرآن نفسه ذم الشـــعراء ... قال تعالى : **(والشـــعراء يتبعهم الغــاوون . الم تر انهم فى كل واد يهيمون . وانهم يقولون ما لا يفعلون)** . هذا مع علمنا بأن النبى كان يستمع الى الشعراء ، وكان يثيب بعضهم كذلك . وقل مثل ذلك فى الشرائع والعبادات التى سنها الاسلام كالصلاة والصيام والحج . فلم يكن اجتماع المسلمين للصـــلاة يوم الجمعة أو فى الأعياد للدعاية أو الاعــلان . ولا كان اجتماع المسلمين فى مكة للحـــج كل عام للدعاية والاعلان . انما كانت هذه الشـعائر الدينية تقام لوجه الله تعالى لا للتظاهر أو الفخر أو الزهو وغير ذلك من معانى الجاهلية .

***

وانقضى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وتبعه عهد الخلفاء الراشدين وكان فى حقيقته امتدادا لعهد صاحب الرسالة . ولم يستطع التاريخ أن يفسر حركات عمر وعثمان وعلى بن ابى طالب بأنها دعاية . ذلك أن عهد الخلفاء الراشدين كعهد صاحب الرسالة كان يعتمد على (الاعلام) وليس على (الدعاية) . ومن ثم نظر التاريخ الى عصر صدر الاسلام ، على انه العصر الذهبى لهذه الأمة الاسلامية ، وذلك من حيث نقاء العقيدة ، واستقامة الطريقة ، وحسن الأمثولة .

ثم ظهرت الدولة الأموية . وبهذه الدولة الجديدة تحولت الخلافة الاسلامية الى حكم استبدادى على غرار الحكم الفارسى المعروف قبل ظهور الاسلام . ومنذ ذلك التاريخ انقسم المسلمون الى فرق دينية كثيرة ، ربما كان اهمها ما يلى :

فرقة اهل السنة ، وفرقة المعتزلة ، وفرقة الشيعة .

واذ ذاك حل الخصام بين هذه الفرق محل الوئام . واضطربت الحياة الاسلامية ذاتها ولم تعد بحاجة الى الاعلام قدر حاجتها الى الدعاية .

اما مذهب أهل السنة فعليه الكثرة الغالبة من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . وعليه كذلك الدولتان الأموية ثم الدولة العباسية فى اكثرها .

واما مذهب الشيعة — وهم المتشيعون لعلى بن ابى طالب (رضى الله عنه) — فقد انتشر فى العراق وايران . وعليه كانت دولة كبيرة فى تاريخ مصر هى الدولة الفاطمية .

واما مذهب المعتزلة — وهم فرقة دينية بلغت اوجها فى القرن الثالث الهجرى — فقد تحمس له بعض الخلفاء العباسيين .. واتخذوا الاعتزال مذهبا رسميا للدولة . وكان الكاتب العربى المعروف بالجاحظ اكبر الدعاة لفرقة المعتزلة التى هى فى الأصل احدى فرق السنة ثم استقلت بهذا المذهب . ولكن :

ما هى الأسس التى بنيت عليها الدعاية الاسلامية ؟

كان الأساس الذى بنيت عليه الدعاية والاعلام عند أهل السنة هو (النقل) لا (العقل) . فكل ما نقل عن القرآن الكريم أو نقل عن الرسول العظيم كان يعتبر قاعدة أساسية للحياة الاسلامية من جميع جوانبها . واما ما عدا ذلك فانه لا يلتفت اليه مهما كان المصدر الذى نقل عنه .

وكان الأساس الذى بنيت عليه الدعاية والاعلام عند الشيعة يختلف باختلاف الفرق الدينية التى تنتمى الى هؤلاء . (فالامامية) من فرق الشيعة تستند فى الاعلام والدعاية الى (العقل) . و (الغلاة) من فرق الشيعة يستندون الى أساس غريب كل الغرابة على أهل السنة . وهذا الأساس هو القول (بالعلم الباطن) . وهو العلم الذى زعموا أن على بن أبى طالب ورثه عن الرسول صلوات الله عليه وسلامه قبل موته . ثم ورثه على ابناءه من بعده .

أما المعتزلة فقد اشتركوا مع الامامية من فرق الشيعة فى الأساس الذى بنوا عليه اعلامهم ودعايتهم وهو (العقل) . ولكنهم — أى المعتزلة — زادوا عليهم فى ذلك . ولذا أطلق المؤرخون على المعتزلة — بنوع خاص — اسم (المفكرين الأحرار) . غير أن هؤلاء المعتزلة وضعوا لأنفسهم قاعدة فى غاية الخطورة ، وهى أنهم بنوا اعلامهم ودعايتهم على (الاقتناع) فان لم يأت بفائدة فبشىء أخطر من ذلك هو (السيف) . ومن أجل ذلك تعرضت للسيف رقاب الكثرة من الفقهاء السنيين الذين خالفوا المعتزلة فى مسائل كثيرة من اهمها القول بخلق القرآن . لنا بعد ذلك أن نبحث فى :

وسائل الدعاية لكل مذهب من المذاهب السابقة :

تلك هى الأسس التى بنيت عليها الدعاية فى كل مذهب من المذاهب المتقدمة . أما الوسائل التى مارستها الدعاية فى كل واحد منها فتتلخص فيما يلى :

كانت وسائل الاعلام والدعاية للقائمين بمذهب أهل السنة هى الكتاب والقصيدة والخطبة على هذا الترتيب . كما كانت وسائل الاعلام والدعاية

للقائلين بمذهب الشيعة لا تعدو القصيدة والكتاب والخطبة بهـذا الترتيب المغاير للترتيب الأول بعض الشيء .

وأما وسائل الدعاية والاعلام للقائلين بالاعتزال فكانت تنحصر فى واحدة فقط هى (المنـاظرة) بوصفها الطريق للاقتنـاع . وكثيرا ما كانت هـذه المناظرات تجمع فى كتاب ، وكثيرا ما تظهر كتب اخرى فى الرد على هـذا الكتاب وهـكذا .

ولو بقيت جميع الفرق الدينية على هـذه الوسائل التى اشرنا اليها فى ميدان الاعلام والدعاية لهان الأمر ولاستطاعت هـذه الفرق ان تكتب انصع صفحة من صفحات الاعلام والدعاية فى تاريخ الاسلام . ولكن حدث غير ذلك . حدث ان اعتمدت هذه المذاهب كلها بعد ذلك على القوة واستعمال السيف . فقام السيف — بتمثيل أشنع مأساة فى تاريخ الاسلام ، على يد معاوية بن ابى سـفيان واولاده — وذلك بدافع الكراهية الشـديدة لعلى ابن أبى طالب وأولاده . من اجل ذلك روى لنا التاريخ كثيرا من تلك المآسى الأموية التى كشفت لنـا عن شيئين هامين هما :

الأسلوب الذى اعتمد عليه بنو أمية فى دعايتهم والوسيلة التى نشروا بها تلك الدعاية . اما الأسلوب الذى بنوا عليه اعلامهم ودعايتهم واتخذوا منه حجة على خصومهم فواحد فقط ، وهو اسلوب (النقل) لا (العقل) . ومن ثم عمد الخلفاء الأمويون الى طريقة غريبة فى الدعاية ضد الشخصية التاريخية العظيمة التى كانوا يكرهونها من أعماق قلوبهم . ويرون فيهـا الخطر كل الخطر على كيانهم ، وهى شـخصية الامام على بن ابى طالب رضى الله عنـه .

اجل — عمد الخلفاء الأمويون الى طرق التحريف والزيف والاختلاق فى النقل . وبلغ بهم الاسراف فى ذلك الى حد انهم حملوا العلماء على الكذب فى تفسير بعض آيات القرآن الكريم تفسيرا يخرج به عليا نفسه عن ساحة الدين ويعتبر به عدوا لله ولرسوله وللمسلمين ؟؟؟.

وكذلك فعلوا ببعض الأحاديث النبوية التى اجروها على السنة بعض الشخصيات المرتزقة ، ورواها العلماء والفقهاء على أنها أحاديث صحيحة ،

لا لشيء الا لأنها منقولة . والنقل عندهم — لا العقل — هو الأساس ، وكان على الخليفة الأموى بعد ذلك أن يعطى هؤلاء وهؤلاء من المال ما يملأ به جيوبهم ، ويفسد به ضمائرهم ، ويبيعون به آخرتهم بدنياهم . كل ذلك ارضاء منهم للخليفة الذى أكل قلبه الغيظ من على ، والقلق والفزع من أولاده .

عرض لنا التاريخ منظرا من أولى مناظر العداوة بين على ومعاوية فى صورة الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) وهو جالس فى بيته يقرأ القرآن ، وقد أحس بحركة الغدر التى يقوم بها بعض المسلحين لقتله . واذ ذاك بعث الى على بن ابى طالب بهذا البيت المشهور من الشعر :

اذا كنت مأكولا فكن انت آكلى
والا فادركنى ولما امزق

فبعث اليه على بن ابى طالب بجماعة من أصحابه وعلى رأسهم ابنه الحسن . ووقف هؤلاء يحرسون باب الخليفة . ولكن الثوار تسلقوا عليه الجدار ، واستطاعوا أن يقتحموا عليه الدار وطعنه كل واحد منهم طعنة ثم لاذ بالفرار .

ترى ماذا فعل معاوية اذ ذاك ؟ لقد بعث الى المدينة من أتى له بقميص عثمان وعليه دمه — فيما زعم — وحملوا القميص على علم ، ووصلوا به الى معاوية ففرشه على الأرض وجمع أصحابه ، وجلسوا يبكون على عثمان ابن عفان ويتهمون عليا بقتله . ثم حدث بعد ذلك من الوقائع الحربية بين على ومعاوية ما هو معروف فى التاريخ .

والآن نترك هذه الحركة المسرحية البارعة ونستعرض بعض النصوص فمما نصطدم به فى هذا المجال الأبيات التى رويت عن مقتل الحسين (رضى الله عنه) ومعاوية ، وتثبت لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الدعاية هى التى قتلت عليا كما وردت فى العقد الفريد :

[.. قتله — اى قتل الحسين (رضى الله عنه) — سنان بن أبى انس ، واجهز عليه خولة بن يزيد الأصبحى ، من حمير ، وحز راسه وأتى به عبيد الله وهو يقول :

أوقر ركابى فضة وذهبـا أنا قتلت الملك المحجبـا
خـير عبـاد الله أما وأبا

فقال له عبيد الله بن زياد : اذا كان خير الناس أما وأبا وخير عباد الله ، فلم قتلته ، قدموه فاضربوا عنقه ، فضربت عنقه] (١) .

ثم استمع الى رنة الفـرح والشماتة والرضى عن تلك الجريمـة وذلك فى قول الشـاعر (عمران بن حطان) حيث يقول :

يا ضربة مـن تقى ما أراد بهـا
الا ليبلغ من ذى العـرش رضـوانا
انى لأذكـره يومـا فأحسـبه
أوفى البرية عنـد الله ميزانا !!

هكذا نجح بنو أمية فى دعايتهم ضد على وأولاده وأمنوا على أنفسهم من كرههم . وساعدهم على ذلك فى الواقع أمران لا ثالث لهما :

أولهما — تفشى الجهـل فى الناس وعجز أكثرهم عن التفقه فى الدين وفهم المبادىء التى بشر بها الاسـلام .

ثانيهما — اعتماد العلماء الأمويين من أهل السنة — كما — اذا صحت الروايات التاريخية المتواترة — على اسلوب (النقل) دون العقل . فيكفى أن يشيع بينهم حديث مكذوب فيـه ذم للامام على — (كرم الله وجهـه) — حتى تروى الكثرة من الفقهاء ورجال الدين هـذا الحديث دون أن يكلفوا أنفسهم جهـدا فى تمحيصه أو تحقيقه أو التأكد من صحته . وبذلك فتـح أمثال هؤلاء الفقهاء ورجال الدين أمام الخلفاء باب الاختـلاق والأكاذيب ، وهان عليهم أن يفسروا بعض الآيات القرآنية تفسيرا مبنيا على الهوى ، بل تفسيرا ليس له من غاية سوى الدعاية السوداء ضد على وأولاده والقضاء عليهم ماديا ومعنويا وتاريخيا ودينيا ومذهبيا فى وقت معـا !!.

---

(١) العقد الفريد جـ ٤ ص ٣٨٠—٣٨١ ط . عام ١٩٤٤ ، القاهرة .

وقد درج المؤرخون المسلمون فى كتبهم على تسمية (الدعاية) باسم السياسة . واستمع الى المسعودى اذ يقول (١) :

« وبلغ من احكام معاوية للسياسة واتقانه لها واجتذاب قلوب خواصه وعوامه ان رجلا من اهل الكوفة دخل ببعير الى دمشق فى حال منصرفهم (أى منصرف الأمويين) عن صفين . فتعلق به رجل من دمشق فقال : هذه ناقتى اخذت منى بصفين . فارتفع أمرهما الى معاوية . واقام الدمشقى خمسين رجلا يشهدون انها ناقته . فقضى معاوية للدمشقى على الكوفى وامره بتسليم الناقة اليه .

فقال الكوفى .. أصلحك الله أيها الأمير انه جمل وليس ناقة .

فقال معاوية .. هذا حكم قد مضى !.

ثم دس معاوية الى الكوفى بعد تفرق الجماعة من احضره اليه ثانية . وساله معاوية عن ثمن البعير ودفع اليه حصته ، وبره ، واحسن اليه ، قال له :

ابلغ عليا انى اقابله بمائة الف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل ؟؟؟.

ان أيسر ما نفهمه من هذه القصة وأمثالها أن معاوية بن أبى سفيان استغل سذاجة الكثرة الغالبة من المسلمين فى فرض آرائه على الناس وزرع الكره فى قلوبهم لعلى واولاده من بعده ، وفى سقى هذا الزرع بكل ما يملك من وسائل الدعاية السوداء . وهى دعاية مبنية على الأكاذيب والتلفيق ولا شىء غير ذلك .

قيل انه بلغ من أمر طاعة اهل الشام لمعاوية انه صلى بهم عند مسيرتهم الى (صفين) صلاة الجمعة فى يوم الأربعاء (٢) .

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٧٢ ، المطبعة البهية المصرية .

(٢) شرح النهج لابن أبى الحديد . ج ١ . ص ٣٥٨ .

وتبلغ الدعاية الأموية ذروتها بهذا الأسلوب العجيب من اسـاليب التشنيع ، وهو وضع الروايات التى تطعن عليا فى أعز ما لديه وهو الدين. ومن ذلك ما رواه الزهرى ان عروة بن الزبير حدثه فقال :

حدثتنى عائشـة قالت :

كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل العباس وعلى . فقال النبى (ص) يا عائشـة ان هذين (يشير الى العباس وعلى) يموتان على غير ملتى .

واخيرا نصل الى أعجب ما رواه التاريخ من أن معاوية بذل (لسمرة ابن جندب) مائة الف درهم ليقرأ الآية الكريمة :

(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصـام . واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيهـا ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفسـاد) . ويقول انها نزلت فى على (١) وان الآية الكريمـة :

(ومن الناس من يشـترى نفسـه ابتغاء مرضاة الله) قد نزلت فى عبد الرحمن بن ملجم فلم يفعل سـمرة ذلك ، فبذل له معاوية مائتى الف درهم فلم يقبل ، فبذل له أربعمائة الف درهم فقبل ؟.

عندى ان هذه الروايات المتقدمة ربما كانت موضعا للشـك . وقد لا يستطيع الباحث أن يؤمن بواحدة منهـا لأنهـا — على اقل تقـدير — لا تساير الحقيقة ولا الواقع فى شىء . وحسبنا أن ننظر من هذه الروايات كذلك الى الرواية التى تقول :

« حدثنى فلان عن فلان أن النبى (ص) لما حضرته الوفاة أوصى أن تقطع يد على بن ابى طالب عليه السـلام » . ان اقل تفكير فى مثل هـذه الرواية الأخيرة يجعـل المسلم العادى لا يؤمن بها ، مهما كان سندها ، أو كان الناقلون لهـا .

---

(١) جعفر الخليـلى ، مقدمتـه لكتاب عنـوانه (الامام على نبراس ومتراس) ، ص ١٧ — نقلا من شرح النهج لابن ابى الحديد .

ولو كان البحث الذى نخوض فيه تاريخيـــا صرفا لرفضـــنا مع الرافضين كل هذه الروايات رفضا باتا ، ولم نستطع أن نبنى عليها رأيا . ولكن البحث الذى نخوض فيه موضوعه الدعاية لا التاريخ .

وهنا ـــ اى فى هذا المجال الأخير وهو مجال الدعاية ـــ يمكننا التعويل على هذه الروايات . ومعنى ذلك اننا لا نستبعد أن نرى الحقد والحفيظـــة والحرص على الخلافة يحمل بعض بنى امية وأولهم معاوية بن أبى سفيان ـــ على التلفيق أو الوضع على هذا النحو . شأن الأمويين فى ذلك شـــأن الدول الحديثة ـــ وخاصـــــة (اسرائيل) ـــ حيث نجد هذه الدولة تجبر الصحف العالمية اجبارا على نشر مقالات عدائية ضد العرب ، وتبذل لهذه الصحف كثيرا من الأموال فى سبيل هذه الغاية .

ثم كان من الوسائل العجيبة التى استخدمها الأمويون كذلك وسيلة (اختراع الشخصيات) . كما فعلوا بأسطورة (عبد الله بن ســبأ) التى نسجها خيال رجل من تميم عاش فى عصر الرشيد . واسمه (سيف بن شمر) . زعم هذا الرجل ان عبد الله بن سبأ يهودى أسلم فى خلافة عثمان ابن عفان (ر ض) ، وانه المصدر الذى صدر عنه كل ما دخل على الاسلام من (الاسرائيليات) ، وهى روايات مختلقة من شـــــــأنها زعزعة الثقة بالاسلام . وبقيت هذه الأسطورة المنسوبة الى عبد الله بن سبأ مستورة الى عهد الطبرى ثم نقلها هذا المؤرخ الكبير دون أن يجهد نفسه وعقله فى تحقيقها مع انهـــا نسجت لغاية واحـــدة فقط هى التشهير بعلى بن أبى طالب (ر ض) (١) .

وندع (الترغيب) بالمال والجاه والمنصب ـــ على حد قول الأســـتاذ جعفر الخليلى ـــ وننظر الى (الترهيب) بالســـيف والعزل والســـحق والمصادرات ونحو ذلك فنجد لهذه الدعاية الأموية صفحة سوداء ملطخة بالدم لا ينظر اليها المؤرخون الا وشعروا نحوها بشىء كثير من الألم والنفور . واذا أراد المؤرخ أن يتخفف من هذا الشعور فلا سبيل الى شىء من ذلك

---

(١) راجع السيد مرتضى العسكرى فى كتابه (عبد الله بن سبأ) . ولعله خير من عالج هذه القضية التاريخية الى اليوم .

الا الشك فى جميع الروايات من اولها الى آخرها . ولكن من أين له هـذا الشك وكتب التاريخ تؤيد هـذه الروايات وتزيد عليهـا ، وتحفـل بهـا وتابه لهـا .

ومثل هـذه الصفحة السوداء للدعاية الأموية وربما احلك منها كانت للخليفة المنصور من خلفاء الدولة العباسية . فقد روى لنا التاريخ من بطش هذا الأخير باولاد على وبالموالى ممن يدينون بمذهب الشيعة وحب آل البيت ما تقشعر له الأبدان وينـدى له جبين الأخـلاق وتذوب الانسانية خجـلا من تلك الروايات التى لا سند لهـا ، بل هى مختلقة ومنسوبة الى شخص واحـد فقط هو المنصـور ؟.

ولكن لماذا لجأ الخلفاء الأمويون الى كل هذه الضراوة والوحشية فى معاملة العلويين ؟ لقد فعلوا ذلك لشعورهم بالمنزلة الكبيرة التى للعلويين فى قلوب الشعب الاسلامى ، ولاحساسهم بالفرق الكبير بينهم وبين العلويين من هذه الناحية . وسـنرى بعد قليل كيف أن هذا الشـعور كان يخالج العباسيين أنفسهم أيضا برغم أنهم ينتسبون الى العباس عم النبى (ص).

هنا نسأل أنفسنا هذا السؤال :

ما هو الأثر الذى تركه هذا التوحش من قبل الخلفاء الأمويين فى نفوس الشعب ؟ الحق — لقد كان هذا الأثر عظيما ورهيبا وعميقا فى وقت معا . فمن ذا الذى يجرؤ بعد أن يرى ويسمع بمثل هـذه الوحشية أن يقول شيئا او يكتب شـيئا أو يسلك سلوكا يثير الريب فى نفس الخليفـة او الوالى او الأمـير ؟.

وما دمنا نذكر (الترهيب) باعتباره وسيلة من وسائل الدعاية الأموية فلا ينبغى أن ننسى كلا من (زياد بن ابيه والحجاج) ؛ وما فعله كل منهما بأهل العراق حتى اخافوهم وارهبوهم وملؤوا قلوبهم بغضا وحذرا من كيد الخلافة الأموية . وقد روينا لك أيهـا القارىء طرفا من هـذه الأفعال التى نسبت الى زياد والحجـاج على سـبيل الدعاية للدولة الأمـوية وهى الدعاية التى كان يمارسها الغرب فى العصر الوسيط .

ووصل بنا الحديث عن هؤلاء الولاة العتاة من قبل الدولة الأموية الى الحديث عن ذلك الوالى الذى صعد المنبر وخاطب أهل العراق قائلا لهم :

بلغنى أنكم كنتم تلقبون ولاتكم بالقاب تعرفونهم بها. الا.. وان لى لقبا ستعرفوننى به دائما . فأنا الجزار ؟؟ ثم نزل .

غير ان هذه الدعاية الأموية التى نجحت نجاحا باهرا فى الشام — مقر الخلافة — كان لها رد فعل فى الأقطار الاسلامية الأخرى . ومنها العراق وايران . وهذا هو السبب الذى من أجله ظهر (الغلاة) من الشيعة . وهم الذين ألهوا على بن أبى طالب — أعنى خلعوا عليه صفات الألوهية — وأضافوا اليه « كل معجزة لم يستسغ العقل نسبتها الى الأنبياء ، فكيف نسبتها الى الخلفاء » (١) .

الدعاية السرية وحادث قيام الدولة العباسية

هذا مثال آخر من أمثلة الدعاية الاسلامية التى قامت بها الخلافة الأموية . واليك مثلا آخر من أمثلة الدعاية الاسلامية نجده بوضوح فى قيام الدولة العباسية بعد سقوط الدولة الأموية .

« ونحن نعرف أن الدولة الأموية كانت تميل الى العرب وتكره الموالى من الفرس . كما نعرف أن الموالى اغضبهم ذلك وأسروا فى أنفسهم شرا للعرب ، وتواصوا فيما بينهم على قلب الدولة الأموية العربية النزعة . وكان أكثر هؤلاء الموالى اذ ذاك من الشيعة الذين عرفوا بحب آل البيت فتآلوا فيما بينهم : نطالب بالخلافة للعلويين . وحجتهم فى ذلك ان العلويين أحق الناس بالخلافة وأحقهم بوراثتها عن النبى .

وبدأوا دعوتهم سرا — لم يكن يعلم بهم احد فى أول الأمر . ولكن نفرا من العباسيين علموا ذلك السر ، وأحبوا أن يلعبوا هذا الدور السياسى : فأخذوا يتملقون للموالى من الفرس . واستطاعوا أن يتألفوا زعماءهم ،

---

(١) جعفر الخليلى : المقدمة لكتاب الامام على نبراس ومتراس ، ص ١٠ .

وان يشتركوا معهم فى مؤامرتهم . وخدعوهم يومئذ عن أنفسهم بهذه الحيلة . وهى أنهم قالوا للموالى .. اننا ندعو مثلكم لآل البيت » ؟.

ولكن من هم آل البيت ؟.

أما الفرس فيعنون بآل البيت أبناء على . وأما العباسيون فيعنون بآل البيت أبناء العباس عم النبى . وبقى كل فريق يضمر فى نفسه ما يعنيه . وسارت الدعوة فى طريقها السرى البحت حتى تجاوزته الى طريق العلن البحت وهنـا فقط أظهر العباسيون أنهم يقصدون أنفسـهم بآل البيت . ورأى زعيم الموالى اذ ذاك (أبو سلمة الخـلال) أن الدعوة صـائرة — على ما يكره — الى بنى العباس وليست الى أولاد على . فأبطأ أول الأمر فى اعلان الخلافة . وتلكأ فى مبايعة السفاح . بل انه حبس السفاح هـذا فى بيته شهرين كاملين . وحظر على النـاس مقابلته وطفق فى أثناء ذلك يراسل بعض العلويين ويطلب اليهم أن يسرعوا فى قبول الخلافة (١) .

وعبثا حاول هـذا الزعيم أن يسلم الخـلافة لرجل من العلويين . بل ان أحدهم — وهو عبـد الله بن محمد — أخـذ الرسالة التى وصلته من سلمة بن الخلال وأحرقها بالنار وأنشد قول الكميت :

أيا موقدا نارا لغـيرك ضـوؤها

ويا حاطبـا فى غـير حبلك تحطب !

وهكذا نرى أن الدعاية السرية بوجه خاص لعبت دورها فى هـذه الحادثة التاريخية الكبيرة التى هى سـقوط دولة الأمويين وقيـام دولة بنى العبـاس .

ومن يتتبع تاريخ الطبرى وابن الأثير يستطيع أن يقف على تفاصيل هـذه الدعاية السرية ، وأن يرى فيهـا مثلا من أمثلة الدعاية العباسية التى نجحت فى بلوغ غايتها كما نجحت الدعاية الأموية سواء بسواء .

---

(١) عبد اللطيف حمزة : ابن المقفع ، الطبعة الثالثة ص ٤٤ — ٤٥ .

ولكن أين كان بنو امية فى أثناء هـذه الحركة الضخمة التى دبرت فى الخفاء ؟ يظهر أنهم لم يحسوا بهذه الحركة الا فى وقت متأخر . تدلنا على ذلك ابيات لأحد شعرائهم يقول فيها :

أرى خلل الرمـاد وميض نـار
ويوشـك أن يكون لهـا ضرام
فان النـار بالعـودين تذكى
وان الحـرب أولهـا كلام
وان لم يطفهـا عقـلاء قـوم
يكون وقودهـا جثث وهـام
أقول من التعجب ليت شـعرى
أأيقـاظ اميـة أم نيـام ؟
فان كانوا لحينهمـو نيـاما
فقـل : قوموا فقـد حان القيـام

الحق اننا بحاجة ماسة الى أن نعيد النظر فى تاريخ الدول الاسلامية من زاوية اعلامية . واذ ذاك فقط نستطيع أن نصل الى كثير من الحقائق عن الاعلام العربى الاسلامى وعن الدعاية العربية الاسلامية .

الفصل الثالث

الدعاية الصهيونيــة

ولعل اول تفكير فى انشاء وطن قومى لليهود كان عقب طرد الرومان لهم وقتل عدد منهم لا يقل عن ٦٠٠ الف يهودى وذلك فى سنة ١٥٣ للميلاد .

ومن الثابت انه فى سنة ١٨٨٢ ميلادية اعلن اقطاب اليهود تأسيس الحركة الصهيونية وذلك على اثر مذبحة أخرى لليهود حدثت فى روسيا .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت الدعاية الصهيونية بتشويق اليهود الى العودة الى (أرض الميعاد) . وشاعت بينهم شعارات فعالة مثل قولهم « من سار اربعة أمتار فى أرض فلسطين خصه الله بمكان فى الجنــة » ومثــل قولهم « اولى بك أن تعيش فى صحراء فلسطين من أن تسكن قصرا عظيما فى بلاد بعيدة عنها » . وربما كان أول مؤتمر عقد للنظر فى عودة اليهود أو فى تقرير العودة الى فلسطين هو مؤتمر (بازل) الذى تم فى عام ١٨٩٧ .

ومنذ ذلك التاريخ واليهود يحاولون كسب الدول الكبيرة الى جانبهم . فعلوا ذلك مع ألمانيا وروسيا وانجلترا . وكانت انجلترا هى الدولة الوحيدة التى مدت اليهم يد المساعدة وفيها صدر وعد بلفور المشهور فى سنة ١٩١٧ وذلك بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . فاعتبر اليهود ذلك نصرا كبيرا لهذه القضية . وتأسست أول جامعة عبرية فى فلسطين فى شــهر يولية (تموز) سنة ١٩١٨ . وبقيت انجلترا الى اليوم وراء فكرة الوطن القومى لليهود . ثم تحولت الصهيونية بعد ذلك من انجلترا الى الولايات المتحدة . وكسبت الصهيونية هذه الدولة الكبيرة الى جانبها . واعتمد الصهيونيون فى دعايتهم التى قاموا بنشرها فى الولايات المتحدة على قتل هتلر للكثيرين منهم . وكذلك استغلت الدعاية الصهيونية فى الولايات المتحدة أصوات اليهود فى الانتخابات الامريكية .

وفى نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩٤٧ وافقت الجمعيــة العامة للأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين . وفى ١٤ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨

اعلن عن قيام دولة اسرائيل واعترفت بها الولايات المتحدة قبل غيرها من الدول .

اهداف الحركة الصهيونية :

لا شك ان الهدف الأول للحركة الصهيونية هو السيطرة على العالم كله ، ومعنى ذلك أن مطامع الصهيونية لا تقف عند فلسطين (أو اسرائيل) ولا تقف عند الحدود بين الفرات والنيل ، ولا تقف عند البلاد الآسيوية الأفريقية . ولكنها تمتد الى العالم كله . وتستند الصهيونية فى ذلك الى (التلمود) — وهو لفظ معناه التعاليم الصهيونية كما تستند الصهيونية كذلك الى مرجع آخر هو (بروتوكول حكماء صهيون) . وتستند أيضا على المؤتمرات السرية التى تعقدها الصهيونية العالمية .

وفى (التلمود) « انه يجب على كل اسرائيلى أن يبذل كل جهده فى ان يبقى السلطة للاسرائيليين أينما حلوا وفى أية جهة استقروا من جهات الأرض » .

وتتلخص الخطة الصهيونية — كما يؤخذ ذلك من الاجتماع السرى لحاخامات أوربا الذى عقد فى بودابست عام ١٩٥٤ — فى النقط التالية :

١ — اشعال نار حرب عالمية ثالثة تؤدى الى سيطرة الصهيونية على العالم أجمع .

٢ — اتساع هوة الخلاف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

٣ — اعتبار زعماء الدولتين مجرمى حرب .

٤ — القضاء على جميع الأجناس الأخرى غير اليهود (١) .

والفرق كبير فى الحقيقة بين اليهود والصهيونية . فاليهودية تقول عن نفسها انها دين فقط . وأما الصهيونية فتقول عن نفسها انها دين وقومية فى وقت معا . ومن هنا يأتى الخطر من هذه الأخيرة . ومن هنا كذلك

---

(١) محاضرات الدكتور عبد القادر حاتم لطلبة كلية الآداب بجامعة القاهرة .

وجدت مراكز لهذه الحركة الخطرة فى كل من : أمريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وجنوب أفريقيا .

وكل هذه المراكز الرئيسية تقوم بعمل واحد هو توجيه النفوذ الصهيونى فى جميع دول العالم تقريبا ، وذلك عن طريق السيطرة التامة — قدر المستطاع — على جميع وسائل الاعلام فى كل دولة .

وللدعاية الصهيونية وسائلها فى المجال الخارجى ووسائلها كذلك فى المجال الداخلى . وسنتحدث عن كل من المجالين على حدة :

وسائل الدعاية الصهيونية

فى العالم الخارجى

اولا — المجلس الصهيونى الأمريكى :

ويتألف من ست لجان هى :

١ — لجنة الصحافة . ومهمتها جمع المواد الصحفية من شتى أنحاء العالم ، ويتصل بهذه اللجنة مكتب للبحوث من عمله اعداد المواد التى تكتب للرد على أى هجوم يقصد به الصهيونية . ومن عمل هذا المكتب أيضا أنه يعطى رأيه فى الكتب الجديدة ، وينبه على ما فيها من أخطاء من وجهة نظر الصهيونية . ولهذا المكتب — فوق ذلك — أن يتدخل فى اعداد بعض المواد الخاصة بالكتب المدرسية فى موضوع اسرائيل .

٢ — لجنة التليفزيون . وعملها اعداد المواد الهامة للتليفزيون ، والاتصال بالقادة الكبار وتنظيم الأحاديث والمقابلات ، والرد على الدعاية المضادة . وليس عجيبا أن ترى التليفزيون الأمريكى بذلك يخصص برنامجا اسبوعيا لكبار الكتاب الأمريكيين للقيام بدعاية سافرة لاسرائيل .

٣ — لجنة للاذاعة تقوم بمثل هذه الأعمال الخاصة بالتليفزيون .

٤ — لجنة للشئون الدينية .

٥ — لجنة للشئون الاجتماعية .

٦ — لجنة للعلاقات العامة .

تحدث الدكتور عبد القادر حاتم الى طلبة قسم الصحافة فى جامعة القاهرة قال :

« اتى الى القاهرة صحفى أمريكى كان مراسـلا لجريدة النيويورك تايمز . واسمه مستر (كنت) . وحاول أن يأخذ حديثا من الرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٥ . والح فى طلب هـذا الحديث حتى حصـل عليه وبعث به الى الجريدة . وأخذنا ننتظر أن يظهر الحديث فى جريدة النيويورك تايمز فلم يظهر بهـا . فسألنا المراسل الصحفى عن ذلك — وكان صحفيا جريئا حرا — فأطلعنا على نفس البرقية التى أرسلها لصحيفة (النيويورك تايمز) متضمنة حديث السيد الرئيس من أوله الى آخره . وبعد ذلك أرسل الصحفى الى الجريدة مهددا اياها بأنها اذا لم تنشر هذا الحديث فى بحر أسبوع فلابد أن يكتب استقالته فى نهاية هذه المدة . ومر الأسبوع ولم تنشر الحـديث ، فأرسل استقالته الى الجـريدة . ثم قال الدكتور حاتم .. بقى أن تعرفوا أن رئيس تحرير الجريدة المذكور رجل اسمه (سالز برجر) وهو رئيس المجلس الصهيونى الأمريكى فى نيويورك » . (انتهى حـديث الدكتور حاتم) .

واغرب من هذا وذاك أن الأساتذة الذين يدرسون التاريخ الاسلامى فى جامعـات أمريكا كلهم من اليهـود . وكذلك الشـأن فى الجامعـات الانجليزية ذاتهـا .

وهـذا الذى يقال عن الصحافة من وسائل الاعـلام يقال مثله تماما عن السـينما .

والسينما فى الواقع من أقوى أسلحة الدعاية الصهيونية فى الوقت الحاضر . وهى لذلك تعرض الأفلام التى تؤيد قضية الصهاينة ومن مثـل هذه الأفلام رواية عنوانها (الخروج) وهى رواية أو كتاب فى غاية القوة . ولا تكتفى الصهيونية بذلك بل انهـا تعبث بالقصص والمسرحيات القديمة مثل مسرحية (تاجر البندقية) للشاعر الانجليزى شكسبير . وفيها شخصية (شيلوك) اليهودى . وقد أظهره شكسبير بمظهر الرجل الشره الى المال والخالى فى الوقت نفسـه من أى معنى من معانى الرحمـة . فما زالت الصيهونية بهـذه المسرحية حتى عرضت شخصية (شيلوك) بالصـورة التى تدعو الى الاعجاب به لا الى التأذى منه . فاذا أضفنا الى ذلك كله

ان للصهيونية العالمية حتى الآن ما لا يقل عن (٨٩٥) صحيفة فى جميع انحاء العالم . عرفنا الى أى حد بلغت الدعاية الصهيونية من القوة ومن الخطورة .

ثانيــا — الهستترود :

والهستترود أو الاتحاد العام للعمال جهاز خطير يسيطر على الحركة العمالية فى العــالم كله بصفة عامة ، وفى أمريكا بصفة خاصة . وقد بنى سياسته على مبادىء منهــا :

١ — الاشتراك فى الاتحادات العمالية الدولية العامة .

٢ — تمثيل الهستترود تمثيلا حقيقيــا فى الاتحادات العمالية وفى أجهزتها الرئيسية .

٣ — ايجاد عــلاقات عامة مع أكبر عــدد ممكن من الاتحادات العماليــة فى العــالم كله .

٤ — التركيز على الحركة العمالية فى الدول النامية (المتخلفة) وخاصة ما كان منها فى القــارة الأفريقيــة .

وأما وســائل الدعاية التى يقوم بهــا الهستترود فلا تكاد تخــرج عما يلى :

١ — انشاء مراكز عمالية كبيرة تحمــل أسماء زعماء أمريكيين مشهورين أو رؤساء لاتحادات عمالية فى أمريكا .

٢ — منح جائزة باسم الهستترود يقال لها جائزة (الانســانية) لأحد رؤساء الجمهورية الأمريكية أو لشخصية لهــا مثل هذه المنزلة .

٣ — انشاء المعهد الأفريقى الآسيوى للدراسات التعاونية العالمية ومدير هــذا المعهد فى اسرائيل ذاتها هو السفير الأمريكى فى لندن . ومهمة هذا المعهد تدريب القادة النقابيين فى كل من آسيا وافريقيا . ويركز الهستترود جهــوده فى هــذا السبيل على الدول الاسلامية بدعوى أن النزاع قائم بين الصهيونية والدول العربية وليس قائما بين اليهود والديانة الاسلامية . وبهذه الطريقة يحول الهستترود بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الدول النامية فى افريقيا فلا تصل اليها الجمهورية العربيــة المتحــدة بثقافتها ودعاياتها ومنتجاتها الا بشق الأنفس .

وتضاف الى الوسائل المتقدمة كلها وسائل أخرى لم نرد أن نذكرها لشهرتها كالصحف والراديو والسينما والتليفزيون ونحو ذلك .

ثالثــا ــ المؤتمرات الاشتراكية الدولية :

اجتهدت الصهيونية فى أن تصل بينها وبين الدول الاشتراكية واصبح (بن جوريون) نفسه عضوا فى هذه الاشتراكية الدولية منذ سنة ١٩٢٩ . ولهذا السبب تعطف الاشتراكية الدولية كثيرا على الصهيونية . وقد اشتركت اسرائيل فى المؤتمرات الاشتراكية الآتيــة :

١ ــ مؤتمر حيفا فى السابع والعشرين من ابريل (نيسان) سنة ١٩٦٠ . وفيــه اظهر كل من (هيو جيتسكل) زعيم حزب العمال البريطانى و (جى دى موليه) رئيس الوزارة الفرنسية تأييدهما الكامل لاسرائيل.

٢ ــ مؤتمر امستردام فى التاســع من سبتمبر (أيلول) ســـنة ١٩٦٣ ، وهو المؤتمر الذى دعا الى نزع السلاح فى منطقة الشرق الأوسط .

وهكذا استطاعت اسرائيل أن تقنع الدول الاشتراكية كلها بأنها المجتمع الاشتراكى الوحيد فى وسط دول ديكتاتورية عربية . وأنهـــا همزة الوصل بين الاشتراكية الأوربية والاشتراكية فى كل من آســيا وافريقيا . وهكذا اتخذت الصهيونية من الاشتراكية وسيلة للتغلغل فى آسيا وأفريقيا .

رابعــا ــ معســكرات الشــباب :

وتسميها الصهيونية (الناحال والحتناع) . وكلمة (ناحال) معناها الشباب الطلائعى المحارب . وكلمة (الحتناع) معناها (الاعداد) بكسر الهمــزة .

والقصد من هــذه المعسكرات اعداد الشباب من الجنسين معا قبل سن التجنيد للتعود على الحيــاة العسكرية قبل الانضمام الى الجيش . وتقيم الصهيونية هــذه المعسكرات لا فى داخــل اسرائيل فقط بل فى كثير من البــلاد فى خارجهــا .

* * *

يضاف الى هــذه الوسائل المتقدمة كلها وسائل اخرى تمارســـها الصهيونية أيضا فى المجال الخارجى . ومنها على سبيل المثال ــ المساعدات

الفنية والمنح الدراسية التى تمنحها اسرائيل لبعض الدول النامية فى القارة الأفريقية ، بحجة التشابه فى الأحوال الاجتماعية بينها وبين هـذه الدول النامية او المتخلفة ، وبحجة أن هذه الدول فى حاجة الى التجربة التى مرت بها اسرائيل حتى وصلت الى ما هى عليه . ولذلك وجدنا اسرائيل تمد هذه الدول الناميـة بما لا يقـل عن مائة وخمسين خبيرا فى المـدة بين سنتى ١٩٥٨ — ١٩٦٣ وبنحـو ٤٥٠ خبيرا فى النصف الأول من عام ١٩٦٤ . وقد بلغ عدد المبعوثين الى اسرائيل بين عامى ١٩٥٨/١٩٦٤ أكثر من ٧٥٠٠ طالبا وطالبة من أكثر من ٨٠ دولة .

ومن وسـائل الصهيونية فى المجال الخارجى كذلك تنظيم الزيارات التى يقوم بهـا كثير من الشخصيات الكبيرة أو المرموقة فى كل من أفريقيا وآسـيا الى اسرائيل ، حتى لقد قال رئيس وزراء نيجيريا الشرقية يوما « اننى اعد نفسى اسرائيليا » .

ثم من هذه الوسائل التى تمارسها اسرائيل فى المجال الخارجى كذلك الدعاية السياحية . وقد بلغ عدد المكاتب السياحية الاسرائيلية فى شـهر تموز (يولية) سنة ١٩٦٥ اثنى عشر مكتبا فى كل من اوربا والأمريكتين .

ومن ذلك أيضا تنظيم رحلات كثيرة للطلبة الاسرائيليين الى الخارج وللطلبة الأجانب الى اسرائيل ... ويتفق مع هـذه السياسة السياحية الاكثار من بناء الفنادق فى اسرائيل حتى بلغت الى الآن ٩٦٣ فندقا .

ومن الوسـائل التى تمارسـها اسرائيل فى المجال الخارجى كذلك الاهتمام الكبير بالمعارض . والعناية فى هـذه المعارض بالنشرات واللوحات البيانية والاحصائية والأفلام . وقد حدث مرة — كما سبق أن ذكرنا ذلك — أن نشر الجناح الأردنى فى معرض نيويورك أبياتا شـعرية تقص قصـة اللاجئين باللغة الانجليزية . فما زالت الدعاية الصهيونية بهـذا المعرض الدولى الكبير حتى نزعت هذه اللوحة الأردنية من المعرض .

وبالرغم من كل هـذه الامكانيـات التى للدعاية الصهيونية فى شتى انحاء العالم فانها لا تستحى من استخدام طريقة الاستجداء واظهار الضعف أمام الدول الكبرى لتكسب عطف هذه الدول عليها . ومن ذلك انها تستخدم

كثيرا من الشعارات الغريبة فى جمع التبرعات من الجمهور الامريكى ومنها على سبيل المثال :

« ادفع دينارا تقتل عربيا »

وذلك كله فضلا عن اتهام الثورة المصرية فى الجمهورية العربية المتحدة بأنها « نازية ناصرية » . وبأن العرب يريدون الحرب دائما . أما اسرائيل فانها تريد السلام .

وسائل الدعاية الصهيونية فى المجال الداخلى :

تعتمد الدعاية الصهيونية فى داخل اسرائيل على وسائل كثيرة وكلها معروفة منها :

اولا – وسيلة الصحف :

وهى صحف حزبية عديدة . والسبب فى ذلك تعدد عناصر الاسرائيليين. وتصدر الصحف هناك باثنتى عشرة لغة ويبلغ عدد الصحف الاسرائيلية الى الآن ثلاثا وعشرين صحيفة صباحية وصحيفتين مسائيتين . وهناك رقابة مفروضة على الصحف . وفى شهر مارس (آذار) سنة ١٩٦٢ صدر قانون للسيطرة على الاعلام الاسرائيلى وهو قانون استبدادى يهدف الى تكميم الصحافة . ومن أهم الجرائد هناك : جريدة اليوم ، وجريدة الاتحاد ، وجريدة المرصاد ، والاخيرة صحيفة شيوعية قومية شبيهة بالصحف الشيوعية التى تعبر عن آراء تيتو . ومن الصحف الاسرائيلية ما ينادى بتصفية الصهيونية وتأليف كتلة من اسرائيل والبلاد العربيـة ، لا تكون قاعدة من قواعد الاستعمار كما هو الحال فى تل أبيب . وهناك صحيفتا (معارى) و (دافار) وهما أوسع الصحف من حيث الانتشار .

ثانيا – الاذاعة :

وهى تتبع مجلس الوزراء مباشرة وتعتبر لسان حزب الماباى ، وان كانت الأحزاب الأخرى تضيق بذلك . وتتنوع برامج الاذاعة فمنها البرامج الموجهة ، ومنها البرنامج العربى . ومنها برنامج الجيش وهكذا .

ثالثا — السينما والمسرح :

وهما خاضعتان كذلك لمجلس الوزراء .

ويعتبر مسرح (الهابيما) أقدم المسارح هناك . انشىء سنة ١٩٢٦ . وتقوم السينما والمسرح على طمس الثقافة العربية والتاريخ العربى والقضاء على النزعة العربية ومحاربة الفنون العربية فى الرقعة العربية من اسرائيل . وتعتبر الطائفة العربية الاسلامية فى تل أبيب وغيرها من المدن طابورا خامسا . وتستهدف السياسة هناك تهجير العرب المقيمين باسرائيل واحلال الأقلية العربية .

اما المهاجرون الجدد من الصهاينة الى تل أبيب فان لهم دعاية موجهة تقوم بها الاذاعة . والغرض منها تحبيب هؤلاء المهاجرين فى الوطن الجديد وتيسير حياتهم فيه . وكذلك تفعل البرامج الخاصة بالجيش فانهـا تعنى بترقية حال الجنود ، كما تعنى بتوعيتهم وتوجيههم .

وتسيطر اسرائيل على كثير من محطات الاذاعة وعلى ما يذاع فيهـا من أنباء تأتى من القاهرة ولبنان وبعض البلاد العربية الأخرى . ولذلك نجد أن بعض الموظفين فى اذاعات الدول الاستعمارية اما من اليهود واما من الموظفين الذين اشترتهم اسرائيل بالمال . وبذلك تأتى الأخبار عن اسرائيل مشجعة للمواطنين فى تل أبيب وغيرها من المدن الاسرائيلية .

ومن الوسائل التى تمارسها اسرائيل فى المجال الداخلى كذلك العناية التامة بالنوادى التى تضم العدد الكبير من الصهيونيين وتلقى فيها المحاضرات التى تعتبر جزءا من الدعاية الصهيونية .

ومن هذه الوسائل كذلك العناية بلعب الأطفال والحرص على ان يكتب على كل لعبة منها عبارات قوية الايحاء مثل قولهم « الى اللقاء فى أورشليم » وقولهم « من النيل الى الفرات » ونحو ذلك .

* * *

وبالرغم من تنوع الأساليب التى تتبعها الدعاية الصهيونية ، وبالرغم من تعدد الوسائل التى تستعين بها للوصول الى الغاية فان اسرائيل لا تنسى

كل هذه الجهود « دعاية » . ولكن تسميها « اعلاما » . وهى تدرك ادراكا تاما هذا الفرق الكبير بين اللفظين . وكما يقول (صموييل هالبرن) (١) :

« ليس هناك جماعة هادئة تعترف بأنهـا تمارس نشاطا دعائيا . ونتيجة للدلالات غير المستحبة التى ينطوى عليهـا لفظ الدعاية فى اللغة الدارجة فان استخدام الدعاية لا يلصق دائما الا بالخصوم » .

ولا يخرج الصهيونيون عن هذه القاعدة العامة . فهم يقومون بضروب واسعة النطاق من النشاط فى مجال الدعاية . ولكنهم لا يتحدثون عنهـا على انهـا دعاية .

مشروع اعـلام عربى موحّد لمكافحة الصهيونية :

مما لا شك فيه ان الدعاية الصهيونية لا يبطلها غير الاعلام العربى ، ويقوم هذا الاعلام العربى على نشر الحقائق ودحض الأكاذيب .

وتكون الجهود العربيـة فى هـذا السبيل من نوع الاعـلام وليس من نوع الدعاية .

ومما لا شك فيه أيضا أن الهدف من حركة الاعلام العربى هو التأثير على الرأى العام العالمى وتصوير اسرائيل دائما بصورة المعتدى على حقوق العرب اللاجئين فى العودة الى وطنهم ، واثارة الشعور الانسانى فى الجماهير من هـذه الناحيـة .

ومهما يكن من شىء فلابد لهذه الحركة الاعلامية العربية من أهـداف فى داخل الوطن العربى واهداف فى خارج هذا الوطن أو بمعنى آخر ... هنـاك طرق لمكافحة الدعاية الصهيونية لابد أن تسلكها حركة الاعـلام العربية . وحسبنا هنا أن نشير أولا الى الأسس التى يبنى عليها الاعـلام العربى فى مكافحة الصهيونية :

أولا — الدراسة الدقيقة للعقلية الصهيونية والعقلية الأوربية والعقلية الأمريكية ما دمنا — نحن العرب — نهدف الى اقناع هؤلاء جميعا بوجهـة

---

(١) فى كتابه : The Political Words of Amerioan Zionist P. 254.

نظرنا وعدالة قضيتنا . ويتبع ذلك بطبيعة الحال دراسة دقيقة لأساليب الدعاية الصهيونية ووسائل هذه الدعاية .

ثانيا — الارتفاع بمستوى المجهود العربى فى مكافحة الدعاية الصهيونية الى مستوى الاعلام الصهيونى — ولا نقول الدعاية الصهيونية — ونحن نعرف الفرق بين الاعلام والدعاية . فالدعاية هى محاولة التأثير فى عقول الجماهير وسلوكهم عن طريق الاستهواء النفسى . أما الاعلام فهو — كما قلنا — تزويد الجماهير بالمعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة بقصد اقناعهم باتجاه معين أو بفكرة معينة . ومن هنا أصبح الاعلام هو الطريق السليم والوحيد لمكافحة الدعاية . وذلك ما قصدنا اليه من القول باننا نريد أن نرتفع بمجهودنا العربى الى مستوى الاعلام الصهيونى . ولا نريد أن ننحدر بهذا المجهود الى مستوى الدعاية الصهيونية — تلك الدعاية التى لم تستح يوما ما من التزييف والخداع الى حد أنها استخدمت أغلفة المجلات المصرية — كمجلة روز اليوسف — فى اصدار مجلات صهيونية مكتوبة باللغة العربية لمحاربة القضية العربية !!.

ثالثا — مرونة الخطة الاعلامية العربية بحيث يمكن تغييرها من وقت لآخر حسب الحاجة . ويكون ذلك باشراف جامعة الدول العربية .

رابعا — الحرص كل الحرص على نجاح الوحدة العربية ما دامت هى العامل المهدد للكيان الاسرائيلى والطريق الى ازالتها من المنطقة العربية .

خامسا — العمل على ايجاد وحدة اعلامية بين الدول العربية . والحق أن هذه الوحدة الاعلامية لا تقل شأنا عن الوحدة العسكرية أو الوحدة الثقافية أو الوحدة الاقتصادية . تلك هى الأسس الخمسة لمشروع الاعلام العربى الموحد . وينبثق عن هذه الأسس جميع الجهود الاعلامية بعد ذلك . وهى كثيرة ومتجددة نورد أمثلة منها على النحو التالى :

١ — السيطرة التامة على أجهزة الاعلام فى الدول العربية ووضع سياسة اعلامية موحدة لهذه الأجهزة .

٢ — انشاء شركة موحدة كذلك لانتاج الأفلام السينمائية لصالح القضية العربية .

٣ — تشجيع الأدباء والكتاب على تأليف القصص الهادفة على نحو ما فعلت اسرائيل فى مثل قصة « الخروج » . وتشجيع الشعراء كذلك على تأليف الأناشيد الحماسية ليقوم المغنون بأدائها كما حدث ذلك فى ايام العدوان الثلاثى على مصر .

٤ — الاكثار من المؤتمرات الصحفية لتفنيد مزاعم اسرائيل . وهى المزاعم التى سنشير الى بعضها فى نهاية هـذا الفصل .

٥ — الاعتماد على الخطب فى اماكن التجمـع العـام كالمسجد والكنيسة والنـادى والمدرسـة .

٦ — ابراز مشكلة الأقليات واظهار اسرائيل بمظهر المعتدى على العرب وعلى ممتلكاتهم . ويتصل بذلك :

(أ) ابراز مشكلة اللاجئين العرب وانهامها للعـالم العربى .

(ب) ابراز الاختـلاف الظاهر بين معاملة اسرائيل لليهود الشرقيين المهاجرين اليهـا من كل من آسـيا وافريقيـا ومعاملة اسرائيل لليهـود الغربيين .

(جـ) فضح مواقف اسرائيل العدوانية وخرقها عشرات المرات للهدنة .

(د) شرح موضوع تحويل نهر الأردن ومخالفة ذلك للقانون الدولى .

(هـ) كشف العـلاقة التى تربط اسرائيل بالاستعمار والتأكيـد على هـذه الحقيقـة .

٧ — الاستعانة بجميع الجاليات العربية وانشاء جمعيات صداقة لفائدة القضـية .

٨ — الانتفاع بالطلبة العرب فى الخارج . ومن اجل ذلك دعت الجمهورية العربية المتحدة فى صيف سنة ١٩٦٦ جميع أولئك الطلاب لحضور مؤتمر التقوا فيه بزعماء الثورة فى القاهرة . وكان لهذا المؤتمر آثاره الطيبة .

٩ — تشجيع المنح الدراسية لأبنـاء الدول الأجنبية ليدرسوا فى البـلاد العربيـة .

١٠ـ تشجيع الصحفيين والمصــورين والأدباء والكتاب ورجال الفن على زيارة البلاد العربية وتكوين فكرة صحيحة عنهــا .

١١ـ تشجيع المعارض العربيــة واقامتها فى الدول الأجنبيــة عن طريق المعارض الدولية ونحو ذلك .

١٢ـ دعم العلاقات الشخصية بالبارزين من الرجال فى عالم الفكر والأدب والسياسة والفنون وتشجيعهم بالحوافز الثمينة .

١٣ـ اجراء مسابقات ادبيــة فى موضوع القضية العربية واعطاء هــذه الجوائز للكتاب الغربيين الذين يؤلفون قصصا ممتازة او كتبا ممتازة فى هــذا الموضــوع .

١٤ـ اقامة معاهد لتعليم اللغة العربية فى البلاد الأجنبية وتشجيع البعثات اليها وانشاء كلية عربية فى عدد كبير من البلاد الأجنبية كلما أمكن ذلك .

١٥ـ تركيز الجهد الاعلامى على الدول التى تقف موقفا سلبيا عند التصويت فى قضية فلسطين فى هيئــة الأمم المتحدة ، وعلى الدول التى تقف موقفــا عدائيا منها كذلك .

١٦ـ الكشف عن النشاط الصهيونى الارهابى المدمر فى أكثر بلاد العــالم فى الوقت الحاضر .

١٧ـ الاهتمام بالمكاتب الاعلامية العربيــة فى جميــع الدول الغربيــة ، على أن يكون كل مكتب من هــذه المكاتب ممثلا للدول العربية كلها وليس ممثلا لدولة عربية واحدة فقط . ففى اتباع هذه الخطة ما يشعر الشعــوب والحكومات الغربية بتضامن العرب وتكاتفهم فى مكافحة الصهيونية .

١٨ـ العناية كذلك بالمكاتب السياحية العربية فى كل بلد عربى من جهــة وعن طريق الاتحاد السياحى الدولى من جهة ثانية ما دامت السياحة صناعة القرن العشرين ــ كما يقولون ــ فيجب أن ينظر العرب اليها على أنها وسيلة اعلامية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . وعليها

ينبغى أن يعتمد العرب فى نشر الدعاية للقضية العربيــة وفى شرح الجوانب السيئة للدعاية الصهيونية .

١٩ــ حرص العرب على حضــور جميع المؤتمرات البرلمانيــة والعمالية والثقافية ، وعدم ترك اسرائيل تنتفع وحدها بذلك .

٢٠ــ مهاجمــة نقط الضعف فى الكيان الاسرائيلى ، وأعداد الردود على المزاعم الاسرائيلية . وتصوير اسرائيل على الدوام بصورة المعتدى على حقوق العرب واغتصاب بلادهم وايقــاظ الضمير الانســانى من هــذه الناحيــة .

واخيرا نلفت النظر الى هذه المقترحات الأربعة الباقية وهى :

٢١ــ العمل على اصدار صحف عربية تكتب باللغة الانجليزية ، وذلك فى كل من أمريكا وانجلترا ، والاعتماد فى ذلك على أصدقاء العرب من الإنجليز والأمريكيين . وليس هؤلاء الأصدقاء بقليلين فى تلك البلاد . وأما تمويل هذه الصحف فانه يقع على البلاد العربية كلها ، ومن بينها السعودية والكويت وغيرهما من الأقطار المنتجة للنفط .

٢٢ــ ومثل هــذا يقال كذلك بالنسبة للاذاعة . فانه يمكن الانفــاق على محطات عربية فى أمريكا وانجلترا ، والاستعانة فيها بأصدقاء الحرية والانسانية فى كل من هذين البلدين بنوع خاص .

٢٣ــ ايجاد التعــاون التــام بين السفارات العربية فى البلاد الغربية . ولا بأس أن يكون فى كل بلد من البلاد الغربية مكتب عربى يقوم بتنسيق الجهود الاعلامية بين السفارات المذكورة فى سبيل توحيد الخطة بينها لمثــل هــذه الغــاية .

٢٤ــ الاعتماد على منظمة (الأمم المتحده) فى الترويج للقضية العربيــة ما دامت هذه المنظمة تعتبر فى الواقع منبرا عاما يستمع اليه الرأى العام العالمى ويعرف به وجهات نظر الشعوب ؛ وخاصة فى أوقات الأزمات والحروب . أما القول بمقاطعة هذه المنظمة فانه يحرم الأمة العربية حرمانا تاما من هــذه الفرصة .

مزاعم اسرائيل والرد عليهـا :

الحق ان هذه المزاعم كثيرة ومن أهمها ثلاثة :

الأول — زعم اسرائيل أنهـا أصبحت أمرا واقعا . والرد على ذلك أن اسرائيل تتجاهل فى ذلك الزعم جميع القوانين الدوليـة التى لا ترضى عن السرقة والنهب . وغير ذلك من الأعمال التى قامت بهـا الصهيونية حتى سلمت لها اسرائيل بهذه الطريقة غير المشروعة . ومما لا شك فيـه أن القوانين الدوليـة تعطى العرب حق الدفاع عن أنفسـهم واسترجاع أرضهم . وكما يقول الدكتور حاتم : هنـاك المستندات العديدة التى تدل على أعمال النهب والسرقة التى ارتكبهـا الصهيونيون وهى مسـتندات يعرفهـا الجميـع .

الثانى — زعم اسرائيل انها هى الداعية الى السلام وأن العرب دائما هم الداعون الى الحرب . وليس أبلغ فى الرد على هـذا الزعم من هـذا الحديث الذى القاه الدكتور عبد القادر حاتم فى محاضرة له فى كلية الآداب بجامعة القاهرة حيث قال : « حدث فى المؤتمر الدولى عام ١٩٥٧ — أن وقف مندوب اسرائيل وقال : يا أعضاء المؤتمر : لاشك أنكم جميعا تحبون السلام . وقد انتهى الحادث الذى وقع سنة ١٩٥٦ (يريد حادث العدوان الثلاثى على مصر) وطويت صفحة من صفحات الكراهية . ونحن اليوم نمد أيدينا لمندوب مصر لنصافحه ونبدأ صفحة جديدة . وما على المندوب المصرى الا أن يعلن أنه يريد السلام . وبذلك يسدل الستار على هذه القضية .

وهنا وجه الدكتور حاتم كلامه الى الطلبة قائلا لهم : هذا كلام يصدقه النـاس كثيرا ، ويدخل فى باب الدعاية الاستعطافية التى درجت عليهـا اسرائيل . فما كان منى فى ذلك اليوم الا أن وقفت فى المؤتمر وقلت : أما أنا فأستأذن الآن فى السفر الى بلادى على عجل . فقال مندوب اسرائيل : ولماذا تنسحب يا سيدى ؟ انك اذن لا تريد السلام . ثم التفت الى أعضاء المؤتمر وصاح قائلا : اسمعوا انظروا : ان مندوب مصر لا يريد السلام .

لم يكن أمامى فى هـذه اللحظة الا أن أرفع صوتى فى المؤتمر قائلا :

« اننى انسحب من المؤتمر الآن وعلى عجـل لاننى اعرف ان القوات الاسرائيلية لابد أنهـا ستهاجم بلادى غدا . ذلك انكم أيهـا الصهيونيون فى كل مرة تتحدثون فيها عن السلام تكون الحرب فى اليوم الثانى مباشرة . وعندى سجل به أكثر من مائة تصريح بالسلام . وفى اليوم الثانى مباشرة يقـع العـدوان » .

الثالث — زعم اسرائيل أن هناك أسسا تاريخيـة لقيـام دولتهم ، وان أرض الميعـاد هى فلسطين ، وانهم لم يفعلوا أكثر من أنهم رجعوا الى أرضهم التى وعدهم الله بهـا .

وتجاهل الصهيونيون فى كل ذلك حقائق التاريخ الصحيح . وأكثر من ذلك أنهم قصروا اهتمامهم على فترة واحدة فقط من تاريخ فلسطين ، هى الفترة التى عاشوها بتلك الأرض . وأعجب من كل ذلك أنهم يدرسون هذه الفترة وحدها من تاريخ فلسطين ، وذلك فى جميع أنحاء العالم .

وهنـا ندعو الدارسين والباحثين فى جميـع أنحاء العـالم كذلك الى أن يدرسوا تاريخ فلسطين ليعلموا علم اليقين أن العرب حكموا فلسطين مدة تزيد عن ثلاثة عشر قرنا من الزمان . على حين أن اليهود حكموا فلسطين مدة لا تزيد على خمسة قرون على أكثر تقدير .

هل يستطيع التاريخ أن ينكر على فلسطين أنهـا عربيـة منذ فتحت على يد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب عام ١٥ للهجرة ؟ واذا كان لا يستطيع شيئا من ذلك فباى حق عهد الانجليز سنة ١٩٤٧ الى هذه الجريمة السياسية التى انتزعوا بها جزءا من الوطن العربى الكبير وقدموه هدية الى اليهود ؟. ان البائع والمشترى فى هذه الصفقة ليس لهما حق قانونى فى ذلك .

ولكن اين من يسمع للعرب حجتهم ؟ وهل يمكن أن يتخلص الغرب الأوربى والأمريكى يوما ما من تأثير الدعاية الصهيونية القـوية لكى يدرك هذا الغرب ان للعرب حقوقهم المشروعة فى هذه القضية ؟.

ان السـلام فى الشرق الأوسط لا سبيل الى اقراره الا على أساس من العـدل . ولا أمل فى تحقيقـه الا عن طريق الادراك السليم والفهم المستقيم لهـذه الحقيقـة .

وفى اعتقادى أن هذا الادراك السليم لا يكون الا عن طريق البحث أو الدرس . ومعروف أن العلم لا يخضع للدعاية ، وان الدعاية لا سلطان لها الا على العواطف من جهة ، وعلى الأمور المادية من جهة ثانية . والعلماء فى كل زمان ومكان لا يلتفتون الى الدعاية بجميع أشكالها بقدر ما يلتفتون الى الحقائق العلمية فى ذاتهـا .

وفى اعتقادى أن كلا من أوروبا وأمريكا اذا سلكتا طريق العلم أو العقل وأخلصتا فى ذلك فانهما تخدمان السـلام العالمى الذى هو حـلم البشرية والذى هو الدليل الوحيد على تقدم عقول البشر .

ما هو السبيل الى تنفيذ المشروع ؟

ان مشروعا للاعـلام العربى الموحـد كما يحتاج الى تفـكير عميق من الناحية النظرية كذلك يحتاج الى تفكير عميق من الناحيـة التنفيذية . وقد أشرت الى بعض الخطوط العـامة للمشروع من الناحيـة النظرية . ويقى أن نشير الى بعض الخطوط العامة للمشروع من الناحية العملية .

وهنا نقول ان قسم الصحافة بجامعة القاهرة شارك فى التفكير فى هذا الموضوع الخطير . وجاءت هذه المشاركة على شكل رسالة تقدم بها الأستاذ حامد محمود للحصول على الماجستير . وعنوان الرسالة كما يلى :

« الدعاية الصهيونية — وسائلها وأساليبها وطرق مكافحتها » .

اشار الباحث فى هذه الرسالة (١) الى عدة وقائع منها :

١ — قررت هيئة خبراء الاعـلام العربى فى اجتماعها الذى عقد فى شهر يناير سنة ١٩٥٩ — انشاء جهاز للاعلام العربى يتألف من لجنة دائمة تضم رؤساء أجهزة الاعلام فى الدول العربية ، ومكتبا دائما للدعوة العربية . كما تتألف من الملحقين الصحفيين للدول الأعضاء ، وصندوق مشترك للاعلام العربى ، وادارة للاستعلام والنشر .

---

(١) تم طبع هذه الرسالة بنفس العنوان المشار اليه . (انظر الفصل الرابع ص ٣٥٥ — ٣٦٢) .

٢ — انعقد مؤتمر وزراء الاعلام العربى بالقاهرة عام ١٩٦٤ واتخذ عدة قرارات خطيرة فى السياسة الاعلامية العربية . واضيف الى المنظمات التى تقرر انشاؤها فى عام ١٩٥٩ (مجلس لوزراء الاعلام) فى الدول الأعضاء يجتمع مرة فى السنة على الأقل .

وكذلك قرر المؤتمر أن يتم تمويل جهاز الاعلام العربى بالدرجة الأولى عن طريق مساهمات تقوم الدول الأعضاء بتقديمها . وذلك بدلا من الاكتفاء فى تمويل جهاز الاعلام العربى بجمع التبرعات فى (أسبوع الاعلام العربى) . وبالاضافة الى كل ما تقدم قرر مؤتمر وزراء الاعلام كذلك انشاء دار عربية للتأليف والترجمة والنشر ووكالة أنباء عربية مع أن فى الدول العربية اجهزة من هذا القبيل لها خبرة ولهـا اختصاص .

ذكر الأستاذ حامد محمود هـذه الوقائع وأوضح عيوب المشروعين السابقين . ثم قال : ولتلافى أوجه النقص فيهما نقترح انشاء جهاز للأعلام العربى على النحو الآتى :

مشروع جهـاز منظم
للاعـلام العـربى الموحـد

اولا — مجلس وزراء الاعـلام :

يتألف من وزراء الاعـلام فى الدول الأعضاء بالجامعـة العربيـة . ويجتمع مرة كل ستة أشـهر أو كلما دعت الضرورة الى ذلك ... ويقوم بالنظر فى السياسة الاعلامية التى تسير عليهـا الدول الأعضاء والجامعة العربية ... كما يقوم بدراسة ما يرفع اليه من تقارير عن اتجاهات الدعايات المضادة ووسائل مكافحتها وتكون قرارات المجلس ملزمة للدول الأعضاء .

ثانيـا — اللجنـة الدائمة للاعـلام العربى :

وتتألف من مندوبين عن وزارات الخارجية والاقتصـاد والاعـلام والثقافة والارشاد والتربية والتعليم فى الدول العربية . ويشرف عليهـا الأمين المساعد للجامعـة العربيـة لشـئون الاعـلام . ومن الضرورى أن يكون أعضاء هـذه اللجنة متفرغين تماما للعمل الذى سيكلفون به .

وتقوم اللجنة الدائمة بوضع سياسة قصيرة الأجل وأخرى طويلة الأجل لمقاومة النشاط الصهيونى وتتولى اللجنة الفصل فى جميع الأمور التى تتعلق باسرائيل والتى لا تحتمل التأخير .

وتتفرع عن هذه اللجنة الادارات التالية :

(أ) ادارة المعلومات :

ويمكن أن تلحق بهـا أقسام كثيرة . منها قسم الاستماع للاذاعات الأجنبية وأهمها الاذاعة الاسرائيلية . وقسم المكتبة ويضم جميع المراجع والوثائق التى يمكن الاستفادة منها فى اعداد الأبحاث المختلفة .

(ب) ادارة الأبحاث ــ وبهـا اربعة اقسام :

قسم للبحوث الاقتصادية مهمته دراسة النشاط الاقتصادى الاسرائيلى.

وقسم البحوث السياسية مهمته دراسة النشاط السياسى الاسرائيلى .

وقسم البحوث الدعائية ومهمته دراسة الدعاية الصهيونية والوقوف على وسائلها وأساليبها والتفكير فى طرق مكافحتها .

وقسم البحوث الثقافيـة ومهمته تتبع النشـاط الثقافى الاسرائيلى فى مختلف أنحاء العـالم ودراسـة شؤون المبعوثين العرب فى الخارج ، وبحث الوسائل الممكنة لزيادة النشاط الثقافى العربى فى المناطق التى تعمل فيها اسرائيل والمناطق التى لم تصل اليها بعد . والتفكير فى امكان الاستفادة من مبعوثى الأزهر فى البـلاد المختلفة ، وايفاد الأساتذة العرب لالقـاء محاضرات فى الخارج .

(جـ) ادارة التخطيط والتوجيـه :

ومهمتها اعداد مواصفات المواد الصالحة للدعاية فى العـالم الخارجى وفى الوطن العربى . وتحديد التيارات الفكرية والثقافية فى الدول المختلفة ، وتحليل القيم والمثل التى تتمسك بها مختلف الشعوب لامكان التحدث اليها بلغتها . ثم تحليل اتجاهات الرأى العام فى الوطن وفى العالم الخارجى ، واختيار انسب الأساليب الدعائية لاتباعها فى مكافحة الصهيونية .

(د) ادارة الاتصـــال :

ومهمتها تنسيق العمل فى الوزارات والهيئات المختلفة فى الدول العربية للتعاون مع اللجنة الدائمة للاعـــلام العربى فى مختلف المجالات ، وكذلك الاشراف على نشاط البعثات والمنظمات العربيـــة ، وجمعيات الصداقة ومداومة الاتصال بهـــا . وذلك لتزويدها بكافة المعلومات وابلاغها مختلف القرارات التى يتوصل اليهـــا الجهـــاز .

(هـ) ادارة المتابعـــة :

وعملها اعداد المواد الاعلامية المختلفة وضمان وصولها الى غايتهـــا ومتابعة تنفيذ قرارات الادارات المختلفـــة وتوصياتها فيما يختص بمقاومة النشـاط الصهيونى فى المجالات الاقتصادية والسياسية والدعائية وغيرها فى مناطق العالم المختلفة ... وتتبع المشكلات التى تعترض التنفيذ والعمل على تذليلهـــا ...

من أجل ذلك لابد لادارة المتابعة من ان تتألف هى الأخرى من أقسام اربعـــة هى :

قســـم النشر ، وقســـم الاذاعة والتليفزيون ، وقســـم الســـينما ، وقســـم التصـــوير .

(و) ادارة العـــلاقات العـــامة :

ومهمتها اقامة اتصالات بين جهاز الاعلام فى الجامعة العربية من جهة ، والصحف وبقية وسائل الاعـــلام من جهة أخرى . وذلك تعريفا بالنشـاط الذى يقوم به جهـــاز الاعـــلام العربى الموحد .

(ز) ادارة المعـــارض :

ومهمتها دراسة الدعوات الموجهة للاشتراك فى المعارض الدولية ، ووضع خطة مشتركة بازائها . واعداد معارض متنقلة تصور الحضـــارة العربيـــة والانتـــاج العربى الحديث .

(ح) ادارة السـياحة :

وتقوم بالدعاية السياحية فى جميع انحاء العـالم باعتبارها عمليـة غير مباشرة للرد على الدعايات الصهيونية المعادية للعرب . ومهمتها كذلك انشاء مكاتب اعلام سياحية للدول العربية فى مختلف عواصم العالم المهمة وتشجيع السياحة الى الدول العربية .

(ط) ادارة المؤسسات الثقافية :

وتنظر فى انشاء المعاهد والفصول الخاصة بتدريس اللغـة العربية وآدابها فى الخارج ، وخاصة فى أفريقيا وآسيا وبعض البـلاد الأمريكية اللاتينية حيث توجد جاليات عربية كبيرة . كما ينبغى أن تقوم هذه الادارة كذلك بتشجيع ترجمة جيدة للكتب التى تعتبر أمهات الأدب العربى والحضارة العربية الى اللغـات الأجنبية ، والاتفاق مع دور النشر فى الخارج لنشر الكتب المترجمـة .

(ى) صندوق الدعوة العربيـة :

ومهمته تمويل الجهاز المقترح عن طريق المساهمات التى تقدمها الدول الأعضاء ، وتخصيص ١٠٪ من عائدات البترول العربى لهذا الصندوق .

ولا بأس كذلك من تخصيص أسبوع من كل عام للدعوة العربيـة ، والقيـام بحملة لجمع التبرعات من جميع البلاد العربية ، ومن جالياتهـا المقيمـة فى الخارج (١) .

---

(١) دفعت بهذا الكتاب الى المطبعة قبل أيام قليلة من قيام الحرب الأخيرة بين العرب واسرائيل ، وذلك فى الخامس من شـهر يونيـة (حزيران) سنة ١٩٦٧ . والذى لا ريب فيه أن العرب تعلموا من هذه الحرب دروسا كثيرة ، وذلك من الناحية العسكرية والناحية الاعلامية ، ولا يعنينا من هذه الدروس فى مثل هذا الكتاب الذى بين يدى القارىء غير الناحية الاعلامية .. وهـذه الناحية الأخـيرة أصبحت بحاجة شـديدة الى جهود كبيرة نرجو أن تكون الدراسـة التى يقدمها هـذا الكتاب تمهيدا لهـا وبداية للخطط العلمية التى تبنى عليهـا .

=

= لقد بنى الاعلام العربى والدعاية العربية فى الفترة الأخيرة التى سبقت هذه الحرب على شىء من المبالغة وافشاء الأسرار العسكرية . فكان هذا الاعلام يكشف دائما عن الأسلحة الحربية التى تحصل عليها الجيوش العربية . وكانت اسرائيل تستغل هذه البيانات العسكرية وتستند اليها فى استجداء أمريكا لعدد كبير من الأسلحة الحربية لكى تصبح قوتها متوازنة مع قوى العرب .

كما كانت الدعاية العربية فى تلك الفترة تعتمد على السباب والتنف على حين انهما لا يؤثران فى الشعوب الغربية أمريكية وأوربية قدر ما تؤثر فيها السخرية الهادئة اللاذعة .

(وبعد) فقد أيقنت الشعوب العربية عقب هذه الحرب بالحاجة الماسة الى امور كثيرة أهمها ما يلى :

١ — الايمان بضرورة الوحدة العربية ، بحيث تصبح هذه الوحدة عقيدة راسخة .

٢ — العناية بدراسة الخطط الاعلامية بنفس الدقة التى توضع بها الخطط العسكرية .

٣ — النظر الى العلم الحديث على انه سلاح من أقوى الأسلحة فى الميدان الحربى والاعلامى .

٤ — اعادة النظر فى الاقتصاد العربى على ضوء التجربة المريرة التى مرت بالعرب فى الحرب الأخيرة .

٥ — تعبئة الشعوب العربية كلها بحيث يصبح كل شعب عربى هو عبارة عن ثكنة عسكرية كما هو الشأن فى اسرائيل التى ثبت انها تحولت منذ عام ١٩٤٨ الى ثكنة عسكرية يشترك فيها الرجال والنساء والفلاحون والعمال . وقد حمل الجميع السلاح واستعدوا استعدادا تاما للمعركة ، وعرف كل مواطن من المواطنين موقعه منها .

الفصل الرابع

الدعاية النـــازية

كان من الطبيعى أن تقوم الدعاية النـــازية على الأفكار والمبـــادىء التى اشـــتمل عليها كتاب هتلر : (كفاحى) . وفيـــه يقول عن الدعاية : « انها التأثير فى خيال الجماهير التى تسيطر عليها الغريزة . وعلى الدعاية أن تتخذ لنفسها شكلا سيكولوجيا ملائما حتى تسلك الطريق الملائم لهــذه الجماهير . ومن رأيى أنه يجب أن تخضـــع البرامج المدروسة والتوجيهية لخـــدمة الدولة » (١) .

ويقول هتلر كذلك فى خطـــاب له فى مؤتمر نورنمبرج ســـنة ١٩٢٦ فى وصف الدعاية النـــازية :

« لقد أوصلتنى الدعاية الى الحكم . وبالدعاية حافظنا على مراكزنا . وبهـــا سوف نستطيع أن نغزو العـــالم كله » .

وهكذا كانت الدعاية النازية من أقوى الأسلحة التى اعتمد عليهـــا النظام النازى . وكانت لها ايديولوجية سياسية تهدف — كما يقول هتلر — الى غزو العـــالم كله .

ومن رأى (جوبلز) وزير الدعاية فى عهد هتلر كذلك :

« ان الدعاية يجب أن تستخدم فى حكم الشعب ، وانه يجب أن تكون مكانتها الأولى بين تلك الفنون . ولا يمكن الاستغناء عنهـــا فى بناء الدولة الحديثة . وان الهدف الأول للدعاية هو قيادة الناس الى الأفكار التى ترغب الدولة أن يعتنقها الجميع » (٢) .

---

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة ، ص ٣٥٧ ، بتصرف .

(٢) نفس المصدر السابق .

من اجل ذلك سخر هتلر كل أجهزة الاعلام فى المانيا لهــذه الغاية التى اشار اليها هو ووزيره . ومن تلك الأجهزة بطبيعة الحال (جهاز الاذاعة) .

وقد كانت هذه الاذاعة اقرب الى الدعاية منها الى الاعلام بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة الأخيرة وآية ذلك ان الاذاعة كانت تؤكد دائما بان الاعمال العدوانية التى قامت بها المانيا ضد بعض الدول ليست فى حقيقتها الا محاولة لضمان العدالة واصلاح الأخطاء الكثيرة التى وقعت فيهـا ، ولاكثار عدد الذين يعطفون على المانيا فى مختلف أنحاء العـالم ، ولتقدير الدور الذى تقوم به المانيا فى سبيل حماية أوربا من انتشار الشيوعية .

والحق لقد كثر النزاع حول الدعاية النــازية . واختلف الباحثون فى مقدار ما فيها من الصواب ومقدار ما فيها من الخطأ .

ومهما يكن من شىء فلهذه الدعاية عيوب ولهــا محاسن . ومن واجبنا أن ندرس الأمرين معـا .

كان هتلر يقول ان من مصلحة المانيا أن تتخذ لنفســها نظاما خاصا فى الاعلام والدعاية يتلاءم معها . ولذلك رأينا وزيره (جوبلز) يأخذ نفسه بدراسة عميقة للدعاية كشفت عنها مذكراته ومحفوظاته . وهــذه الدراسة هى الجانب الحسن من الدعاية النازية كما سنوضح ذلك بعد . اما الجانب السيىء من هذه الدعاية فيتضح لنـا فيما يلى :

سيئات الدعاية النــازية :

لاشك أن من أخطر عيوب هذه الدعاية عيبين واضحين هما :

أولا — ان هــذه الدعاية كانت السبب الأول والأخير فى قيام الحرب العالمية الثانيــة ، وفيما قاساه العــالم كله بوجه عام والمانيــا بوجه خاص من ويلات هــذه الحــرب .

ولا ينبغى أن ننسى بأن النظرية النازية فى ذاتها كانت تقوم على جملة من المبادىء تنكر حق الفرد وتنكر ما له من قيمة ذاتية . فالفرد فى هــذه النظرية كالنحلة فى خلية النحل يجب عليه أن يلغى شخصيته الغاء تاما ،

وان يفنى فى الجماعة فناء تاما . لأن الفرد فى هذه النظرية لا يفكر بل يدع مهمة التفكير للدولة فهى التى تفكر له ، وما هو غير آلة تنفذ ما تفكر فيه الدولة .

ثانيا — اما العيب الثانى من عيوب النظرية النازية فهو القول (بالعنصرية الآرية) . ومعناها النظر الى كل فرد من افراد الشعب الالمانى على أنه عنصر ممتاز عن بقية العناصر التى منها سائر البشر . ولذلك فمن حق هذا العنصر الجرمانى أن يسود على جميع أفراد البشر .

وتطبيقا لهذه النظرية العنصرية وجدنا هتلر يرتب الشعوب فى درجات ويجعل لها أرقاما . فالشعب الالمانى رقم (١) والشعب الفلانى رقم (٢) والشعب الفلانى رقم (٣) وهكذا . ولم يكتف بذلك حتى وضع لكل شعب من هذه الشعوب النظام الذى يلائمه من حيث الاعلام والدعاية حتى اذا وصل هتلر فى كلامه الى اليهود أكد ان سياسة الارهاب هى وحدها السياسة التى تصلح لهم دون غيرهم .

اساليب الدعاية النازية ونظمها واهدافها :

للدعاية النازية أساليب تميزها عن غيرها من الدعايات ولها نظام يختلف عن أنظمة هذه الدعايات . ومن اهم هذه النظم والأساليب ما يلى :

اولا — وزارة الدعاية :

وقد كان وزير الدعاية فى العهد الهتلرى هو (جوبلز) وكان يعتبر الرجل الثانى فى الدولة بعد هتلر مباشرة . وتقوم هذه الوزارة على النظام المركزى بحيث يتصل الوزير مباشرة بمديرى الادارات فى وزارة الدعاية . ولا يكون اتصال الوزير بهؤلاء المديرين عن طريق وكلاء الوزارة حتى لا يحدث تغيير او تبديل فى توجيهات الوزير بسبب نقلها من الوكيل الى المدير .

ومن اجهزة هذه الوزارة كذلك جهاز يقال له (الجستابو) أو المخابرات الالمانية . وكان من عمل هذا الجهاز الأخير مراقبة أفراد الشعب فى كل شىء حتى فى إستماعهم للاذاعات الأجنبية التى حرمها عليهم هتلر تحريما باتا . وكان يهدد كل من إستمع لإذاعة اجنبية بوضعه

فى المعتقل . ومن أجل هذا عمد هتلر الى انشاء مصانع كبيرة لأجهزة الراديو المحلية أو السلكية للاستغناء بها عن الأجهزة اللاسلكية التى تصل المانيا بجميع أنحاء العالم . ووضع هتلر فى كل منزل مكبرا للصوت لينقل الاذاعة التى تحملها الشبكة السلكية التى تسيطر عليهــا الحــكومة سيطرة تامة لأنها المحطة الوحيدة للاذاعة فى برلين .

ثانيا — تنظيم المظاهرات الشعبية فى أثناء خطب هتلر أو جوبلز :

الحق ان أشد ما يعجب له المؤرخ للعهد الهتلرى هو عنايته البالغة بتنظيم المظاهرات على نحو يذهل العقل . فاذا تحدد موعد لاحدى الخطب التى يلقيها هتلر أو جوبلز ذهبت الجماهير الى مكان الاجتماع فى نظام دقيق لتستمع الى الخطبة باصغاء تام ، وتنشــد الأناشــيد بنظام معين ، وتلقى الهتافات لهتلر وتؤدى السلام الهتلرى (هايل هتلر) بنظام معين . وكأن هذه الجماهير فى كل ما يصدر عنها من هــذه الحركات آلات تدار باصبع اليــد الواحــدة .

وهكذا نجحت الدعاية النازية فى تعبئة الشعب الألمانى كله ولم يترك هتلر ولا جوبلز شــيئا للصدفة . بل وضـــعا نظاما دقيقــا لكل مظاهرة من المظاهرات التى يقوم بهـــا الشعب الألمانى .

ثم تحقق قول هتلر فى كتابه (كفاحى) :

« يجب أن نعمل لا فى المجالات السرية ، بل عن طريق القوة الساحقة للجماهـــير . ولا يكون ذلك بواســـطة الخنجر أو الســم أو المســدس وانما عن طريق واحد فقط ، هو غزو رجل الشارع . ولذلك يجب أن تكون روح الدعاية فى مستوى يتلاءم مع روح الجماهير وعقليتهم حتى يتجمع لنــا منهم أكبر عـــدد ممكن » .

ثم ان تنظيم هذه المظاهرات كان يعتمد كذلك على الموسيقى وخاصة منها موسيقى (فاجنر) وهى الموسيقى التى غلب عليهــا الطابع الحماسى . وكانت المنصة التى يخطب من فوقها هتلر تضاء بطرق هندسية خاصة تلهب مشاعر الجماهير وتهيئهم تهيئة خاصة لسماع خطبتــه .

ثالثـــا ـــ نظرية منطاد الاختبـــار :

وتفسير هـــذه النظرية أن الزعيم أو القائد اذا أراد أن يعرف رأى الشعب فى موضوع من الموضوعات وأن يقف على مدى تجاوبه مع هـــذا الموضوع أو ذاك فانه يعمد الى نشر رأى عن هـــذا الموضوع فى صحيفة من الصحف . ثم ينتظر مدة من الزمن ليرى بعدها مبلغ استجابة الشعب لهذا الموضوع فى الأوساط الاجتماعية على اختلافها . فلو كان الرأى العام يميل الى هذا الموضوع فانه يعيد نشره فى شتى الصحف ، ويسمح باذاعته فى محطات الاذاعة ، وينسب هذه الفكرة لنفسه بعد أن كان يخفى هـــذه النســـبة الى نفســـه .

وأما اذا وجد الرأى العـــام يقف ضد هـــذا الموضوع فانه سرعان ما ينتهز أول فرصة يلتقى فيهـــا بأكبر عـــدد من الشعب . واذ ذاك يعلن أن ما ورد فى الصحيفة الفلانية فى موضـــوع كذا ليس له أساس من الحق أو الصـــحة ، وانه لا يوافق عليـــه بحال من الأحـــوال لأنه انما ينظـــر الى المصلحة العـــامة لا الخاصـــة .

وبنفس هذا الأسلوب كان يتعامل هتلر مع الشعب الألمانى بين آونة وأخرى . ولذا كان يبدو أمامه بمظهر البطل الأوحد والزعيم الفرد ومصدر القوة الحقيقية للشعب ، وبأن ألمانيا ان أرادت لنفســـها المجـــد الحقيقى فلا طريق لهـــا الى مثل هذه الغاية الا الانقياد التـــام للنـــازى .

رابعا ـــ نظام القمصان السمراء :

كان من أهداف الدعاية النازية القاء الرعب فى قلوب الأعداء باستمرار ، وكان يعتمد فى ذلك على التهويل والمبالغة وعلى المظاهر التى منهـــا تأليف فرق الشـــباب ذوى القمصان السمراء . والعجيب أن أعداء ألمانيا النازية انخدعوا فى أول الأمر بهذه المبالغات . وصدقوا أن ألمانيا تملك كذا وكذا من المعـــدات والذخائر الحربية ونحو ذلك ، ولهـــذا السبب كانت انجلترا وفرنســـا تستجيبان لمطالب هتلر خوفا من تلك الأسلحة ... وبقى الحال على ذلك حتى قامت الحرب العالميـــة الثانيـــة . واذ ذاك ثبت للعـــالم

أن سياسة الارهاب التى كان يتبعهـا هتلر لم تكن سياســة ناجحة . لانها لم تعتمد على الصدق أو الواقع قدر ما اعتمدت على الكذب أو الوهم . واستطاع الحلفاء فى نهاية الامر أن يتغلبوا على هتلر . فزال عن الوجود وزالت معه كل هـذه الأساليب .

كان جوبلز يقول .. اكذب الف مرة ولو صدقك الناس مرة واحدة فأنت الصــادق .

خامسا — الصليب المعقوف :

وقد كان على كل فرد فى الحزب النازى أن يطبع الصليب المعقوف على سترته وسيارته وعلى باب منزله وعلى آنية اكله وشربه متى أمكن ذلك . والغرض من ذلك أن يكون هتلر والنظام النــازى فى ذاكرته دائما ابتداء من يقظته فى الصباح الى أن يذهب الى فراشـه فى الليل . وذلك تطبيقا لاسلوب من أساليب الدعاية يقال له (من الباب للباب) .

ويقال ان هذا الصليب المعقوف يرمز الى شيئين هما : الدين والقوة . ويقال غير ذلك . ومهما يكن الأمر فقد اتخذته الحركة النازية رمزا لهـا فى ذلك الوقت ، ووفقت توفيقا عظيما فى اختيار هذا الرمز .

وقريب من الصليب المعقوف فى نظام الدعاية النازية التحية المعروفة التى كان يقابل بهـا هتلر من الشعب الالمـانى بين لحظــة وأخرى . وهى قولهم (هايل هتلر) .

وهــذه التحية من جانب والصليب المعقــوف من جانب آخر أمران خاصان بالشعب الألمانى وحده . فاذا مارســها غير الألمانى فانه يعرض نفسه للعقاب أو يلقى فى معسكرات الاعتقال . ولذلك لم يكن يسمح لليهود بحمل الصليب المعقوف حتى لا ينخدع بهم الشعب الألمانى .

على أن هــذا الصليب المعقوف لم يكن يحمله الألمــانى خارج بلاده ذلك أن هتلر كان يتخذ من الألمان خارج ألمانيا ما يسمى «بالطابور الخامس» . وكان يقول للألمانى الذى سلك نفسه فى هذا الطابور : انك من عنصر جرمانى وستكون حاكما للبلاد التى تقيم فيها بعد أن تغزوها . وبهــذا الأسلوب

كان هتلر يفتح البلاد بسهولة ويسر عبرت عنهما جريدة التايمس بقولها :

« ان هتلر يفتح البـــلاد قبل أن يصل جيشه اليها . ذلك ان البلد الذي يريد ان يدخله يكون مهيأ له عن طريق الطابور الخامس الذي اعـــده اعدادا صحيحا في ذلك البلد » .

هـــذه هي أهم الأساليب التي اعتمدت عليهـــا الدعاية النازية . يضاف الى كل ذلك ما يجب أن تعنى به الحكومات التي تأتي دائما عقب الثورات والانقلابات الكبرى . ومن ذلك العناية بالصحافة والاذاعة وغيرهما من وسائل الاعلام المعروفة ، والدقة في اختيار الأفراد القائمين على هـــذه الأجهزة حتى يعملوا في انسجام تام مع الحكومة . ومن ذلك أيضا العناية بنشر الثقافة التي تدعو اليهـــا الحكومة الجـــديدة أو الثورة الجـــديدة . وقد كان هتلر يعمل على نشر الثقافة الألمانية بحيث ان كل ما هو جـــديد في هذه الثقافة لابد ان يعرفه الناس جميعا في الخارج .

وأما بالنسبة للفـــكر النازي والفلسفة النازية ومهاجمة الفلسفات والنظريات الأخرى فكان يقوم به قسم يقال له « مقاومة دعاية الأعداء » .

يضاف الى كل ما تقدم تدخل الحكومة في أمر تربية النشء ، وهـــذا ما عني به هتلر عناية كبيرة وانشأ من اجله ما يسمى (بالمنظمـــة الهتلرية لتربية النشء) وقد عملت هذه المنظمة على تهيئة الشباب الألماني لتقبـــل النظام النازي والايمان المطلق بهتلر وقدرته على أن يجعـــل ألمانيا حاكمة ومسيطرة على العالم أجمع . وهذا هو الهدف الأسمى للدعوة النازية .

الفصل الخامس

الدعاية السوفيتية

قبل الكلام عن الدعاية السوفيتية لا مفر لنا من الكلام عن الأيديولوجية الشيوعية . والمعروف أن الشيوعية تقوم على آراء ماركس . وفي رأى هذا الفيلسوف الشيوعي ان الهدف الرئيسي للفلسفة الشيوعية هو اقامة مجتمع تتحقق فيه العدالة التامة . وفي رأيه كذلك أن هذا الهدف لا يتحقق ما لم تسبقه مرحلة انتقالية تكون فيها السيطرة التامة لطبقة (البروليتاريا) او طبقة الكادحين من العمال والفلاحين . وبعد هــذه المرحلة الانتقالية تاتى مرحلة المجتمــع الشــيوعي الذى هو الغــاية القصوى من قيــام الحركة الشيوعية .

لذلك صدر أول دستور سوفيتى سنة ١٩١٨ وجاء فيه (ان المهمة الرئيسية للدستور خــلال فترة الانتقال الحاليــة هى اقامة ديكتاتورية البروليتاريا فى المدينة وديكتاتورية الفلاحين فى القرية . والقصد من هــذه الديكتاتورية فى الحالتين هو القضــاء على البرجوازية وعلى اســتغلال الانسان لأخيــه الانسان . والقصد منها كذلك هو الوصول الى الحالة التى يصبح فيها المجتمع بغير حاجة الى حكومة . اذ الحكومة فى ذاتهــا ظاهرة عارضة مصيرها الى الزوال والاختفاء التــام) .

وفي سنة ١٩٣٦ صدر الدستور السوفيتى الثــانى وهو يحمل نفس هــذا الطابع . ويقوم هــذا الدستور على اساسين :

أولهما ــ الغــاء الملكيات الخاصة لوسائل الانتــاج ومنع استغلال الانسان اخاه الانسان .

وثانيهما ــ اقامة الديكتاتورية البروليتارية ووضــعها موضع التنفيذ وسحق الطبقــة الراسمالية وذلك عن طريق :

الحــزب الشــيوعى الواحــد :

وهو المحتكر الوحيد للسلطة السياسية فى الحكم السوفيتى ، والمحتكر الوحيد للنشاط السياسى من جميع نواحيه .

واحتكار الحزب الشيوعى للسلطة على هذا النحو جعله يدعى العصمة لنفسه ، وأدى به الى رفض كل معارضة له مهما كان مصدرها .

والحزب الشيوعى فى نظر لينين اشبه ما يكون بهيئــة اركان حرب الجيش . وهذا الحزب — او هذه القيادة — هى التى تأمر الطبقة العاملة بالزحف الى الأمام او بالهجوم او بالتراجــع والتقهقر حسبما تقضى بذلك الظروف . والحزب الشيوعى الواحد فى نظر (لينين) كذلك ليس من عمله السير خلف الجماهير . وليس من عمله كذلك تسجيل الام الطبقة العاملة وافكارها — ان كان لديها افكار — ولكن عمله فى الواقع هو قيادة الطبقة العاملة او طبقــة البروليتاريا .

وعلى هــذا فان أول خطوة فى الحركة الماركسية هى العمــل على السيطرة التامة على أذهان الطبقة العاملة وكسبها الى جانب الماركسية . ومع هذا وذاك فان النظرية الشيوعية توجب على الحزب أن يصغى لصوت الجماهير دون أن يعلم بذلك الجماهير ، وان يحكم على نفسه بمدى استعداد هذه الجماهير لتأييد النظرية الشيوعية التى يقوم عليها .

من أجل ذلك أوجب الحزب الشيوعى على نفسه السيطرة التامة على جميع وســائل الاعلام ، ومن أهمها — كما سنعرف ذلك بعد — ادارة تسمى ادارة الشيوعية والدعاية . ولذلك كان كل من (لينين) و (ستالين) يتحدث عن الصحافة والاذاعة ووسائل الاعــلام الأخرى على أنهــا أدوات فى يد الحزب . أو — على حد تعبيرهما — لجام تشد به الجماهير الى الحزب . والحزب هو الذى يقرر برامج الاذاعة والمواد التى تنشرها الصحف والمواد التى تعرضها السينما . والدولة هى التى تقوم بتكاليف الصحافة والاذاعة والسينما وغيرها من أجهزة الاتصال بالجماهير . وهذه التكاليف لا تقــل فى ذاتهــا عن تكاليف الاعــلان فى اكبر الدول الراسمالية كالولايات المتحدة وغــيرها .

والخلاصة حتى الآن أن النظرية الشيوعية لا تهمل الرأى العـام ، ولا تقلل من أهميته . ولكنها تشعر بالحاجة الماسـة الى التدخل التـام فى تشكيله بالصورة التى تراها .

بقى أن نقول عن نظام الحزب الشيوعى ان اللجنة المركزية له تتالف من المكاتب الآتيـة :

١ ــ مكتب للتنظيم تكون له القيادة العامة فى التشكيل الشيوعى باكمله .

٢ ــ مكتب للادارة يقوم بأعمال السكرتارية .

٣ ــ مكتب لمراقبة الحزب يشرف على تنفيذ قراراته ويتتبع تنفيذ القرارات .

٤ ــ مكتب للمراجعـات الماليـة .

٥ ــ مكتب للأعمال السياسية وحدها .

ويتكون هذا المكتب الأخير من أربعة عشر عضوا يعبرون عن الحزب . وله القوة الحقيقية والمسيطرة على الحزب كله . وله كذلك يخضـع المؤتمر العام للحزب الشيوعى . والمكتب السـياسى هو صاحب الحق فى دعوة المؤتمر للانعقاد فى فترات متباعدة جداً ــ واعنى كل ثلاث سنوات على الاقل.

نظـام الدعاية الشيوعية أو السوفيتية :

اذا كان ماركس هو واضع النظرية الشيوعية فان (لينين) هو واضع الأسلوب العلمى للدعاية الشيوعية . (ولينين) هو الذى وضـع هـذه القاعدة التى تقول :

« ان العامل الأساسى للدعاية دائما هو الاثارة والتهييج (Agit action) بين طبقـات الشـعب » .

ولينين كذلك هو الذى ابتدع نظاما للدعاية يقوم على طوائف ثلاث وهى : طائفة المنظمين ، وطائفة الدعاة ، وطائفة مثيرى القلاقل .

(فالمنظم) يتولى تنظيم الاجتماعات والاحتفالات المحلية ويقوم بتنظيم الدعاية فى هذه الحفلات والاجتماعات .

(ومثير القلاقل) — أو المحرض — هو الشخص الذى عنده فكرة واحدة ، أو عدد بسيط من الأفكار يرددها أمام عدد قليل من الناس لكى يثيرهم شيئا فشيئا .

(والداعى) يتلقى الموضوع الذى تراد الدعاية له ويضيف اليه كثيرا من عنده ويذيعه على أكبر عدد من الناس . وهو فى ذلك يخالف المحرض — أو مثير القلاقل — فى ان المحرض يأخذ فكرة معينة وينقلها الى شخص معين ، أو عدد قليل من الأشخاص بقصد الاثارة . كما يفعل مثلا حلاق القرية أو الحى ، أو بقال الشارع أو الكواء . أو كما يحدث من طالب واحد أو عدد قليل من الطلبة يهتفون بهتاف معين يقصدون به اثارة الباقين من الطلاب .

وسائل الدعاية السوفيتية :

وهى كثيرة منها :

١ — الصحافة :

ولا شك أن الصحف من أقوى الوسائل التى تعتمد عليها الدعاية السوفييتية . ولكل فئة فى الاتحاد السوفييتى صحيفة تتحدث الى هذه الفئة بطريقة معينة . فللفلاحين صحف ، وللعمال صحف ، وللمثقفين صحف وهكذا . ومعنى ذلك أن الصحافة السوفيتية صحافة موجهة من قبل الدولة بكل ما تحمل كلمة (التوجيه) من معنى . بل ان الصحافة فى داخل روسيا السوفيتية تختلف عن الصحافة فى غيرها من البلاد الشيوعية . أى أن الاتجاه فى جميع الصحف الشيوعية واحد فى العالم . ولكن الطريقة تختلف باختلاف الشعوب كما تختلف باختلاف الفئات . ويتضح لنا ذلك من هذا المثال :

« عندما يريد الشيوعيون أن يهاجموا دولة من الدول فانهم يطلبون الى موسكو أن تلتزم الصمت والا تتدخل صحفها فى هذا الموضوع ، وأن تبدى الحكومة شعور المودة والتقدير لهذه الدولة . ثم يطلبون فى نفس الوقت الى بعض الصحف الشيوعية فى بلد من البلاد مثل (لبنان) أن تهاجم هذه الدولة . وهكذا توقع موسكو الصحف الشيوعية اللبنانية فى الحرج ،

وتتنصل هى من هذا الهجوم بدعوى أن هـــذا العمل لم يصدر منها ولكن صدر من غيرها ولا ذنب لهـــا فى شىء من ذلك .

٢ — التوجيــه الثقــافى والعلمى :

يقضى النظام السوفيتى بأن فروع الثقافة المختلفة من آداب وفنون وعلوم ونحـــو ذلك لابد أن تكون كلها فى خدمة الدولة . ولابد أن تهـدف الى شىء واحد فقط هو تكوين العقل السوفيتى الجديد . وقد نجح الحزب الشيوعى فى هـــذه الغاية نجاحا لا نظير له . ومن أجل ذلك أقام الحزب الشيوعى ستارا حديديا حول الاتحاد السوفيتى حتى لا تستطيع أية ثقافة من الثقافات الأجنبيـــة أن تغزو العقـــل السوفيتى الجـــديد بأية صـــورة من الصور . وهذا ما يعبر عنه بسياسة (النوافذ المغلقة) . ومن أجل ذلك منع الحزب الشيوعى نظام الاذاعة السلكية وفعل ما فعله هتلر من قبل من أنه شجع على قيام نظام الاذاعة اللاسلكية . وعن طريق هذا النظام يستطيع راديو موسكو أن يذيع ما يريده للشعب . ولا يستطيع هذا الشعب أن يستمع الى اذاعة أجنبية فى نفس الوقت .

ومثل ذلك يحـــدث فى الأدب الشيوعى فانه أدب موجه أكثر منـــه أدبا هادفا . ولذلك لا يؤمن السوفييت بالنظرية القائلة (الأدب للأدب) أو (الفن للفن) . ولهـــذا السبب كذلك لا يشجع الحزب الا على الأدب الذى يؤمن بالنظرية الماركسية ويدعو لها . وكذلك يفعل الحزب الشيوعى بالأفلام فلا يسمح منها لغير الفيلم الموجـــه أو الفيلم الذى يمجـــد المذهب الشيوعى ويعظم من شأن الماركسية . وينظر الى (المانيفستو) الشيوعى نظرة المسيحى الى الانجيل نفسه .

(ولينين) فى كل ذلك يشـــبه بهتلر من حيث الاعتماد على الدعاية باعتبارها قوة سياسية لا نظير لهـــا فى الدولة .

٣ — تقييـــد حرية الســـياحة :

لم يكن مسموحا لأى ســـائح سوفيتى بالخروج من بلاده الى بلاد أخرى خوفا من أن يطلع فى هـــذه البـــلاد الجديدة على نماذج جـــديدة

من الفكر والثقافة والحضارة ونوع المعيشة ، وبقيت هـذه الطريقة متبعة فى الاتحاد السوفيتى الى أن استقرت قواعد النظام الجديد ، واصبحت النظم البلشفية عقيدة للشعب الروسى كله . واذ ذاك فقط بدأ الحزب يتساهل قليلا فى تقييد حرية السياحة . وهو واثق أن السـائح السوفيتى لن يتأثر ايمانه بالشيوعية الماركسية عن طريق السياحة .

٤ — ادعاء الاجماع :

ويمثل هذه الوسيلة من وسائل الدعاية ما قيل من أنه حدث فى انجلترا أن أرسل منشور للملكة من قبل ثلاثة فقط من الخياطين فى لندن . ولم يحدد المنشور العدد الذى اشترك فى كتابته وارساله . بل صدر بالعبارة التالية : نحن شعب بريطانيا — والقارىء لمثل هـذا المنشور يجهل بطبيعة الحال ان ثلاثة فقط هم الذين أرسلوه الى الملكة — ولكن عنـدما أجرى تحقيق دقيق اتضح أن ثلاثة فقط من الخياطين الشيوعيين الساخطين على شىء معين هم الذين أرسلوه الى الملكة . وانهم استخدموا فى كتابة المنشـور هـذه الطريقة التى تسمى (ادعاء الاجماع) (١) .

وهـذه هى نفس الطريقة المتبعة فى كثير من المنشورات الشيوعية فى البـلاد المؤمنة بهـذا النظام .

ونفس هذه الطريقة متبعة كذلك فى الصحف السوفيتية حين تتظاهر بالاجماع على خبر معين لغاية سياسية معينة . وقد لا يكون هناك أساس من الصحة لهذا الخبر . وفى هـذه الحالة تبلغ الصحافة السوفيتية آخر درجات التضليل . وهى تعتمـد فى كل ذلك على القـاعدة التى تقـول « الغـاية تبرر الوسيلة » .

٥ — العناية بتربية النشء تربية ماركسية بحتة :

من الكلمات المأثورة عن ستالين قوله :

« اننا نريد عقولا متشابهة . فيجب أن نصل الى هذه العقول بخلق

---

(١) الدكتور محمد عبد القادر حاتم : محاضرات فى كلية الآداب ، مخطوطة ص ١٠٤ .

طراز جديد من النشء ، وطراز جديد ايضا من الرأى العام ، وذلك عن طريق نشر المبادىء الشيوعية لغاية واحدة هى جعل عقول الناس متشابهة الى أكبر حد ممكن . ونحن الرابحون من وراء ذلك ، وبتكوين العقول المتشابهة يصبح امر الدعاية سهلا علينا للغاية ، أو بعبارة أخرى يكفى أن نقنع عقلا واحدا بمبادئنا لكى نقنع كل العقول الأخرى بنفس المبادىء » .

من اجل ذلك وجدنا الحزب الشيوعى يتحكم تحكما تاما فى نوع الثقافة التى يقدمها للشعب الروسى ونوع الأدب الموجه الذى يستمتع به الشعب الروسى ، ونوع الأفلام السينمائية التى يتسلى بها وهكذا . وبهذه الطريقة وحدها يأخذ الحزب الشيوعى فى تعبئة الشباب الروسى والمجتمع الروسى للدفاع عن المبادىء الشيوعية والايمان المطلق بهـا .

ومن أجل ذلك ايضا يؤمن الشيوعيون بنصيحة لينين التى يقول فيها انه يجب تشـويه الثقافات الأجنبيـة باستمرار وتشـويه البورجوازية بلا انقطاع ، وتمجيد الثقافة السوفيتية على الدوام .

* * *

توجد الى جانب الوسائل الخمس المتقدمة خطط أخرى ليست لهـا أهمية الخطط السابقة . ومن هذه الخطط الأخرى :

(أ) خطة التباهى بناحية معينة يحاول الروس اظهارها للعالم كله على سبيل الاستعلاء والمفاخرة والقاء الرعب فى نفوس الأعداء . ومن ذلك تركيز الروس على موضـوع (غزو الفضاء) وحديث الصحف كلها عن هذا الاختراع .

نعم ، أن الاتحاد السوفيتى سبق أمريكا الى هذا الكشف العلمى . ولكن ليس معنى ذلك أن تتخذ روسيا من هذا السبق ذريعة الى السيطرة المعنوية أو العقلية على أجزاء العـالم كله . والعلم فى ذاته لا وطن له . وكل أمة من الأمم المتقدمة لهـا حصتها فى هـذا التقدم .

(ب) التشهير بجوانب الضعف فى الأمم المعادية .

وهـذا نوع من الدعاية المغرضة المكشوفة فى وقت معا . والشاعر العربى يقول :

وعـــين الرضـــا عن كل عيب كليـلة

ولكن عين الســخط تبدى المســاويا

غير أن الأعداء الحقيقيين يفعلون أكثر من ذلك . فانهم اذا رأوا عملا ســيئا من اعدائهم أشاعوه وشمتوا به وفضحوا أعداءهم على المــلأ ، وذلك بطريق الاذاعــة والصحف . وأما اذا رأوا منهم عمــلا من الأعمال الحسنة فانهم يسكتون عنه ولا يتحدثون عنه ولو بكلمة عابرة .

(جـ) استخدام التهكم والسخرية :

وهو من الأسلحة القديمة فى تاريخ الأدب قبــل تاريخ الصحافة . ولا غنى عنه مطلقــا فى التعبير عن السخط على أمر معين أو الضيق بأمر معين . سواء صدر هــذا السخط عن فرد أو شعب أو حكومة أو جماعة من النـــاس ضد جماعة أخرى .

ساق الدكتور عبد القادر حاتم الينا هذا المثال :

كان فى بلجيكا مرشح للانتخابات اسمه ميشيل ، فتصــدى له رجل شيوعى لينافسه . فعمــد الشيوعيون فى دعايتهم الى أسلوب السخرية فأتوا بحمار وكتبوا على ظهره العبارة التالية :

« انى أنتخب ميشيل » .

وطافوا بهــذا الحمار فى أرجاء المدينة .

* * *

تلك نماذج من دعايات مارســتها الصهيونية والنازية والشيوعية . وكانت الغاية الحقيقية لكل واحدة منها هى الرغبة فى السيطرة على جميع أجزاء العالم . وكانت الطريقة المتبعة فى كل منها هى لبس الحق بالباطل .

ومع أن النــاس فى كل زمان ومكان يسيئون الظن بلفظ (الدعاية) فانهم لا يستطيعون أن يبرأوا من الخضوع لها والتأثر بها والعمل على تحقيق الهدف الذى تسعى اليه . ومن أجل ذلك قالوا عن الدعاية انها قوة سياسية جــديدة ، ونظروا الى الدعاية على أنهــا أكبر أنواع الضغط الاجتماعى فى القرن العشرين ـــ قرن الدعاية كما يقولون .

بغـــداد   عبد اللطيف حمزة

الخاتمة

حـــرية الاعـــلام

ليس خيرا من أن نختم هـــذا الكتاب بكلمة نعرض فيها لأكبر قضية تشغل بال الناس فى هـــذا العصر الذي نعيش فيه . وهى القضية الخاصة بحـــرية الاعـــلام .

ان أول عبارة وقع عليها نظر القارىء لهـــذا الكتاب هى العبـــارة التى تقول : « ان الراى العام والاعلام وجهان لعملة واحدة . وهذه العملة هى الحرية » . ونريد أن نعود الى تفسير هـــذه العبـــارة وذلك فى معرض الكلام عن هـــذه القضية الهامة .

سبق لنـــا أن ارتضينا تعريفـــا للاعلام ، هو التعريف الذى يقول : « ان الاعـــلام تعبير موضوعى لعقليـــة الجماهير وميولهم واتجاهاتهم » . غير أن اتجاهات الجماهير وميولها الدالة على عقولها كانت فى اول أمرها عبارة عن اتجاهات فردية ، وسلوكا شخصيا .

ثم انضمت هذه الاتجاهات الفردية بعضها الى بعض وامتزج بعضها فى بعض ، وتألف من هذا المزج ما يسمى (بالراى العام) أو (الاتجاه العام) ثم جاء الاعلام فى نهاية الشوط فوجد نفسه مسؤولا عن التعبير عن الراى العام والاتجاه العام بوسائله المعروفة التى منها الصحافة والاذاعة والكتب والخطب وغـــير ذلك .

ان معنى ذلك أنه اذا أعطيت الحرية للأفراد فى التعبير عن آرائهم الذاتية ومناقشاتهم العامة حول مشكلة من المشكلات أو حادثة من الحوادث ادى ذلك بطبيعـــة الحال الى انتقال هـــذه الحرية فى التعبير من الأفراد الى الجماعات . واذا أتى دور الاعـــلام للتعبير عن هـــذه الآراء الفردية التي تحولت الى آراء جماعية فان هـــذا الاعـــلام لابد إن يكون موسوما هو الآخر بسمة الحرية .

والخلاصة ان المناقشة الحرة هى الشرط الاول فى الوصول الى حرية الاعــلام . وهــذا هو المعنى المقصود من العبارة التى تقول « ان الحرية فى ذاتهــا تشبه العملة التى يتداولها الناس فى الأسواق . ولعملة الحرية وجهان : اولها الراى العام . وثانيها الاعلام » .

اتفقت دساتير العالم على أن لكل فرد من افراد المجتمع مطلق الحق فى ان يعبر عن رأيه ما دام قادرا على ذلك عن طريق الصحف أو الكتب أو الاذاعــة أو الخطابة أو الاتصالات الشخصية وغـير ذلك من وسائل الاعــلام المختلفــة .

ومن هنا قيــل فى معنى حرية الصحافة انهــا حرية الطبع والنشر بدون اجازة سابقة من الحكومة ــ بشرط أن يكون ذلك فى حدود القانون .

وذلك ما نصت عليــه المادة الحادية عشرة من حقوق الانســـان . وقد جاء فيهـــا :

إن التداول الحر للأفكار والآراء حق من حقوق الانسان . فلكل مواطن الحق فى أن يتكلم ويكتب ويطبع بصورة حرة . وهو مسؤول عن ســوء استعمال هــذه الحرية في المجالات التي يحددها القانون .

معنى جــديد لحرية الصحافة :

غير أنه بظهور (الاشتراكية) نظر النـــاس نظرة جديدة الى حرية الصحافة . وبنوا هــذه النظرة الجديدة على أساس إقتصــادى الى جانب الأساس القديم . وهو الأساس السياسى .

ومعنى ذلك أن « حرية الصحافة لم تعد محصورة فى المعنى السياسى كما كانت من قبــل ولكنها تعدت ذلك الى المعنى الاقتصادى . فأصبحت تهدف الى التحرر من الخضوع لرأس المال » (١) وبعبارة اخرى : تهــدف الى التحرر من الأفراد القــلائل الذين مكنتهم ظروفهم الاقتصادية من جمع

---

(١) عبد اللطيف حمزة : أزمة الضمير الصحفى ، فصل بعنوان : معنى جديد لحرية الصحافة ص ٤٠ ــ ٥٠ .

رؤوس الأموال التى أصدروا بهـا الصحف . ولهـذا السبب أصبح هؤلاء هم وحدهم أصحاب الحق الأول فى وضع سياسة الصحيفة ، وأصحاب الحق الأول فى تحريرها واخراجها بالشكل الذى يرضى نوازعهم ، ويحقق مصالحهم . أما مصلحة الشعب فتأتى فى الدرجة الثانية بعد ذلك .

هل هنـاك حرية صـحافة :

نعـم ، تغـير مفهوم الحـرية الصحفية من جيـل الى جيـل ، ومن نظرية الى نظرية .

ولكن ، هل صحيح أن لحرية الصحافة والاعـلام بوجه عام وجود ما فى عالم الأمس وعالم اليوم ؟

لقد أجبنا عن هذا السؤال فى تضاعيف هذا الكتاب بالنفى التام . ونريد الآن أن نوضح بعض الأسباب التى بنينا عليهـا هـذه الاجابة .

وسنعرف من استعراضنا لهذه الأسباب أن حرية الاعلام — وان كانت مفقودة بوجه عام — فان فقدانها ليس معناه أن الاعلام لا يؤدى وظيفـة فى نقل الأخبار وتبادل الأفكار وتقدم البشرية وتنوير الرأى العام ونحو ذلك .

كلا ، فان الاعـلام يقوم بكل هذه الوظائف .

ولكن لو حظى هـذا الاعـلام بحرية أوسع وسلطة أكبر لتقدمت الانسانية أشواطا أبعـد من هـذا الشوط ، ولاقترب النـاس من السلام ومن المثـل العليـا بأكثر من هـذا الحـد .

ومع هذا وذاك فنحن لا نيأس من بلوغ اليوم الذى يحظى فيه الاعلام بحرية كاملة . ونحن نستند فى ذلك الى تقـدم العقـل البشرى فى العلم وفى الفن وفى عالم الأخـلاق والمثـل .

الأسباب التى تعوق حرية الاعـلام :

ونعود الى بيان الأسباب التى تعوق من حرية الاعلام وتقف حجر عثرة فى سبيله وهى كثيرة بطبيعة الحال نكتفى منها بالأسباب التالية :

اولا — وجود اختلاف بين النظريات الاعلامية الأربع من حيث هى ، وقد أشرنا الى هذه النظريات بايجاز فى هـذا الكتاب . وشرحناها باسهاب

فى كتاب آخر بعنوان (الاعـــلام له تاريخه ومذاهبه) . وهـــذه النظريات الأربع هى :

نظرية السلطة ، ونظرية الحرية ، ونظرية المسؤولية الاجتماعية ، والنظرية السوفيتية .

وبالرغم من وجود الاختلاف بين هـــذه النظريات ، فان ثلاثا منهـــا على الأقل لم تسمح بوجود الحرية الصحفية . وهذه النظريات الثلاث هى : نظرية السلطة ، والنظرية السوفيتية ، ثم نظرية المسؤولية الاجتماعية . وواحدة فقط من هـــذه النظريات الاعلامية . وهى نظرية الحرية تسمح بوجود هذه الحرية . ولكن هذه النظرية لم تصبح صالحة لكثير من شعوب العالم فى الوقت الحاضر . بل ان هـــذه الشعوب تنظر الى هذه الحرية على أنهـــا نوع من الفوضى التى لا تساعد على بنـــاء المجتمعات النامية بوجـــه خاص .

لقد كانت ـــ وما زالت ـــ حجة القائلين بالنظريات الثلاث التى لم توافق على حرية الصحافة هى ضرورة المحافظة على النظام القائم . ويكفى ذلك لكى نجـــد المسؤولين عن المحافظة على هـــذا النظام يعمدون الى تقييد الصحافة ، ويضعون فى عنقها الأغـــلال والسلاسل .

ثانيـــا ـــ تتمثل هـــذه الأغـــلال والسلاسل فى شكل قوانين منظمة للصحافة وفى شـــكل رقابة تفرض على الصحف من الناحيـــة السياسية والأيديولوجية . وهو أمر معروف فى تاريخ الصحافة فى جميع انحاء العالم . ولا يحتاج منا الى مزيد من الشرح .

ثالثـــا ـــ تحول الصحافة فى العصر الحديث الى صحافة تحتـــاج الى استخدام الآلات الكثيرة فى اصدار الصحيفة . وهى آلات معقدة ومرتفعة الثمن بحيث أصـــبح يستعصى على الأفراد القيـــام باصـــدار الصحف . ومن ثم قامت بهذا العمل شركات رأسمالية فى الدول التى تتبع النظام الحر . كما قامت بهذا العمل حكومات بذواتها فى الدول التى تتبع النظام الشيوعى . وأما الدول التى تتبع النظام الاشتراكى المعتدل فانها عهدت بالقيام بهذا العمل الى ما يسمى « بالاتحاد الاشتراكى » فى هـــذه الدول .

ومعنى ذلك أنه بسبب تحكم الراسمالية فى صناعة الصحف والاذاعة والسينما لجأ المذهب الشـيوعى الى (تأميم الصحافة) . ولجأ المذهب الاشـتراكى المعتدل الى (تنظيم الصحافة) (١) .

ومع ان هذا هو الحل السليم لمشكلة الخضوع لرأس المال من جانب الصحافة فاننا نجد حرية الصحافة انتقلت بهذا الحل من أيدى الراسمالية الى يد « الحزب الواحد » فى الاتحاد السوفيتى ، ويد « الاتحاد الاشتراكى » فى الدول الاشتراكية المعتـدلة . وما زال الكثيرون جـدا من المواطنين القادرين على التعبير عن آرائهم فى جميع هـذه الدول التى اشرنا اليهـا محرومين من هـذا التعبير .

واذا كان هـذا صحيحا بالقيـاس الى الدول الشيوعيـة والدول الاشتراكية ، فانه اصح بالقياس الى الدول الراسمالية التى حصرت حرية الصـحافة فى ايدى أصحاب الصحف ، أو أصحاب رؤوس الأموال التى اعتمدت عليهـا هـذه الصحف .

وفقدان الحرية الصحفية بكل صورة من الصور المتقدمة يعود على المجتمعات نفسها بضرر كبير فى الحقيقة . ذلك أن الصحافة الحرة تعتبر نوعا من الاستفتاء النزيه للأمة . ذلك أن الصحف تستطيع دائما أن تعبر عن رغبات الجماهير واتجاهات الشعوب . ومن أقوال الانجليز المشهورة فى ذلك :

خير لنـا أن نكون بدون برلمان ، من أن نكون بدون حرية صحافة . والأفضل أن نحرم من المسؤولية الوزارية ومن الحرية الشخصية ومن حق التصويت على أن نحرم من حرية الصحافة . ذلك أنه يمكن لهـذه الحرية وحدها — ان عاجلا أو آجلا — أن تعيد جميع الحريات الأخرى .

رابعـا — وجود صـعوبات كثيرة أمام حرية الصـحافة تخالف

(١) لمن أراد الاستزادة فى هـذا الموضوع أن يرجع الى كتاب (أزمة الضمير الصحفى) للمؤلف .

فى طبيعتها الصعوبات التى تحدثنا عنها . وتكمن هذه الصعوبات الجديدة وراء القائمين على وسائل الاعلام على اختلافها .

فلأغراض شخصية ، وأخرى سياسية نجد أن كل وسيلة من وسائل الاعـلام المعروفة لا تحاول أن تتوخى الحقيقة . ولكن تجمع فى نشراتها الاخبـارية بين الحقائق والأكاذيب وتخلط فى ذلك بين الانحراف والنزاهة وتضلل القارىء او السامع بهذه الطريقة ولا يكاد يبرأ من ذلك أى ضرب من ضروب الاعلام فى أية جهة من جهات العالم الذى نعيش فيه .

على أن هـذه الموانع التى تمنع من حرية الاعـلام أو الصحافة ، الى اذاعات مختلفـة أو قراءة الصحف المتباينـة . وهو يعتمـد فى ذلك على الفكرة التى تقول : ان الحقيقة دائما تقع فى مكان وسط بين طرفين .

على أن هـذه الموانع التى تمنع من حرية الاعـلام أو الصحافة ، وتضعف من وجـودها قد تكمن كذلك فى نفس السـامع أو القـارىء . فقد لا يكون عند أحدهما الاستعداد النفسى لفهم الأخبـار كما ترد اليـه من الصحافة أو الاذاعة . وقد لا يكون عندهما الاسـتعداد الذهنى لفهم الكلمة التى تنقل بوساطتها الأخبار والأفكار . ومن ثم يهتم علماء الاعـلام — كما سبق شرح ذلك فى غضون هذا الكتاب — بمعانى الكلمات ومدلولات الالفاظ وقدرتها على الايحاء . ولا ينجح الاعـلام بأى شـكل من أشكاله المعروفة ما لم تبذل فى سبيله العناية التامة بهـذه القضايا . ومنها قضية الالتباس الذى توصف به بعض الكلمات . وكما يقـع الالتباس فى الكلمة يقع فى الجملة ويقع فى المضمون العـام . وهنا يصبح القارىء أو السامع معذورا فى عدم قدرته على المتابعـة .

وهنا يفقد الاعـلام قصده ويضل طريقه ، وتنعدم الحرية الاعلامية ذاتهـا وتحرم من تأدية وظيفتهـا .

خامسا — من الأخطاء المحدقة بحرية الاعـلام — ولعله أخطرها — عدم انتشار التعليم وخاصة فى الدول المتخلفة أو النامية . ذلك أن الجهل يعوق عن فهم الأخبار وتبادل الأفكار . وبذلك تمتنع على الجاهل ان ينتفع بها أو يعلق عليها أو يؤلف لنفسه رأيا فيهـا .

وتكون النتيجة إنتشار (الأمية الاعلامية) فى جميع الدول المتخلفة . والأمية الاعلامية مرض من أمراض هذه الدول المتخلفة ينبغى لهـا التفكير فى علاجه بطرق كثيرة . منها نشر التعليم والأخذ بأسباب الثقافة وتنوير الجماهير . وبدون ذلك لا تتمتع هـذه الدول بالاعلام ولا بحرية الاعـلام ولا تشارك فى القضايا العامة التى تهم هـذه الدول .

سادسا — غلبة الدعاية على الاعلام الى الحد الذى يمنع الاعـلام من تادية وظيفته فضلا عن انها تحرمه حرمانا تاما من ممارسة حريته .

ان الدعاية تبدو فى كل زمان ومكان على وجـه الأرض وكانها اقوى من الاعلام ، وانهـا اكثر استهواء للناس ، واعمق تاثيرا فى عواطفهم . والناس فى كل زمان ومكان يخضعون لحكومة العواطف أكثر من خضوعهم لحكومة المنطق والعقـل . وهـذا هو احـد الأسباب التى جعلت الغلبة للدعاية على الاعـلام .

ان الدعاية الصهيونية تقف الآن حجر عثرة أمام الاعـلام العربى ، وتمنعه من ممارسـة حريتـه فى مكافحة الدعاية الصهيونية القوية فى كل من امريكا وأوربا . ولولا هـذه الدعاية لاستطاع الاعلام العربى أن يقف الأمريكيين والأوربيين على كثير من الحقائق التاريخيـة والسياسـية التى يجهلونها عن قضية العرب .

ان صوت الاعلام العربى غير مسموع بتاتا فى بلاد كالولايات المتحدة الأمريكية وذلك باستثناء الجمعيـة العامة للأمم المتحدة ومع هـذا وذاك فان فى وجود هذه المنظمة العالمية فى نيويورك ما يسمح للدعاية الصهيونية بالتأثير فى كل من القـارة الأفريقية والقـارة الآسيوية وذلك ما قد حدث بالفعل فى الرابع من شهر يولية (تموز) سنة ١٩٦٧ على مشروع الدول غير المنحازة الذى يقضى بانسحاب الجيوش الاسرائيلية بدون قيد أو شرط وذلك من جميـع المناطق العربيـة التى احتلتها نتيجة للحرب الخاطفـة التى وقعت بين العـرب واسرائيل بين الخامس من يونيـة (حزيران) والحادى عشر من هـذا الشهر سنة ١٩٦٧ .

سابعا — ليست الدعاية فقط هى التى تمنع الاعـلام من ممارسـة حريته والقيـام بوظيفتـه . ولكن هناك عاملا آخر يعتبر مسايرا للدعاية فى ذلك وهو (الاعـلان) .

فكثيرا ما نرى الاعلانات تهـدف الى خداع الراى العـام وتشويه الحقـائق .

ان الاعـلان يستطيع أن يعرقل سـير الاعـلام ويحرم حريته بمثل هـذه الطـرق :

(أ) شـغل مساحات كبيرة من الجـريدة كان ينبغى أن تكون للاعـلام ولكن الجريدة فى هذه الحالة تقدم مصلحة المعلنين على مصلحة القراء . وبذلك تبتعد هذه الجريدة عن معنى النزاهة والاستقامة ، وتعرض نفسـها للخطر فى النهـاية .

(ب) محاربة الآراء التقدميـة والأفكار التقدميـة عن طريق حرمان الجرائد التى تنشر هذه الآراء والأفكار من الاعلانات ، وايثار الجرائد الأخرى بهـذه الاعـلانات . وبذلك تسـير الجرائد الحرة الى الافلاس . وتظل الجرائد غير المستقيمة لتحول دون تقديم الآراء السليمة والأفكار الصالحة للمجتمع .

ان مثل هـذا السلوك من جانب أصحاب رؤوس الاموال من شأنه أن يعوق سير الحرية الاعلامية ويعتبر فى الوقت نفسه اعتداء على حرية الراى .

ثامنا — وهذا الذى تصنعه الدعاية من جهة ، ويصنعه الاعلان من جهة ثانية هو بعينه ما يحدث عن طريق ما يسمى فى العالم الغربى باسم « التكتلات الصحفية » . وهى عبـارة عن مجموعات الصحف التى تنتظم حلقاتهـا فى سلسلة واحدة . وتشمل الواحدة منها عشرات من الجرائد والمجـلات يملكها رجل واحد أو شركة واحدة . وفى استطاعة هذه التكتلات هى الأخرى أن تعوق حرية التعبير فى البلاد التى تصدر فيها بحيث لا تدع مجالا للأفراد والجماعات والهيئات لكى تفصح عن رأيها فى مشكلة أو حادثة .

ان أصحاب هذه الكتل أو السلاسل الصحفية يضعون للصحف التى يملكونها خطة صحفية لابد من تطبيقها فى كل صحيفة من صحف الكتلة . وبذلك يسدون الباب فى وجه الملايين من المواطنين حتى لا يفكر أحدهم فى ابداء رأى أو عرض اقتراح أو ترويج فكرة من الأفكار مهما كانت مفيدة للمجتمع .

وهكذا يبدو الخطر على حرية الصحافة من عدوها الأول والأخير . ونعنى به تحكم الراسمالية فى جميع مرافق الحياة فى الدولة التى يشيع فيها نظام الاحتكارات الاعلامية على هذا النحو وهكذا نرى الصحافة فى أكثر أرجاء العالم مهددة بأخطار ثلاثة وهى :

(أ) الضغط عليها من جانب الحكومات .

(ب) التحكم فيها من جانب رأس المال .

(جـ) الانحرافات الخطيرة من جانب المحررين . وهؤلاء المحررون قلما يبرأون من التحيز أما للحاكم بغير حق ، واما لأصحاب رؤوس الأموال طمعا فى الابقاء عليهم . ولكنهم بهذا وذاك كثيرا ما يضحون بمصلحة الشعب .

(وبعد) فان الأسئلة التى تقفز فى أذهاننا دائما عندما نخوض فى موضوع حرية الاعلام هى كما يلى :

هل الصحافة عمل مستقل عن الحكومة ؟ وهل فى استطاعة الصحف أن تستغنى عن الأموال الضخمة اللازمة لاصدارها فى عصر أصبحت فيه الصحافة صناعة من أعقد الصناعات ؟.

وهل نجحت النظم الاشتراكية فى ايجاد حل لمثل هذه المشكلات التى نجمت من كون الصحافة أصبحت صناعة ؟.

وهل ظفرت الصحافة نفسها برجال على جانب كبير من متانة الأخلاق يسمح لهم بالتضحية بمصالحهم الخاصة فى سبيل المصلحة العامة ؟.

وهل هناك أمل فى أن تتخلص الصحافة يوما ما من جميع هذه الآفات المهلكة ؟.

وهل استطاعت الاتفاقيات الدولية وآداب مهنة الصحافة أن تجد حلا لجميع هذه المشكلات وعلاجا لهذه الآفات ؟.

هـل استطاعت ان تحارب الانحرافات الخلقيـة ، وأن تحـارب الرشـوة الصحفية ؟.

وهل استطاعت الحكومات أن تفرض الرقابة الدقيقة على الدخول الصحفية حتى تطمئن الى أن الصحف لا تمد يدها الى بعض الدول الأجنبية ؟.

لست أنكر أن الدول والشعوب أجهدها التفـكير فى جميـع هـذه المشكلات . وهداها التفكير الى بعض الحلول المفيدة .

ولكن بقيت بعد ذلك مسألة فى غاية الأهمية وهى ان النظام أو الدستور الصحفى شىء ، وتطبيق هـذا النظام أو الدستور شىء آخر .

من اجل ذلك نقول — ونصر على ما نقول — ان الصحافة لا ينبغى ان تترك لرجل جاهل قليل الحظ من العلم والثقافة . فان الجاهل من الناس عاجز دائما عن اعطاء الآراء السليمة .

وحرية الصحافة لا ينبغى أن تعطى لأصحاب الأخـلاق الفاسـدة والنوايا السيئة والانحرافات الضارة . لأن هؤلاء اذا أعطوا هذه الحرية اساءوا استعمالها وتوسلوا بها الى العبث بأعراض الناس ومصالحهم الحيوية ، والى تهديد الناس فى مقدراتهم ومكاسبهم وأرواحهم فى النهاية .

من أجل ذلك نجـد أن لكل أمة من الأمم صحافتها التى تستحقها . كما نجـد ان الحرية الصحفية الحقيقية لا يمارسـها الا كتاب ومحررون ينتمون الى أمم شريفـة وقوية .

عبد اللطيف حمزة

ملاحـــــق البـــــحث

الملحـــق الأول

مذكــــرة

عن النشـــاط الصهيونى فى أفريقيـــا

نقلت عن ادارة الاعـــلام بالأمانة العـــامة

لجامعـــة الدول العربيـــة

النشـــاط الصــــهيونى فى افريقيـــا

(اولا) عرض عام

بدات اسرائيل خطتها للتسلل الى شتى اقطار افريقيا عقب مقررات مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ الذى اعتبرته بمثابة ضربة سياســـية من جانب العرب بعزلها عن الدول الأفرو آسيوية ، فشرعت منذ ذلك الحين تؤيدها وتدفعهـــا الصهيونية العالمية متحالفـــة مع الاستعمار الراسمالى الغربى فى الزحف الى القارة الأفريقية ملتفة حول الحصار العربى كوسيلة انتقامية تكسر بهـــا حدة هـــذا الحصار ، وكانت خطة اسرائيل من الدهاء والاحكام بحيث شملت كافة مجالات الحياة وساعد فى الاعداد لهـــا وتنفيذها بنجاح التقـــاء اهداف بعض الدول الاستعمارية مع أهـــداف اسرائيل فى محاولة السيطرة على بلدان افريقيا الحديثة العهـــد بالاستقلال .

وقد وضعت الدول الاستعمارية بالاشتراك مع الصهيونية العالميـــة مخططا يســـهل من مهمة اسرائيل فى التسلل الى الدول النامية وهو على الوجـــه التـــالى :

١ — تمويل الدول الغربيـــة المخطط الاستعمارى الصهيونى ليكون تحت تصرف اسرائيل رأس المال اللازم والسماح لأصحاب رؤوس الأموال وغيرهم بالاشتراك فى هـــذا التمويل .

٢ — اصـــدار الأوامر الى البنوك الأوربيـــة والأمريكية لضمان القروض والمساعدات التى تقدمها اسرائيل الى دول آســـيا وأفريقيـــا .

٣ — تقـــديم البنوك الأوربية والأمريكية الأموال اللازمة لتمويل المشاريع الاقتصادية والشركات التى تقوم اسرائيل بانشائها فى الدول الآسيوية والأفريقيـــة .

٤ — مـــد اسرائيـــل بالخبراء والفنيين لارســـالهم مـــع الخبراء والفنيين الاسرائيليين الى اقطار آســـيا وأفريقيـــا .

٥ — انشاء مشاريع انتاجية للبضائع اللازمة لدول آسيا وأفريقيا باقامة هذه المشاريع فى اسرائيل وفى البلاد الآسيوية والأفريقية ووضـــعها تحت اشراف اسرائيل .

٦ ـ سعى الدول الاستعمارية الى خلق علاقة بين زعماء الدول الأسيوية والافريقيــة وبين اسرائيل .

وتتبع اسرائيل فى تسللها الى آسيا وافريقيا مخططا يشمل المراحل التاليــة :

اولا ـ مرحــلة الدراســة :

١ ـ العمل فى الميادين التى تملك اسرائيل فيها الأمكانيات والخبرة الفنية .

٢ ـ التيقن سلفا من جدوى فائدة اى مشروع تتقــدم به الى الدول التى تريد التسلل اليهــا .

٣ ـ التشدد والحيطة فى إنتقاء خبرائها الوافدين الى هذه الدول .

٤ ـ زيادة التشدد واظهار حسن النية وتشترط اسرائيل حضور ممثلين عن الدول المراد التسلل اليهــا لزيارتها ومشاهدة ما يلائمهم والتعرف على ما تتطلبــه بلادهم .

ثانيــا ـ مرحــلة الدعاية :

١ ـ ايضاح ان التعــاون مع دول آســيا وافريقيــا خال من اى مطمع اســتعمارى .

٢ ـ ابراز رحلة ملكة سبأ الى بيت المقدس وتكريم الملك سليمان لها .

٣ ـ التكلم باستمرار عن الالام التى قاساها السود بسبب لون بشرتهم واليهــود بسبب دينهــم .

٤ ـ اظهار أن اسرائيل دولة صــغيرة فقيرة فى مواردها ولكنها حديثــة فى شأنهــا .

٥ ـ اظهــار العرب بمظهر المعتــدى على اليهود كما اعتدوا فى الماضى على السود أيام تجارة الرقيق .

٦ ـ محاولة الايقــاع بين الــ ج . ع . م وبين الدول الصديقــة لهــا فى آســـيا وافريقيـــا .

ثالثا ــ مرحلة التنفيذ العملى :

١ ــ المبادرة بالاعتراف باستقلال الدول المستقلة حديثا .

٢ ــ تأسيس علاقات دبلوماسية متينة مهما كلفها ذلك من نفقات معتمدة على مساعدات الدول المستعمرة لهذه البلاد .

٣ ــ وضع المعونات الفنية والمالية ورؤوس الأموال تحت تصرف تلك الدول.

٤ ــ عقد الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية مع تلك الدول .

وهناك عوامل أخرى تستخدمها اسرائيل لتسهيل مهمتها بشأن التسلل فى الدول الأفريقية وذلك عن طريق :

١ ــ المفكرين والطبقة المتعلمة ومدخل اسرائيل اليهم الاشتراكية والديمقراطية المزعومة فى اسرائيل ، وأبرز صورة لهذا المخطط عقد مؤتمر الاشتراكية الدولية فى حيفا فى يونية عام ١٩٦٠ ، دعيت اليه دول من آسيا وافريقيا .

٢ ــ العمال : ومدخلها اليهم الهستدروت والمزارع الجماعية . وقد قامت الهستدروت باتصالات حديثة بالعمال والحركات العمالية والثقافية فى أفريقيا كما أقامت فى تل أبيب معهدا دائما للدراسات العمالية « النقابية والتعاونية » للطلاب من دول آسيا وأفريقيا .

ويقوم أعضاء الهستدروت بالسفر الى الدول الافريقية المستقلة حديثا ويعرضون عليهم النظم المتبعة فى الهستدروت وكيف نجحت فى تطوير اسرائيل وقد عينت الهستدروت فى عام ١٩٥٩ ممثلا دائما لها فى غرب افريقيا ويدعى « زفى هارمر » .

٣ ــ أجهزة الحكم ومدخلها اليها التدريب المهنى والتنظيم الادارى .

٤ ــ الجيش ومدخلها اليه بعثات التدريب العسكرى .

٥ ــ التجارة وتركز اسرائيل على وسائل المواصلات والنقل مثل الخطوط البحرية والجوية

٦ — التنمية : وتركز اسرائيل على الاستثمارات التى تعود بالنفع على الصناعات الاسرائيلية ، ونخص بالذكر الأسمنت والكيماويات .

رابعا — عوامل اخرى مساعدة :

١ — العملاء المعتمدون للصهيونية والاستعمار .

٢ — المجلات والصحف اليهودية أو المؤيدة لاسرائيل .

٣ — رشوة الأحزاب المعارضة لها .

٤ — الجمعيات الماسونية .

٥ — الجاليات والمنظمات اليهودية وما لها من جمعيات وهيئات .

المطبوعات :

يبلغ عدد الصحف اليهودية التى تصدر فى افريقيا باللغات المحلية المختلفة ٤٢ صحيفة ما بين يومية وأسبوعية ونصف شهرية .

الاذاعة الموجهة :

تخصص اسرائيل اذاعات موجهة الى دول افريقيا باللغات الحية المختلفة لتبث دعاياتها السامة .

ولكى نلقى ضوءا كافيا على نشاط اسرائيل فى أفريقيا يجدر بنا أن نقسم هذا النشاط على الوجه التالى :

(أ) نشاط دبلوماسى .

(ب) نشاط تجارى ومالى .

(جـ) نشاط ثقافى وفنى .

(د) نشاط عسكرى .

(أ) النشاط الدبلوماسى :

تسارع اسرائيل باقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع الدول الافريقية التى تنال استقلالها ، الأمر الذى يظهرها بمظهر الدولة المحبة لاستقلال تلك الدول العطوفة على حركات تحررها ويعقب ذلك عادة تقديم مساعدات شتى فى صور متعددة . فلاسرائيل الآن ٢٦ سفارة وقنصلية فى افريقيا

ويحرص المسؤولون فى اسرائيل على القيام بجولات داخل الدول الافريقية بصورة دورية كان آخرها هذه الزيارات تلك التى قام بها « موشى ديان » وزير الزراعة الاسرائيلى السابق لدول غرب افريقيا فى نهاية عام ١٩٦٤ وزيارة جولدا مائير لدول شرق افريقيا فى نوفمبر من عام ١٩٦٤ ثم الزيارة الأخيرة التى قام بها أشكول رئيس وزراء اسرائيل فى شهر يونيه عام ١٩٦٦ لسبع دول افريقية هى :

أوغندا — ليبريا — ساحل العاج — مالاجاش — السنغال — الكونغو ليوبولدفيل — وكينيا .

وتحرص اسرائيل دائما على دعوة واستضافة رؤساء الدول الافريقية وبصفة خاصة رؤساء المجموعة الفرنسية وزعماء الأحزاب السياسية وكبار المسؤولين فى نقابات العمال واتحادات النقابات الأخرى ، وبصفة خاصة اتحادات الصحفيين وأفراد أجهزة الاعلام الافريقية .

(ب) النشاط التجارى والمالى :

ويتمثل هذا النشاط فى مظاهر عديدة ومتشعبة نورد منها فى :

— **نيجيريا** : تقوم شركة سوليل بونيه الاسرائيلية بشق طريق طوله ٧٥٠ ميلا فى غرب نيجيريا كما تتولى مشروعا لتعميم مياه الشرب فى مئات من المناطق السكنية ، وفى شرق نيجيريا أتمت نفس الشركة بناء جامعة شرق نيجيريا كما قامت ببناء فندق ومركز لتوزيع المياه .

— **سيراليون** : أتمت الشركة السيراليونية الاسرائيلية للتعمير بناء القاعدة الرئيسية بمبنى المجلس النيابى كما أوفدت وزارة العمل الاسرائيلية أحد كبار المهندسين لاعداد دراسة تخطيطية تمهيدا لاعادة بناء وتخطيط العاصمة فريتاون .

— **مالى** : تقوم اسرائيل حاليا ببناء عدد من المشروعات الصناعية ، كما أعد أخيرا برنامج للتعاون الاقتصادى بين البلدين .

— **السنغال** : تولى خبراء من اسرائيل وضع مشروع لاقامة مزارع نموذجية على نمط قرى الحدود الاسرائيلية (الكيبوتس) ويجرى تنفيذ هذا المشروع حاليا .

— **ساحل العاج** : قامت شركة « مايز اخوان الاسرائيلية » ببناء فندق في أبيدجان بناء على اتفاقية قرض وقعت لهذا الغرض .

— **الكونغو برازافيل** : تتولى شركة اسرائيلية تنفيذ مشروع ضخم لقطع أخشاب الغابات وتصنيعها بما يفى حاجة اسرائيل من الأخشاب ويتيح لها فائضا كبيرا تصدره الى الخارج .

— **كينيا** : تتولى شركة اسرائيلية بناء سلسلة من الوحدات التعاونية لصالح العمال والمزارعين وصيادى الأسماك وتعهدت حكومة اسرائيل بادارة هذه الوحدات والاتفاق عليها لمدة عشرين عاما تئول خلالها نصف اسهمها الى المواطنين الكينيين .

كما توصلت الحكومة الاسرائيلية الى اتفاق مع اتحاد تجار افريقيا الشرقية يقضى بمنحهم قروضا طويلة الأجل يتم تسديدها فى عشرين عاما بفائدة ٥٪ سنويا وأهم ما يسترعى الأنظار فى هذه الاتفاقية أنها تضمنت شروطا تحظر على تجار افريقيا الشرقية الداخلين فى هذه الاتفاقية استيراد السلع من اية دولة أجنبية أخرى سوى اسرائيل وتتولى شركة التجارة الخارجية والتموين التابعة لمؤسسة راسكو الاسرائيلية تنفيذ هذا الاتفاق الذي أمكن بواسطته مضاعفة صادرات اسرائيل الى كينيا .

— **الحبشة** : أسفرت زيارة موشى ديان وزير الزراعة السابق للحبشة عام ١٩٦٠ عن اتفاقية مكنت للتغلغل الاسرائيلى فى أرتريا ، وكان من أهم بنودها استيلاء الشركات الاسرائيلية (اما عن طريق الشراء أو الامتياز مدى الحياة) على مساحات شاسعة من الأراضى الزراعية فى أرتريا الاسلامية .

وسمحت حكومة الحبشة لاسرائيل بارسال أسطول من قوارب الصيد الاسرائيلية يعمل حاليا على سواحل أرتريا والمحيط الهندى ويستعمل ميناء مصوع مجانا ودون دفع أية رسوم ومما يذكر أن معظم كمية الاسماك الوفيرة التى يستخرجها هذا الأسطول تذهب بانتظام الى اسرائيل عن طريق ميناء ايلات حيث تدخل فى صناعات تعليب الأسماك .

ومن مظـــــاهر النفوذ الاسرائيلي الذى بدا يطغى على الحيــــــاة الاقتصادية فى الحبشة تلك الأعداد الكثيرة من الجزارين الاسرائيليين الذين أوفدتهم حكومة اسرائيل لذبح الماشــية وفقــا للتقاليد الدينية اليهودية — وتمكنت اسرائيل عن طريق اســـــتغلال الثروة الحيوانية الضخمة لارتريا والحبشة من ضمان تزويد المصـــــانع الكبيرة التى أقامتها فى ايلات وحيفا لغرض تصنيع اللحوم وتعليبها واعادة تصديرها الى شتى أقطار أفريقيا .

هذا وقد اشارت مجلة ويست افريكا البريطانية بتاريخ ١٩٦٥/٥/١٥ الى أن البضائع الاسرائيلية ترســــــل عادة الى الدول الافريقية عن طريق بواخر ديزنجوف التى تمولها مؤسســــــة « زيم » للملاحة وقد أشرفت هذه الشركة على نقل المزيد من البضائع الاستهلاكية الاسرائيلية والاسمنت الى غــرب افريقيــــــا .

وعددت المجلة أوجه النشـــــاط المختلفة لمجموعة شركات « مايير » الاسرائيلية فى كل من ليبريا وساحل العاج بالاضـــافة الى أن شركة زيــم للملاحة لا زالت تشرف اداريا على بواخر شركة النجمة السوداء الغانية وان لم تعد تشارك فى التمويل — كما أن هناك أيضا اتفاقيات مشتركة بين معمل تكرير البترول فى حيفا ومعمل تكرير فريتاون (عاصمة ســـيراليون) لتبادل الخبراء .

(ج) النشاط الثقافى والفنى :

من الأمثلة العديدة لمظاهر النشــــاط الثقـــافى والفنى الاسرائيلى فى أفريقيــــــا .

١ — ان حكومة اسرائيل تمكنت خلال فترة قصيرة ١٩٦١ — ١٩٦٤ مــن توقيع ٤٨ اتفاقية للصداقة والمعونة الفنية والثقافيــة مع ١٨ دولة افريقية منها بورندى (يناير ١٩٦٣) جمهورية أفريقيا الوســـــطى (ديسمبر ١٩٦٢) ، الكاميرون (ديســـمبر ١٩٦٢) ، غانا (نوفمبر ١٩٦٢) ، ساحل العاج (ديسمبر ١٩٦٢) ، ليبريا (يناير ١٩٦٣) ،

روندا (ديسمبر ١٩٦٢) ، توجو (فبراير ١٩٦٢) ، فولتا العليـــــا (اغسطس ١٩٦١) .

هذا خلاف ما تم توقيعه بعد عام ١٩٦٤ مع دول افريقية أخرى مثل أوغندا وسيراليون وتنجانيقا وخاصة ما تم من اتفاقيات الصداقة والتعاون فى المجالات المختلفة اثناء زيارة ليفى أشكول للدول الافريقية السـبع التى أشرنا اليهـا .

٢ — قررت اسرائيل الاشتراك فى معرض الفن الزنجى الذى سـيقام فى داكار عام ١٩٦٦ (١) وحجزت مساحة كبيرة لهذا الغرض كما قررت المساهمة فى نفقات اقامة المعرض المذكور .

٣ — وقعت أخيرا اتفاقية بين مالى واسرائيل اثر الزيارة التى قام بهـا وزير مالية مالى لاسرائيل فى ١٧ سبتمبر عام ١٩٦٥ ، تعهدت حكومة اسرائيل بمقتضاها باعداد وتدريب مجموعة كبيرة من الشباب المالى لادارة وتسيير المؤسسات والمشروعات الصناعية المختلفة .

وثمة زيارة أخرى لاسرائيل قام بها السفير هامايانى ياه الزعيم الاسلامى ومدير ادارة العلاقات الثقافية فى وزارة خارجية مالى حيث تخللت زيارته عدة محاضرات عن الدين الاسلامى القاها فى الجامعة العبرية ثم لم ينه زيارته الا بعد أن وقع اتفـاقا مع حكومة تل أبيب لايفاد مجموعة من المعلمين الاسرائيليين للتدريس فى المعاهد الثانوية فى مالى .

٤ — الزيارة التى قامت بها بعثة من فتيات المنظمة الصهيونية العالميـة للنسـاء حيث قمن بقضاء عدة أيام فى نيجيريا بدعوة من اتحادها النسائى ثم اتبعنها بزيارة غانا وليبريا وسـاحل العاج فى ضيافة حكومة هذه البلدان .

٥ — وقعت حكومة اسرائيل اتفاقا مع رئيس جمهورية تنجانيقـا أثنـاء الزيارة التى قام بها لتل أبيب فى عام ١٩٦٤ تقضى بتزويد بلاده بـ

---

(١) صدرت المذكرة قبل هذا التاريخ — المؤلف .

٥٠٠ طبيب اسرائيلى تدفع حكومة تنجانيقا ربع مرتباتهم بينما تتحمل حكومة اسرائيل ثلاثة أرباع هذه المرتبات .

٦ — ان حكومة اسرائيل يتبعهـــا فى الوقت الحاضر ٣٠٠ خبير يعملون فى مختلف أوجه النشـــاط الاقتصـــادى والثقافى والفنى فى الدول الافريقية بينهم ٢٣ خبيرا يتبعون أجهزة الأمم المتحدة ووكالاتها بينما يعمل الباقون فى نطاق الاتفاقيات بين اسرائيل والحكومات الافريقية.

هذا الى جانب أكثر من ٢٠٠٠ طالب افريقى يتلقون العـــلم الآن فى المعاهد المختلفة يتركز أغلبهم فى المعاهد الزراعية والتكنولوجية والمعهـــد الافروآسيوى الذى يشرف على نشاطه ويموله بعض المؤسسات الاسرائيلية التى لها مصالح خاصة فى افريقيا وعلى راسها مؤسسة سوليل بونيه .

ويجدر بالذكر أن النشاط الاسرائيلى بوجه عام يبلغ ذروته بين دول المجموعة الفرنسية الأمر الذى الذى يكشف عن تواطؤ واضح بين اسرائيل وفرنسا سبق أن تجلت ملامحه فى ســـماحها للســـفن وقوارب الصيد الاسرائيلية باســـتعمال مينائى جيبوتى (الصـــومال الفرنسى) وداكار (السنغال) كنقطتى انطلاق للنشاط الاقتصادي الاسرائيلي في شرق القارة وغربهـــا (١) .

(د) النشـــاط العســكرى :

شرعت اسرائيل فى القيام بدور عسكرى خطير فى مناطق متفرقة من القـــارة الافريقية يتمثل فى الآتى :

١ — أرسلت وحدات عســـكرية كاملة الى الكونغو ليوبولدفيل وأنجولا سواء متخفين فى ملابس الجند المرتزقة أو تحت ســتار كونهم خبراء ومدربين عسكريين للوطنيين الافريقيين .

---

(١) كان هذا قبل أن يتجه الرئيس ديغول بسياسة فرنســا أخيرا الى جانب العدل وتأييد العرب وشجب العدوان الاسرائيلى — المؤلف .

٢ ـ انشأت اسرائيل ٢٧ مستعمرة فى شرق افريقيا (يتركز اغلبهـــا فى كينيا وتنجانيقا) على طراز مستعمرات الناحال الاسرائيلية لغرض تدريب الشباب الافريقى على الزراعة والجندية فى وقت واحد .

٣ ـ أقامت اسرائيل قاعدة عسكرية فى تشاد لتمارس منها الدور الذى تلعبه المستعمرات الاسرائيلية فى شرق افريقيا بالنسبة لمنطقتى غرب افريقيـــا وشرقهـــا .

٤ ـ يشمل النشاط العسكرى تلك الدعوات التى توجـــه لوزراء الدفاع الافريقيين لزيارة المعاهد والمنشآت العسكرية الاسرائيلية وكان من اهم هذه الزيارات تلك التى قام بها وفد من الخبراء العســـكريين لجمهورية توجو لغرض وضع خطة تشكيل قوة عسكرية لتوجو على غرار منظمة الناحال الاسرائيلية وكان من اهم الزيارات ايضـا تلك التى قام بها أحد كبار ضباط الجيش فى مالى لدراســة نظام القرى المســلحة وحرس الحدود الاسرائيلى .

هذا وقد أوضح العقيد ناحمان كادنى المسؤول عن ادارة المساعدات والعلاقات الخارجيـــة فى وزارة الدفاع الاسرائيلية المساعدات العسكرية التى تقدمها اسرائيل بوجه عام حيث ذكر أن نشاط اسرائيل العسكرى يمتد الى ٢٥ دولة ومعظمها فى افريقيا والدول الأخرى فى أمريكا الجنوبية وآسيا ـ وان اسرائيل تعمل بصـــفة خاصـــة فى الدول الافريقية التى تتحـدث الفرنسية مثل ساحل العاج والسنغال وداهومى ، وتوجـو ، والكاميرون وتشاد . وأهم الطرق التى تستخدمها فى تقديم المساعدات هى تطبيق نظام الناحال أو كما يسمى فى الدول الافريقية « الخدمة الوطنية » .

والواقع ان نشاط الناحال فى الدول الافريقية يمثل حسب احتياجات كل دولة وهدف اسرائيل كما يقول كادنى أن يندمج رجل الناحال فى المجتمع الافريقى ويكون عنصرا قياديا يستطيع تحمل المسئوليات بفتح الطرق ومد خطوط السكة الحديد واقامة السدود .

(م ١٤ ـ الاعلام والدعاية)

ويضيف كادنى أن الأساس الذى تقوم عليه الخدمة الوطنية فى الدول الافريقية هو التطوع ، ويقبل للخدمة الوطنية شباب تتراوح أعمارهم بين ١٦ — ٤٠ عاما ونحن نعمل ما فى وسعنا لتجنب التصادم بين القبائل وزعامائهم . ويقول كادنى ان الخدمة القومية استطاعت أن تزرع شعارا صهيونيا : ليس مهما ماذا تستطيع أن تأخذه من الدولة . ولكن المهم ماذا تستطيع أن تقدمه لهذه الدولة .

ويتابع كادنى قوله الذى نشرته صحيفة معاريف : ومنذ أن نشرنا فكرة الخدمة الوطنية فى افريقيا فان ثلث الجهود الدفاعية للدول الافريقية تذهب الى مشروعات التنمية .

أما فى اسرائيل فيقول كادنى اننا نقوم بتدريب الافريقيين فى المجالات العسكرية المختلفة وبصفة خاصة تدريب المظليين من نيبال والكونغو .

وتحدث كادنى عن نشاط الضابطات الاسرائيليات فى أفريقيا وقال انهن يشرفن على مشروعين فى أفريقيا :

المشروع الأول : فى ساحل العاج ضمن الخدمة الوطنية وبقيادة الضابطة رينا فارثت ومعها أربع ضابطات شابات أقمن مدرسة للعاملات الاجتماعيات فى ساحل العاج لكن يعملن فى القرى .

والمشروع الثانى : فى النيجر وتقوم به ضابطة اسرائيلية واحدة هى الملازمة راحيل عارمون ويبلغ سنها ٢١ عاما وهو الاشراف على نشاط البنات ضمن نطاق الخدمة الوطنية .

ويشير كادنى فى حديثه ان النشاط الذى تقوم به اسرائيل فى افريقيا يتركز أساسا فى وزارة الدفاع والجيش ووزارة الخارجية وبفضل التعاون بين هذه الجهات الثلاث استطاعت اسرائيل أن تثبت وجودها فى افريقيا .

هذا وقد نشرت مجلة (بمحنيه) الاسرائيلية فى عددها الممتاز الذى صدر فى ١٩٦٤/٩/٦ تقريرا وضعه موشى ديان وزير الزراعة الاسرائيلى الذى استقال من منصبه أثر عودته من زيارته لبعض البلاد الافريقية ، وقد

اوضح التقرير جانبا من المشاكل التى تواجهها اسرائيل فى افريقيا ثم الفشل الذى منيت به من تحقيق الفائدة المرجوة للأسباب التالية :

١ — قلة عــدد رجال البعثات الدبلوماسية الاسرائيلية وعــدم خبرتهم فى معاملة الافريقيين .

٢ — ظهــور الخبراء الاسرائيليين الذين يعملون فى هــذه الدول بمظهر الكبرياء الأمر الذى يباعد بينهم وبين السكان فضـــلا على أن الخبير الاسرائيلى يرفض أن يأكل طعـــام المواطنين أو يجلس فى مجالسهم أو يحترم عاداتهم .

٣ — لم يساعد فتح خليج العقبـــة على زيادة تذكر فى التبـــادل التجارى بين اسرائيل وافريقيا اذ لم يتعــد حجم التبادل التجارى مع افريقيا عام ١٩٦٣ ١ ٪ من حجم التبادل التجارى الاسرائيلى ان لم يكن اقل فقــد قال ديان : صــدرنا الى أفريقيــا طول السنة بضـــائع بمبلغ ٢ر٧ مليون ليرة — وقد وقعت فضـــائح مخزية فى المجال التجارى لا بأس من ذكرها — فقد أنشأنا شركة خاصة تابعة للحكومة لانشاء محلات تجارية فى أقطار افريقيـــا كما أن هناك شركة خاصة شبه رسمية هى شركة « ديزنجوف » تقوم بالأعمال التجارية — والشركة الحكومية تبيع فى محلات تجارية فى مدن أفريقيا ، أما شركة ديزنجوف فتقوم بأعمال الاستيراد والتصــدير وتبلغ خســائر الشركتين أكثر من ١٥ مليون دولار — ضاعت كلهــا فى تجارب ومحاولات تدل على عدم الخبرة وعلى الاهمال ، فقد ملأت الشركة الحكومية (الذات) مستودعاتها ومتاجرها بالسلع والبضائع ثم ظهر أن هذه البضائع لا يشتريها أحد فى أفريقيا فاضطرت الى اتلافها ، والغريب أن هــذا يتكرر مرات كثيرة ، أما شركة ديزنجــوف فكانت تضطر الى بيـــع البضائع التى تصدرها بأسعار ارخص كثيرا من سعرها فى اسرائيل لأنها تريد منافسة البضائع المصرية والأوربيـــة — كما أن الموظفين فى الشركتين كانوا يعقدون صفقات لحسابهم الخاص وقد أحرز بعضهم بهذه الطرق أرباحا كبيرة ورحلوا الى أوربا ليقيموا هناك .

٤ — ويقول ديان فى تقريره ان النشـــاط المالى ليس له أى تأثير ، فنحن دولة فقيرة نسبيا ودول أفريقيـــا فى حاجة الى رؤوس أموال هائلة لاستثمارها ونحن نستعين برؤوس أموال يهودية من الخارج وهذا امر مكشوف فضلا عن أن نفس المستثمرين اليهود من سويسرا وغيرها يفضلون العمل باسم الدول التى يقيمون فيهـــا .

٥ — ان اسرائيل تبنى الفنادق الضخمة التى يقيم فيها الأجانب ولا تهتم بمساعدة الأهالى على بناء مساكن مريحـــة لهم أو تحسين شـــبكة المواصلات وايجاد وسائل نقـــل سريعة لنقـــل الانتاج الزراعى .

٦ — ان المستعمرات التى أقامتها اسرائيل فى أفريقيـــا لتدريب الشباب الأفريقى تقوم بتدريبهم على الزراعة والجنـــدية فى حين أن الأفريقى مزارع وجنـــدى بطبيعته .

٧ — ان الشـــباب الأفريقى الذى يقضى فى اسرائيل ما بين ٣ و ٥ سنوات للتعلم والتدريب لا يفيد بلاده بعد العودة وذلك لبعد تعلمه عن الواقع الأفريقى .

ولعل تقرير موشى ديان رغم ما به من هجوم على النشاط الاسرائيلى يوضح ما تهدف اليه اسرائيل فعلا من التسلط على أفريقيا ولهذا فانها تضع الخطط لتثبت أقدامها فى هـــذه المنطقـــة الهـــامة .

بعـــد ذلك تحدثت المذكرة التى أعدتها ادارة الاعـــلام بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية عن تطور علاقات اسرائيل ببعض البلدان الأفريقيـــة وذلك فى عشرين صفحة (فولســـكاب) .

ولأن العـــلاقات فى ذاتهـــا أسلوب من أساليب الاعـــلام والدعاية فاننا مضطرون الى الاشـــارة العـــابرة اليهـــا .

بدأت اسرائيل خطتها للتسلل الى شتى اقطار أفريقيـــا الحديثـــة الاستقلال عقب مقررات مؤتمر (باندونج) عام ١٩٥٥ الذى اعتبرته بمثابة ضربة سياسية من جانب العرب وعزلها عن الدول الأفرو آسيوية . فشرعت اسرائيل منذ ذلك الحين بتأييد من الصهيونية العالمية متحالفة مع الرأسمالية

الاستعمارية فى الزحف الى القارة الأفريقية ملتفة فى ذلك حول الحصار العربى ليكون هذا الالتفاف وسيلة انتقامية من جانب اسرائيل تكسر بها من حدة هذا الحصار العربى . وكانت خطة اسرائيل فى ذلك تهدف الى السيطرة على بلدان أفريقيا الحديثة الاستقلال .

وبذلك بدأت علاقات اسرائيل بالدول الأفريقية الآتية :

مالاجاش ، وأوغندا ، وكينيا ، وليبريا ، والكونغو ليوبولدفيل ، والسنغال ، وساحل العاج ، وجمهورية تشاد ، وسيراليون ، وغانا ، وداهومي .

وسلكت هذه العلاقات طرقا شتى منها الزيارات الرسمية التى يعقبها فى العادة معاهدات صداقة تؤدى الى عقد اتفاقيات من شأنها أن تعمل على دعم مركز اسرائيل بين هذه الدول الأفريقية النامية بوجه عام . وتتم هذه الزيارات بين الوزراء الاسرائيليين ووزراء الدول الأفريقية ورؤسائها ، كما تقوم اسرائيل بارسال مندوبيها للاحتفالات القومية الرسمية لتلك الدول الحديثة الاستقلال . وهذا ما يظهر اسرائيل بمظهر الدولة المحبة للاستقلال والتقدم والعطوفة على الحركات التحررية .

ومن ذلك اشتراك (جولدا مايير) فى الاحتفالات بأعياد استقلال كينيا . وقد تبع ذلك تطور فى العلاقات الاقتصادية والعمرانية والعسكرية بين البلدين .

كذلك كان من أهم هذه الزيارات زيارة (ليفى أشكول) رئيس وزراء اسرائيل لبعض البلدان الأفريقية فى شهر يونية (حزيران) سنة ١٩٦٦ . وهى الزيارة التى كان من شأنها زيادة العلاقات الاقتصادية والثقافية والعسكرية بين اسرائيل وتلك البلدان .

ويعقب تلك الزيارات فى العادة تبادل التمثيل الدبلوماسى بين البلدين . كما يعقبه أيضا تصريحات بالرغبة فى الاستفادة مما حققته اسرائيل فى مختلف ميادين الأعمار والاستفادة من خبرة الأخصائيين الاسرائيليين .

ثم يأتى دور (الهستترود) فى دعم النشاط الاسرائيلى هناك بتقـديم المنح والقروض والخبرة الفنيـة التى تمكنها من تطوير اقتصادياتها ورفع مستواها . فهناك تعاون اقتصـادى وتجارى بتكوين شركات الملاحة ، واتفاقيات لتسهيل التجارة وانشـاء الغرف التجارية . وبذلك استطاعت اسرائيل أن تفتـح سـوقا لمنتجاتها ، تحتكر تجارة أهم السلع هنـاك . كما تتولى اسرائيل القيام بالمشروعات الاقتصادية الكبرى مثـل مشروعات الجسور (الكبارى) وحفر الآبار واقامة الفنادق الكبرى والمبانى الهـامة واقامة المزارع الجماعية ومعاهد الدراسة الزراعية .

وأما من ناحية التعاون الثقافى فتقدم اسرائيل للدول الأفريقيـة المنح الدراسية فى الزراعة والصناعة والطب والمواصلات .

ويتدرب الطـلاب هناك على بناء الطرق والفنـادق والمطارات . ولاسرائيل الآن ٧٠٠ خبير موزعين على ٣٠ دولة فى افريقيـا وآسـيا . وهناك أكثر من ثلاثة آلاف طالب من أبناء هذه الدول يحصلون على تدريبهم العلمى والعملى فى اسرائيل كل سنة .

أما فى المجالات الطبية فتقيم اسرائيل المستشفيات لأمراض العيون والسل ، وتزودها بأحدث المعدات ، وذلك كله برئاسة أطباء اسرائيليين . كما تقوم باتفاقيات لانشاء مصانع الأدوية فى بعض البلدان .

وأما من ناحيـة التعـاون العسكرى فتقوم اسرائيل بتدريب الجنود فى تلك البلدان الأفريقية واعدادهم ، وانشاء مدارس المظلات ، وارسـال الخبراء العسكريين ، وانشاء المطارات العسكرية . هذا فضلا عن الاتفاقيات الخاصة بصفقات الأسلحة من صنع اسرائيل ذاتهـا .

ويسبق هـذا النشاط المتعدد الجوانب دعاية واسعة ذات أساليب متنوعة منها : توزيع الكتب والنشرات ، وعرض أفلام سينمائية عن كفاح اسرائيل وتقدمها الاقتصادى والاجتماعى ، والتوسـع فى العلاقات الثقافية بينها وبين تلك البلدان . وهـذا كله فضلا عن الدعاية المعنوية التى تؤكد أن اسرائيل لم تأت لتحل محل القوى الاستعمارية القديمة فى افريقيـا .

بل جاءت لتكون المثـال الحى لقوة الارادة للقـارة الأفريقيـة بأسرها . وذلك لأن اسرائيل تواجه نفس المشكلات التى تعانى منها الدول الأفريقية من اضطهاد وسلب الحقوق . وان نجاح اسرائيل فى أفريقيا يعود الى نجاح التجربة الاسرائيلية فى ذاتها ، كما يعود الى الكفاءة التى أظهرتها فى شتى المجـالات .

ويمكن أن نلخص ما تقدم فى أن النشاط الصهيونى فى أفريقيا يعتمـد أساسا على المشاركة الايجابية فى مختلف أوجه النشاط السياسى والعسكرى والثقافى والاقتصادى لتلك البلدان . وهـذه المشاركة تعتمد أساسا على العنصر البشرى الأسرائيلى ، بحيث اذا تخلف وجود هذا العنصر أصبحت المعونة غير ذات موضوع . وهـذه الخطـة تشكل ضمانا لنجاح اسرائيل فى التأثير على سياسة تلك البلدان لتحقق هدفهـا — وهو أن تفتح ثغرة فى الجـدار العربى المحيط بهـا .

ومن وسائل نجاح اسرائيل فى هـذه الخطـة وقوف كثير من الدول الأفريقية بجانب اسرائيل فى الأمم المتحدة — حتى تلك التى تتكون غالبيـة سـكانها من المسـلمين .

* * *

والخطوط التمهيدية التى يجب أن تعتمـد عليهـا الدعوة العربيـة هى القيام بمسح شامل لظروف كل دولة من الدول الأفريقيـة واحتياجاتها فى المجالات المختلفـة (اقتصادية وسياسية وثقافيـة واجتماعية) وترتيب أولويات لهذه الاحتياجات ؛ سواء فى المجالات التى سبقت اليهـا اسرائيل لمجابهتها فيها أو المجالات الجديدة التى هى أكثر قابلية للاستغلال من الناحية الدعائيـة .

واذا ما تم هـذا المسح أمكن على ضوئه تحـديد ما تستطيع الدول العربية تقديمه من عون فى صورة قروض أو استثمارات مشتركة أو غيرها . وتخصيصه فيما يمكن أن يحقق أقصى فائدة ممكنة من أجل الدعوة العربية .

ومن المبادىء الأساسية التى تنادى بها اسرائيل ذاتها فى برنامجها للتعاون الدولى أن المعونة يجب ان تبنى على أساس التبـــادل . وهى تعنى بذلك امكانية تحقيق فائدة لصـالحها لا تقل قيمة عن المعونة ذاتهـــا .

وفى الوقت الذى قد تستغرقه هذه الدراسة يمكن وضع برنامج قصير الأجل لتبادل الزيارات والبعثات بين الدول الأفريقيـــة والبلدان العربيـــة على مختلف المستويات الشعبية والرسمية ، لتحقيق حد أدنى من التعريف المتبـــادل بين أبنـــاء هـــذه الدول .

وتجدر الاشارة الى أن هذا التعريف المتبادل وخصوصا على المستوى الشعبى كفيل بأن يخلق جوا من الثقة تفتقر اليه حاليـــا العلاقات العربية الأفريقية نتيجة للدعاية الصهيونية ولظروف كثيرة أخرى ، واذا أمكن توفير هذه الثقة المتبادلة فانها تكون الأساس لأى عمل مشترك يتخذ فيما بعد .

الملحق الثاني

مذكرة

عن النشاط الصهيونى فى أمريكا اللاتينية

نقلت عن ادارة الاعلام بالأمانة العامة

لجامعة الدول العربية

النشـــاط الصـــهيونى فى أمريكا اللاتينيـــة

اهتمت الصهيونية العالمية بدول أمريكا اللاتينية فادخلتها فى مخططاتها الخاصة بالدول النامية التى ترمى الى تزويد هذه الدول بالخبراء والفنيين فى كافة الميادين الاجتماعية والاقتصادية والزراعيـــة والتعاونية واصـــلاح الأراضى والرى . وينتشر الخبراء الاسرائيليون فى مختلف أجـزاء هــذه البلاد يزاولون فى الظاهر مهمة التدريب بينما هم يقومون فى الحقيقة بنشر الدعاية الصهيونية والاسرائيلية على نطاق واسع فى الأوساط التى يعملون فيها بأسلوب دعائى مدروس يهدف الى كسب ثقة وعطف هــذه الدول . وهم يقولون انهم لا يستطيعون تقديم مساعدات مادية نظرا لأن بلادهم فقيرة يحيط بها الأعداء العرب من كل جهة يتربصون بها الدوائر ، ولكنهم يقدمون ثمرة خبرتهم وتجربتهم . والى جانب الدور الخطير الذى يقوم به الخبراء والفنيون الاسرائيليون فى الدعاية للصهيونية واسرائيل فان اسرائيل تفتح أبوابها للبعثات الدراسية والتدريبية من هذه الدول ، فتقوم بتقديم عدد كبير من المنح الدراسية فى مختلف الفروع سنويا لأبناء هــذه البلدان . وتدفع اسرائيل — كما تقول جريدة دويتش ترايتويخ الألمانيـــة — نحو ٨٠ مليون مارك سنويا للمنح الدراسية والخبراء فى الخارج لتحسين علاقاتها مع هذه الدول وتحطيم الحصار العربى القائم حولها . وهى تعمل جاهدة — عن طريق هذه المنح — على جعل الطلبة الذين يدرسون فيها بعد عودتهم الى بلادهم طابورا خامسا يسبح بحمدها ويدافع عن مصالحها وينادى بالارتباط بها . وتشير الاحصائيات الى أن عدد الخبراء الذين أوفدتهم اسرائيل الى الخارج يبلغ ١٥٠٠ خبير ، كان نصيب أمريكا اللاتينيـــة منهم ٧٢ خبيرا . كما بلغ عدد المبعوثين الى اسرائيل عن طريق المنح الدراسية من دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٤ أكثر من ٧٥٠٠ طالب وطالبة . وقفز نصيب بلدان أمريكا اللاتينية من هــذه المنح من ١٣ منحة عام ١٩٥٨ الى ٢٨٩ منحـــة عام ١٩٦٣ وهو أمر يدل على اهتمام اسرائيـــل المتزايد بهـــذه المنطقـــة من العالم . وهناك مثـــال آخر يوضـــح اهتمام اسرائيل

والصهيونية العالمية بأمريكا اللاتينية يكمن فى قيــام الصهيونية بعقــد عدة مؤتمرات لهــا فى هــذه القارة التى يسكن فيها ما يقرب من مليون يهودى يعتنق غالبيتهم الصهيونية . ويضع هؤلاء اليهود أيديهم على مفاتيح الحياة الرئيسية فى أكثر هــذه البلاد وهم يمارسون نفوذهم من وراء الستار . وهم كشأنهم فى سائر أنحاء العالم أقلية مكروهة ولكنها مرهوبة الجانب . ويسيطر اليهود على الصحافة وسائر وسائل الاعلام فى معظم بلدان أمريكا اللاتينية كما أن لهم من يمثلهم فى الأحزاب السياسية الرئيسية يجعلون لهم نفوذا كبيرا فى الحكم القــائم أيا كان الحزب الفــائز .

هذا وقد بدأ تسرب اليهود الى هذه الدول بصورة ملحوظة منذ عام ١٩٣٨ حينما اشتدت حملات النازية ضد يهود المانيا والنمسا ونجح عدد كبير من يهــود أوربا بعــد ذلك فى الهجرة الى أمريكا اللاتينيــة عندما فشلوا فى الهجرة الى الولايات المتحــدة نتيجة للضغط الصهيونى الذى كان يرمى الى استغلال مأساة عدم وجود ملجأ ليهود أوربا المضطهدين للدعوة لانشاء اسرائيل واحتــلال فلسطين .

وقد نشرت مجلة « فيد ستريم » الصهيونية فى عدد صيف عام ١٩٦٠ مقالة طويلة بقلم « برنو وايزر » عن الجهود الحثيثة التى بذلتها الصهيونية فى سبيل انشاء رأس جسر لهــا فى أمريكا اللاتينية والتسرب الى مراكز النفوذ والقوة فيها للضغط عليها والتحكم فى سياستها فى اللحظة المناسبة . ويحــكى وايزر كيف هاجر الى اكوادور هربا من النــازية وكيف نجــح بمعــاونة قلة من اليهــود كانوا يقيمون فى اكوادور من قبــل فى التحــكم فى الراى العــام بين أهالى اكوادور وذلك بأن بدأ يحــرر فى أهم جــريدة فى المدينة التى كان يعيش فيهــا وتدرج فى مناصب التحرير والنفوذ حتى استطاع أن ينشر تعقيبه اليومى فى أهم جرائد أمريكا اللاتينية واستغل هذا المنصب فى اعــداد الراى العــام اللاتينى للعطف على اليهود البؤســاء المضطهدين ! .

وما أن وثقت الصهيونية من اشــتداد سواعد عملائهــا حتى عملت على انشــاء Christian Pro. Palestine Committee التى كانت فى الواقع

تابعة للوكالة اليهودية فى فلسطين ولكنها تحت ستار التعاون بين المسيحيين واليهود بنت فروعا لها بالاسم الجديد فى جميع دول أمريكا اللاتينية واستغلت فى برنامجها الدعائى الضخم عطف وسذاجة اللاتينيين فجسمت لهم فظاعة النازية التى قتلت ٦ ملايين يهودى بين رجل وطفل وامرأة وشردت مليون يهودى آخر لا يجـدون مأوى وملجأ يضمهم سـوى فلسطين واستغلت الصهيونية أيضا أفكار العهـد القديم فى الانجيل وحورتها وأسبغت عليهـا تفسيرات صهيونية خالصة حتى أصبح اللاتينيون يعتقدون أن انشاء اسرائيل فى فلسطين واجب دينى وانسانى فى وقت واحـد .

هـذا وتقوم الدعاية الصهيونية بنشاط كبير فى دول أمريكا اللاتينية يتمثل فى الجهود التى بذلتها الجاليات اليهودية فى هذا السبيل الأمر الذى أدى الى توثيق العلاقات بين دول هذه القارة واسرائيل .

وتتركز الدعاية الصهيونية فى هذه البلاد على ما يلى :

(أ) النشاط الدبلوماسى الذى تقوم به الهيئات التمثيلية لاسرائيل ويتمثل فى المقابلات والاجتماعات السياسية والمؤتمرات الصحفية .

(ب) ارسال الوفود المختلفـة من اسرائيل الى هـذه الدول وكذلك قيـام الشخصيات الاسرائيلية والصهيونية الهامة بزيارات لدول هذه القارة ومنها زيارة ناحـوم جولدمان رئيس المنظمـة الصهيونية العالميـة وبنحاس سابير وجولدا مائير حيث كان يتم خـلال هـذه الزيارات الاتصال بالجاليات اليهودية وتسهيل السبل أمامها للقيـام بالدعاية اللازمة ، وكذلك بذل عروض التبادل والمعونة الاقتصادية وهو ما يلقى استجابة كاملة من هذه الدول نظرا لحاجتها الى المعونة .

(جـ) استخدام الصحف والمجـلات عن طريق التأثير المادى والادبى على رجال الصحـافة والنشر .

(د) عرض الأفلام الدعائية بأنواعها والأنباء المصورة .

(هـ) نشاط المنظمات الصهيونية التى تقوم فى الوقت الحاضر بتدريس اللغة العبرية فى عـدد من مؤسساتهـا .

(و) محاولة ابراز قيمة العوامل الروحية والمشاعر النفسية التى تربط دول أمريكا اللاتينيـــة باسرائيل .

(ز) ان جميع دول أمريكا اللاتينية دول هجرة واستكشاف مثل اسرائيل .

(ح) ان الشعوب اللاتينية لم تمتلك اراضيها الحالية خـــلال اجيال سالفة كما لم يتسع لها الوقت لتكوين وحدة عنصرية وثقافية خاصة وان ذلك كان ســـببا فى تفهم تلك الدول لعملية استيعاب اسرائيل للمهاجرين فهذه الشعوب لا تتعجب من أن أغلبية رعايا اسرائيل لم يكونوا جزءا منها يوم اعلان استقلالها اذ ليس هذا بغريب عليها .

ومن ناحية أخرى تقوم المؤتمرات اليهودية التى تعقد فى دول أمريكا اللاتينيـــة على التوالى بالتوصـــية فى قراراتهـــا والتركيز فى نفس الوقت على الآتى :

(أ) شرح قضية اسرائيل للرأى العـــام فى أمريكا اللاتينيـــة والحصـــول على تأييد وتعضيد حكوماتهـــا .

(ب) تجنيد الجاليات اليهودية ودعوتها للسفر لاسرائيل للقيـــام بواجبهـــا الوطنى .

(جـ) تنظيم وتنسيق الجاليـــات اليهودية وتشجيعها على التبرعات وتنظيم هجرة اليهـــود اليهـــا .

(د) مقاومة الحركات والدعايات المعادية للصهيونية واسرائيل .

أما عن نشاط اسرائيل بوجه خاص فى أمريكا اللاتينية فيتلخص كما يلى :

(أ) النشـــاط الثقـــافى :

ويقوم على الأسس التاليـــة :

— اعطاء منح دراســـية لحوالى ٣٠٠ طالب سنويا فى مختلف بلاد أمريكا اللاتينية وذلك بالاشتراك مع منظمـــة الدول الأمريكية التى تتحمـــل مصروفات السفـــر ،

— ارســـال أساتذة متخصصين فى الطب والهندسة والطبيعـــة النووية والكيمياء لالقـــاء المحاضرات فى الجامعات المختلفة .

— دعوة بعض اساتذة الجامعات ورجال الفكر والأدب لزيارة اسرائيل .

— نشر المؤلفات الاسرائيلية باللغـــة الاسبانية فى أمريكا اللاتينية .

— اقامة معارض فنية وأخرى انتاجية لعرض نواحى التقدم الفنى والتطور الزراعى والصناعى فى اسرائيل .

— نشر الثقافة واللغة العبرية وخاصة بين الجاليات اليهودية فى أمريكا اللاتينيـــة .

ولتنفيذ هذه البرامج أنشأت اسرائيل فى فنزويلا المعهد الثقافى الفنزويلى الاسرائيلى ويقوم بنشاط ثقافى ، والاتحاد الاسرائيلى « لكاراكس » ويقوم بنشـــاط دعائى .

(ب) النشـــاط التجـــارى :

قامت اسرائيل بمســـاعدة الجاليات اليهودية فى بلاد أمريكا اللاتينية بدراسة امكانيات هذه الأسواق لزيادة حجم التجارة الخارجية بين اسرائيل وأمريكا اللاتينية .

وقد أمكن لاسرائيل أن تتفق مع بعض بلاد أمريكا اللاتينيـــة على أن تشترى انتاجها من المواد الخام أو النصـــف مصـــنوعة لتقوم بتصنيعها فى اسرائيل ثم تعيـــد تصديرها لجميع بلاد العـــالم وأظهر مثل لذلك تجارة الماس بين فنزويلا واسرائيـــل .

ولقد ساعد اسرائيل على نشر تجارتها فى بلاد أمريكا اللاتينية سيطرة اليهود المحليين بدرجـــة كبيرة على عمليـــات الاســـتيراد والتوزيع فى هـــذه البـــلاد .

وتبدى اسرائيل اهتماما خاصا بسوق أمريكا اللاتينية لأن الاســـتثمار فيه يعطى ارباحا عالية بالنسبة لجميع اسواق العالم لذلك فان المبـــالغ التى تجمعها اسرائيل والمنظمات الصهيونية بسنويا من أمريكا اللاتينيـــة

لا ترسل مباشرة الى اسرائيل ولكنها تســــتثمر أولا فى أمريكا اللاتينية ثم تنقل بعد ذلك مع أرباحها الى اسرائيل .

وعلى الرغم من ان هذه العملية فى حقيقتهـــا عملية امتصـــاص دماء الشعوب اللاتينية الا ان كثيرين من المسؤولين فى أمريكا اللاتينية يعتقدون أن هذه الاستثمارات تشارك فى بناء اقتصاديات بلاد أمريكا اللاتينية .

وتتقدم اسرائيل عروضا مختلفة لانشاء شركات ملاحة مشتركة تتعهد اسرائيل بدفع كل النفقـــات اللازمة لبناء المراكب على أن يدفع نصـــيب المستحق على الجانب اللاتينى من أجور نقل تجارته الخارجية على هـــذه المراكب ، وتحقيق هذه الفكرة يؤدى الى احتكار اسرائيل لجـــزء كبير من عمليات نقل التجارة الخارجية لهذه البلاد .

(ج) المعونات الفنية والاقتصادية :

تهتم اسرائيل بدراســـة الاحتياجات الفنيـــة لدول أمريكا اللاتينيـــة وتعرض مدها بالخبراء الاسرائيليين بدون مقابل ، وقد نجحت اسرائيل عن هذا الطريق فى التغلغل فى الأجهزة الفنية فى أمريكا اللاتينية .

وبموجب هـــذه السياسة فقـــد ذكرت صحيفة يديعوت أرحرنوت الاسرائيلية بتاريخ ١١/١١ سنة ١٩٦٥ بأنه تم توقيع اتفاق معونة فنية بين اسرائيل وبين دول أمريكا اللاتينية من أجـــل التنمية الزراعية وقد وقـــع الاتفاق عن الجانب الاسرائيلى سفير اسرائيل فى واشنطن وعن دول أمريكا اللاتينية السكرتير العام لمنظمة الدول الأمريكية وقالت الصحيفة ان هـــذا الاتفاق ينص على أن توفد اسرائيل عشرة من خبرائها الزراعيين الاسرائيليين الى أمريكا الجنوبية لمساعدة اقطارها فى تحسين الزراعة القروية التعاونية هذا وأشارت الصحيفة فى نفس الوقت الى أن الخبراء الاسرائيليين الذين تم ارسالهم الى هذه الدول سوف ينقسمون الى ثلاثة أقسام ، قسم يكون مركزه شيلى ويعمل فى الأرجنتين والثانى بيرو ويعمل فى اكوادور والثالث يتجول فى جميع اقطار امريكا اللاتينية . هذا وقد خصص الاتحاد الأمريكى فى ذلك الوقت ٢٠٠ الف دولار للانفـــاق على المرحلة الأولى ومدتها سنة .

ومن جانب آخر يوجد فى فنزويلا خبراء من اسرائيل فى زراعة القطن والرى والكيمياء وتهتم الجالية الاسرائيلية بالمشاركة فى بناء الصناعات الجديدة وعن طريق الحماية الجمركية المقررة لهذه الصناعات تتمكن هذه الصناعات من احتكار السوق المحلية وفرض الأسعار التي تمكنها من تحقيق أرباح عالية .

(د) الصحافة الصهيونية فى دول أمريكا اللاتينية :

يبلغ عدد الصحف اليهودية التى تصدر فى أمريكا اللاتينية الوسطى ١٢٣ صحيفة كما أن الصحف اليهودية التى تصدر بالأسبانية والبرتغالية ، وهما اللغتان السائدتان فى دول امريكا اللاتينية ٥٥ صحيفة . هذا وتقف الصحف الكبرى فى معظم دول أمريكا اللاتينية بوجه عام موقفا مغرضا من كافة القضايا العربية ، مدفوعة بالدعاية المضللة التى تروجها الصهيونية ، والتى يساندها فيها بعض الحكام الرجعيين فى هذه البلدان الذين يشعرون بالاستياء من مناصرة العرب لكافة الحركات التقدمية ومساندتهم لمعارك النضال والتحرير ضد النفوذ الاستعمارى .

واوردت المذكرة قوائم باعداد الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية الكثيرة التى تسبح بحمد اسرائيل : فى كل من الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل وشيلى وكولومبيا وكوبا وغيانا الهولندية ومكسيكو وبيرو وأورغواى وفنزويلا .

ولعل الغرض من تركيز اسرائيل نشاطها على دول أمريكا اللاتينية انها تستهدف :

١ — غزو هذه القارة البكر الجديدة التى لم يكن لهم فيها نشاط مرموق قبل ذلك .

٢ — مقاومة أو اسكات الجاليات العربية التى يزداد نشاطها وتغلغلها فى الحياة العامة فى هذه الدول بحيث لو تم تكتيلهم وتنظيمهم لأصبحوا خطرا على النفوذ الصهيوني .

البرازيل :

يبلغ تعداد الجالية اليهودية فى البرازيل نحو ١٥٠ الف شخص يتمتعون بعطف الدوائر الرسمية ولهم نفوذ واسع على وسائل الاعلام نظرا لسيطرتهم على النواحى الاقتصادية وتحكمهم فى عمليات الاستيراد والتوزيع . وتبذل المنظمات الصهيونية جهدها لربط اليهود المقيمين فى البرازيل باسرائيل ومساعدتها ماديا ومعنويا على أساس اعتبارها المركز الروحى لليهودية فى العالم . كما يوجد فى البرازيل عدد من المعاهد التى تدرس فيها العبرية وآدابها وتعاليم الديانة اليهودية . وهناك عدة اتفاقيات للتعاون التجارى والثقافى والفنى بين البرازيل واسرائيل .

وكانت الدعاية الصهيونية فى البرازيل تتبع الاسلوب المباشر ، وهو أسلوب الهجوم المباشر على البلاد العربية منفردة ومجتمعة فى محاولة لاظهارها بمظهر البؤس والتأخر والفوضى . وقد منيت بفشل ذريع فى هذا المضمار بفضل الموقف الموحد الذى وقفته السفارات العربية فى مواجهتها بالتعاون مع مكتب الجامعة هناك . فانتقلت بعد ذلك الى الأسلوب غير المباشر بابراز منجزات اسرائيل وفضائلها والفائدة التى تعود على الذين يتعاونون معها وبالعمل على التقرب اكثر فأكثر من البرازيل وسائر دول امريكا اللاتينية عن طريق تقديم المساعدات الفنية وتبادل الزيارات الرسمية والشعبية معهما .

واستطاعت الصهيونية التغلغل فى الأحزاب السياسية والبرازيلية ، فكان أن بعث مرشح حزب العمال لانتخابات الرئاسة الأخيرة نيجوا أودى ليما الذى كان يحظى كذلك بتأييد الحزب الاجتماعى البرازيلى برسالة تهنئة حارة الى اليهود بمناسبة العام اليهودى الجديد . كما قام شخصيا بزيارة الحاخام اليهودى للتحية والتهنئة بطريقة يشتم منها محاولة شراء أصواتهم . كذلك قبل رئيس الجمهورية المارشال كاستيلو برانكور الدعوة التى وجهتها اسرائيل اليه لزيارتها .

وكان من أهم مظاهر اهتمامها بالبرازيل التى تشغل وحدها نصف

مساحة قارة أمريكا اللاتينية أن عقدت فى عاصمتها سان باولو مؤتمرا كبيرا للجاليات اليهودية فى أمريكا اللاتينية فى أكتوبر عام ١٩٦٢ اشترك فيه ١٧٢ مندوبا عن الهيئات الصهيونية التى تمثل عشرة بلدان برئاسة رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ناحوم جولدمان ، وقد وجه رئيس الجمهورية البرازيلية حينذاك رسالة تهنئة الى المؤتمر أثنى فيها على الجهود التى تقوم بها الطوائف اليهودية لتحقيق التقدم فى البرازيل وتمنى للمؤتمر النجاح . وكان الهدف الظاهر لهذا المؤتمر هو بحث حالة اليهود فى العالم عامة وفى القارة الأمريكية خاصة ودراسة المشاكل الناشئة عن عودة ظهور حركة العداء للسامية .

وقد أصدر المؤتمر عدة مبادىء وتوصيات أهمها الايمان بالمثل والنظم الديمقراطية التى تعبر عن أعمق ما فى الروح اليهودية والاعراب عن القلق من عودة ظهور حركة العداء للسامية واستعداد اليهود للعمل ضد هذه الحركات والاعلان عن حق اليهود فى المحافظة ضمن الدول التى يقيمون بها على خصائصهم الجنسية وحقهم فى مقاومة الضغط الذى يبذل لصهرهم فى المجتمعات التى يقيمون بها ومناشدة جميع شعوب العالم التعاون للقضاء على التفرقة العنصرية والدينية .

والذى يستلفت النظر هو التوصية الأخيرة الخاصة بالقضاء على التفرقة العنصرية والدينية لأن هذه التفرقة هى الأساس الذى قامت عليه دولة اسرائيل حيث يمارس التمييز العنصرى ليس فقط بين اليهود وأتباع الديانات الأخرى وانما كذلك بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين الى حد تحريم زواج اليهود الهنود باليهوديات الغربيات .

الأرجنتين :

يرجع وجود اليهود فى الأرجنتين الى عام ١٩٥٢ منذ بدأت هجرتهم اليها من دول أوربا الغربية وشمال أفريقيا . يبلغ عددهم الآن نحو نصف مليون شخص تتركز غالبيتهم فى العاصمة بيونس آيرس حيث يصل تعداد الجالية اليهودية فيها الى ما يقرب من ٣٠٠ الف شخص . وقد قام اليهود منذ ذلك الحين بتنظيم صفوفهم على هيئة خلايا طبقا للتنظيم الهرمى تحت

اشراف المنظمة الصهيونية العالمية وفرعها بالأرجنتين . وقد ازداد نشاط اسرائيل بصورة واضحة فى الأرجنتين منذ الاعتداء الثلاثى على مصر وبدات تقوم بحملة واسعة لجمع التبرعات .

ومن الجدير بالذكر أن يهود الأرجنتين لا يخضعون خضوعا تاما للصهيونية ولذلك فانهم لا يميلون الى الهجرة الى اسرائيل ولا يقدمون اليها مساعدات شخصية . وفضلا عن ذلك فان الشعب الأرجنتينى كاثوليكى متعصب ، ومن ثم فليس من الممكن لليهود السيطرة على الحكومة الأرجنتينية أو المراكز السياسية الهامة فيها . لهذا فان تغلغل الصهيونية فى الأرجنتين يقتصر الى حد كبير على السيطرة على اقتصاديات البلاد . ومع هذا فانه يوجد بالأرجنتين حوالى ١٢٠ هيئة يهودية تعمل تحت اشراف المنظمة الاسرائيلية (الدايا) ويعتبر السفير الاسرائيلى هناك الرئيس الفعلى لهذه المنظمة .

ومن أبرز هذه الهيئات جمعية (مس بريث) ومنظمة (ماجن دفا فيد آدوم) ومنظمة الشباب التابعة لها ومعهد التبادل الثقافى الأرجنتينى الاسرائيلى ومعهد النساء اليهوديات الأرجنتينيات والجمعية الخيرية الاسرائيلية الأرجنتينية والجمعية العبرية الأرجنتينية ومعهد التبادل الاعلامى الأرجنتينى الاسرائيلى والاتحاد الصهيونى الأرجنتينى الحر والمجلس الفردى المركزى بالأرجنتين ومنظمة مكابى العبرية الأرجنتينية .

وتعتمد الدعاية الصهيونية فى الأرجنتين اساسا على تبادل الزيارات وتعليم اللغة العبرية وآدابها واستغلال وسائل الاعلام المختلفة ، فتقوم شخصيات اسرائيلية كبيرة بين وقت وآخر بزيارة الأرجنتين لتوضيح وجهة النظر الصهيونية ، وخاصة تجاه مشكلة مرور السفن الاسرائيلية فى قناة السويس وللعمل على عقد اتفاقيات ثقافية واقتصادية مع تلك الدولة من نتائجها تخصيص المنح الدراسية السنوية ، وتوجيه الدعوات الى الصحف واعضاء الحكومة لزيارة اسرائيل ، ويقوم ممثلو اسرائيل بجهد دعائى واضح عن طريق الخطابة والمؤتمرات الصحفية ، بالاضافة الى جهود الجالية اليهودية فى تلك البلاد . وقد ساعد على ذلك سيطرتهم على وسائل

الاعلام ، وتدخل شركات الاحتكار الأمريكية عن طريق رؤساء مجالس الادارة اليهود فى فرض القوانين التى تستفيد منها اسرائيل ، وسيطرة يهود الأرجنتين على المصارف والمناصب الكبرى بالوزارات والمرافق العامة مما دعا اذاعة الأرجنتين الى ان توجه برنامجا خاصا الى اسرائيل . كما أن السفارة الاسرائيلية فى الأرجنتين تستأجر ساعة زمنية فى القناة رقم ٧ فى التليفزيون تعرض خلالها بعض الأفلام عن اسرائيل ، وتبعث من آن لآخر بالفرق الفنائية والموسيقية لعرض فنونها على هذه القناة وتتعمد السفارة ان تظهر شارة اسرائيل خلال هذه البرامج .

وتتركز الدعاية الصهيونية فى الأرجنتين على النقاط التالية :

— اظهار اسرائيل فى صورة الدولة المحبة للسلام المستعدة للتفاوض مع العرب (وهو نفس المخطط الذى تسير عليه مع دول آسيا وافريقيا) .

— مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة وتصويرها بالدولة المعتدية التى تهدف الى السيطرة على جيرانها من الدول العربية .

— استمالة المسيحيين من العرب المغتربين فى الأرجنتين عن طريق اظهار اسرائيل بمظهر الدولة التى لا تفرق بين الأديان والتى تشجع على بناء الكنائس .

— اتهام الجمهورية العربية المتحدة بالتعصب للاسلام وعدم تجاوبها مع الأديان الأخرى .

— بيان تقدم اسرائيل فى الميدان الاقتصادى والعلمى والصناعى ودعوة الأرجنتين الى الاستفادة من خبرة اسرائيل فى النواحى الزراعية حيث أن سكان اسرائيل قد وصلوا الى مرتبة عالية فى هذه النواحى .

— ابداء الاستعداد لحل مشكلة اللاجئين واتهام العرب باتخاذ هذه المشكلة سلاحا ضد اسرائيل .

— الربط بين المشاكل العمالية فى اسرائيل ومثيلاتها فى دول أمريكا اللاتينية .

كذلك فاننا نجـد أن المكتبات الارجنتينية مليئة بالكتب المختلفة عن اسرائيل وتعرض دور العرض فى الأرجنتين الكثير من الافـلام الاسرائيليـة .

ومن أمثلة النشاط الصهيونى فى الأرجنتين ما يلى بيانه :

— سافر وفد يتكون من ٤٨ عضـوا من اتحاد نوادي المدارس العبرية الى اسرائيل لحضور الدورة الثقافية التى يقيمها معهد (بيت بيرى) فى اسرائيل ويشرف عليها قسم الثقافة والتعليم بالوكالة الدولية .

— عقد اجتماع بالمنظمة الصهيونية الارجنتينية للوفد الذى حضر الدورة السابقة للجنـة العمل الصهيونى التى عقدت باسرائيل وقد حضر الاجتماع جاكوب بركونيش عضو منظمـة أمريكا اللاتينية باسرائيل والذى زار الأرجنتين وقـد صرح رئيس المنظمـة حاييم ملكتستين بأن الهجرة الى اسرائيل والانصهار بمجتمعها من صميم اعمال لجنة العمل الصهيونى واقترح تكوين مجلس استشارى للجنـة خاصة بشئون أمريكا اللاتينية على غرار مجلس المؤتمر اليهودى الأمريكى .

— عقدت مؤخرا الدورة الثالثة للمشرفين على منظمات الشباب اليهودى وقد اشترك فيها قسم الشباب بمنظمة الجالية اليهودية واتحاد الشباب اليهودى الأرجنتينى ومدارس التعليم الفنى . وبلغ عـدد المشتركين فى هذه الدورة ٨٠ ممثلا للمنظمات المختلفة للشباب وفى ختام الدورة القى الملحق الثقـافى الاسرائيلى كلمة اشار فيهـا الى اهميـة القيم اليهـودية للشـباب .

— انشأت الجالية اليهودية بالأرجنتين مكاتب للزواج بين اليهود كاحدى المحاولات التى تقوم بها المنظمات الصهيونية لمحاربة الزواج المختلط والمحافظـة على الكيان اليهودى وعـدم الانصـهار فى المجتمعات التى يعيشون بهـا ، وقد بدأت الصحافة الأرجنتينية اليهودية فى نشر الاعلانات لهـذه المكاتب بصفة مستمرة .

— فى احــد اجتماعات المجلس التنفيــذى للوكالة اليهودية الدوليــة تم التوصل الى شبه اتفــاق على انشــاء فرعين للوكالة اليهودية الدولية ، أحدهما باوربا ويكون مقره جنيف أو باريس والثانى بأمريكا اللاتينية ويكون مقره بيونس آيرس .

— اقامت الجمعيــة العبرية الأرجنتينية حفــلة تذكارية للناشر اليهودى مانويل جليزر الذى توفى أخيرا ، حضرها عدد كبير من الكتاب والأدباء الأرجنتينيين الذين القوا كلمات بهذه المناسبة . وأقامت حفلة أخرى تكريما لذكرى الكاتب اليهودى شوليم عالوخيم عرضت فيها مقتطفات من مسرحية « عالم شوليم عالوخيم » .

— اقامت منظمــة مكابى العبرية الأرجنتينية الرياضــية فى ١٩٦٦/٧/٧ احتفالا فولكلوريا أرجنتينيا اسرائيليا بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئة والخمسين لاعــلان استقلال الأرجنتين . واحتفلت بهذه المناسبة أيضا أندية ووفد المنظمات الاسرائيليــة الأرجنتينية واهدت عشر مدارس ريفيــة للحكومة الأرجنتينية .

— وتقوم المنظمات التعاونية النقدية ، التى تنتمى الى الحزب الشيوعى والمنظمات الصهيونيــة ، بتهريب الأموال الى الخــارج ، وخاصــة الى اسرائيل والولايات المتحــدة الأمريكية . وقد اعتقلت السلطات الأرجنتينية فى بيونس آيرس وروساريو بعض المسؤولين عن معهــد استثمار رؤوس أموال المنظمات التعاونيــة بتهمة تهريب الأموال . ولجأ البعض الى استغلال وجود يهود بين المعتقلين باتهام السلطات القائمة بالنازية واللاسامية وبشن الحملات عليها فى الداخل والخارج .

— يصدر فرع الأرجنتين لمعهد وايزمان مجلة باسم « العلوم فى اسرائيل » .

المكســيك :

يوجد فى المكسيك مجتمع يهودى قوى يتكون من يهود أوربا الشرقية واليهود الألمان الذين يحصلون على مساعدة من اليهود فى الولايات المتحدة الأمريكيــة .

ويبلغ تعــداد الجاليــة اليهودية بالمكسيك حوالى ٣٠ الف يهودى كما يوجد بالمكسيك جمعية جبــل سيناء وهى جمعية يهودية تتفرع منهــا عدة جمعيات ومؤسســات اجتماعية خيرية وثقافيــة .

ويمثل الجالية اليهودية بالمكسيك لجنة تسمى اللجنــة الاسرائيلية المركزية ، وتعترف الحكومة بهــذه اللجنــة التى تتفرع منها لجان فرعيــة هى لجنة الشباب ولجنة الثقافة ولجنة صندوق كاساك الذى يختص بمنح الجوائز لمؤلفى الكتب المتعلقة بمواضيع يهودية .

ويتركز النشــاط الصهيونى فى المكسيك حول دعوة الكثير من رجال الصحافة والاذاعة والتليفزيون فى المكسيك لزيارة اسرائيل بانتظام .

ويوجد تمثيــل دبلوماسى بين اسرائيل والمكسيك وتتبــادل الوفود الاسرائيلية والمكسيكية الزيارات فقد قام أبا ايبان بزيارة المكسيك فى شهر اكتوبر سنة ١٩٦٤ واشاد بتقدم المكسيك تكنولوجيا اذا قورنت بدول أمريكا اللاتينية وآســيا وأفريقيــا .

وصرح المستشار التجــارى الاسرائيلى فى المكســيك ان اسرائيــل والمكســيك ستقومان بانتــاج مشترك فى مجال الصــناعات الكهربائيــة وقطع غيار السيارات وقال ان هــذا الانتاج المشترك يرجع الى التشابه الكبير فى البرامج الصناعية فى كلا البلدين .

ويتركز النشاط اليهودى فى أجهزة الاعــلام فى المكسيك حول توطيد علاقات الصداقة واغداق المال والهدايا والدعوات لزيارة اسرائيل موجهة الى الصحفيين وخاصة صحيفة اكلسيور ومجلة التيمبو وامتد اثره ايضــا الى المعلقين بمحطات الراديو والتليفزيون .

وبالاضافة الى ذلك تصدر الجالية اليهودية فى المكسيك عدة صحف اهمها صحيفة الطريق وصحيفة الصوت وجريدة لابرنسا اسرائيليتا .

شـــيلى :

يقيم فى شيلى حوالى ٧٥٠٠ يهودى المانى بالاضافة الى عدد من يهود روســيا وبولندا . ورغم ذلك فان نفوذهم محدود اذ يقيم فيهــا عدد كبير من الألمــان الذين يمجــدون الامبراطورية الألمانيــة وينظرون الى اليهود على انهم السبب فى تدهور المانيــا وكذلك يقيم بهــا عرب كثيرون ولذلك فان اليهود فى شيلى يواجهون العــرب والألمــان الذين يسببون لهم كثيرا من المتــاعب .

وتتركز الدعاية الصهيونية فى شيلى فى النقاط الآتية :

١ ـ الوفود الاسرائيلية التى تصل الى سانتياجو بنسبة كبيرة وكان آخرها زيارة وزير الزراعة الاسرائيلى لشيلى الذى قام بمشاهدة محطــة التجارب الزراعية ، وكذلك محطة فيكتور للقوى النيتروجينية وبعض المشاريع الاصلاحية ومشاريع الرى .

٢ ـ الوفود الشيلية التى تدعى لزيارة اسرائيل .

٣ ـ العلاقات الثقافية ، اذ توجد بين البلدين اتفاقيــة ثقافية ، كما أن المنظمات الصهيونية تقوم بتدريس اللغة العبرية فى عدد من مؤسساتها ونشر الكتب والمجلات التى تقوم بالدعاية لاسرائيل .

٤ ـ الدعاية السينمائية التى تستغلها اسرائيل عن طرقها الثلاث : الفيلم الدعائى القصير ، والفيلم التجارى ، والأنباء المصورة .

٥ ـ الجاليات اليهودية التى تقوم بالدعاية لاسرائيل وجباية الأموال لهــا فى كل مناســبة .

٦ ـ الصحف والاذاعات التى تستغلها اسرائيل عن طريق البرامج الإذاعية التى تنظمهــا أو عن طريق اســتغلال الصحفيين والاذاعيين وكثيرا ما تدعو اسرائيل الصحفيين لزيارتها كما تقدم .

بـــــيرو :

بيرو دولة غنيـــة مسالمة خاضعة لنفوذ الولايات المتحدة . يوجد بهـــا مجتمع يهودى قوى يتألف من يهود أوربا الشرقيـــة لديهم فرقة عســـكرية صهيونية مدربة تدريبـــا كاملا .

فنزويــــــلا :

أنشأت المنظمة الصهيونية العالمية فرعا لها فى فنزويلا يسمى الاتحاد الصهيونى الفنزويلى ويقوم هذا الاتحاد ببذل جهود مستمرة لنشر الأخبار الخاصة باسرائيل فى الصحف الفنزويلية ويصـــدر مجـــلة باللغتين العبرية والأسبانية ، كما يهتم بدعوة الزعماء السياسيين لزيارة اسرائيل . ويسهل مهمـــة الاتحاد الصهيونى بما تتمتع به الجاليـــة اليهودية من نفوذ داخـــل الصحافة وسائر أجهزة الاعلام نتيجة لسيطرتها على المؤسسات الاقتصادية التى تتحكم فى الاعلانات التى تنشر فى هـــذه الأجهزة .

اورجــــــواى :

تعتبر جمهـــورية أورجواى من أوائل الدول التى اعترفت باسرائيل عند قيامها . ويبلغ تعداد الجالية اليهودية فى أورجواى نحو ٨٠ ألف شخص يسيطرون على معظم المؤسسات الاقتصادية والمالية . وتعتبر الجاليـــة اليهودية هناك محور الدعاية الانتخابية حيث تتنافس الأحزاب السياسية فى الحصـــول على تأييدها ومن الأمثلة التى تدل على تغلغـــل الصهيونية فى اورجواى قيـــام الحكومة هناك باصـــدار طابع تذكارى بمناسبة زيارة الرئيس الاسرائيلى للبـــلاد .

وتحدثت المذكرة عن اهمية هـــذه الزيارة وزيارة اشكول لأفريقيـــا بالنســـبة لاسرائيل .

الملحق الثالث

مذكرة

عن النشاط الصهيوني فى آسيا

نقلت عن ادارة الاعلام بالأمانة العامة

لجامعة الدول العربية

النشـــاط الصـــهيونى فى آســـيا

أدركت الصهيونية منذ وقت بعيد أهمية القيام بنشاط دعائى واسع النطاق فى القارة الآسيوية باعتبارها أكبر قارات العالم مساحة وعددا ، وعلى الأخص لامكانية جـــذب المهاجرين اليهود منهـــا الى فلسطين نظرا لأن مستواهم المعاشى أقل منه فى أوربا وأمريكا ، فهم لذلك أقل تمسكا بالبقاء فى بلادهم الأصلية .

ومنذ قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ ظلت هـــذه الأجهزة تواصل نشاطها فى هذه المناطق بغية جذب أكبر عدد ممكن من ابنائها الى اسرائيل عن طريق مراكز الوكالة اليهودية المنتشرة فى بلاد آسيوية كثيرة .

وفيما يلى بعض الأمثلة المهمة لهـــذا النشاط الصهيونى التى وردت فى تقارير مكاتب الجامعة فى الخارج فى الفترة الماضية :

الهنـــــد :

من المعروف أن الهنـــد تقف موقفـــا وديا للغاية من الدول العربية فى قضية فلسطين . وتجلى ذلك بوضوح فى الموقف الذى اتخذته الحكومة أخيرا من رئيس اسرائيل عند مروره بالهند فى طريقه الى نيبال . ومع ذلك فان الدعاية الصهيونية تنتهز كل فرصة لبث دعاياتها ، من ذلك ما يلى :

بعض المقالات التى تظهر فى الصحف من حين لآخـــر ، كالمقال الذى نشرته الـ « تايمز أوف انديا » فى فبراير ١٩٦٥ الذى تنـــاول بالتحليـــل القضية الفلسطينية عامة ، وقد انتهى كاتب المقال الى أن سياسة الهنـــد الحالية هى خير سياسة فى هذا الصدد . الا انه بعـــد ذلك بأسبوع واحد ظهر فى نفس الجريدة مقال دعائى لاسرائيل بداه بعرض الطريقة التى حلت بها اسرائيل مشكلة التغذية تغطية لمقاصده السياسية . وتنشر الجريدة من حين لآخر أخبارا عن نشاط اسرائيل فى المجالات المختلفة .

ومن جهة أخرى فقد ذكرت صحيفة « جيروساليم بوست » الاسرائيلية

أن عددا من كبار الشخصيات الهندية يرون أن هـذا الموقف اتخذ أساسا بناء على تقدير خاطىء من رئيس الوزراء السابق نهرو .

ما زالت بعض الصحف الهندية تحاول الضغط على الحكومة الهندية من أجل الاعتراف باسرائيل وتبادل التمثيل الدبلوماسى معهـا . فقد كتبت صحيفة « صنداى ستاندارد » التى تصدر فى بومباى مقالا اشارت فيـه الى أن بعض أعضاء حزب المؤتمر الهندى يقومون بحملة شديدة لاحيـاء هـذه القضـية .

نقلت الصحيفة عن مؤيدى هـذه السياسة قولهم ان الهند عندما تقيم علاقات افضل مع اسرائيل لن تكون قد آثرت اليهود على العرب .

ويقول هؤلاء ان حياد الهند سيكون له معنى أعمق اذا تعرفوا على وجهة نظر اسرائيل لأنهم فى الوقت الحاضر يعرفون وجهـة نظر الجانب العربى من القضية فقط .

كما يعتقد هؤلاء ان سياسة الهند يساء فهمها فى الخارج فبينما تتظاهر الهند بالحياد بين العرب والاسرائيليين فانها فى الواقع ليست كذلك .

وادعت الصحيفة ان العرب يخطبون ود نيبال التى تربطها علاقات طيبة جدا مع اسرائيل وحاولت التدليل بذلك على أن العرب سوف يزداد احترامهم للهند فى حالة قيام علاقات دبلوماسية بينها وبين اسرائيل .

وربطت الصحيفة بين ذلك وما أسمته بازدياد ضيق العرب بسياسة الهند مشيرة الى ما سبق أن نشرته صحيفة « الأهرام » متسائلة عن امكان استمرار الهند فى سياسة عدم الانحياز نظرا للمساعدات الاقتصادية الأمريكية الضخمة التى تتلقاها الهنـد .

وفى نفس الوقت فقد اشارت احدى الصحف الهندية الى انه بينما تجامل الهند العرب فى قضيتهم مع اسرائيل فان العرب يتخذون موقفا محايدا من الصين وباكستان فى نزاعهما مع الهنـد .

وقد أكدت الهنـد موقفهـا من اسرائيل وصداقتها للدول العربية بأن رفضت عوضا اسرائيليا بتزويدها بالأسمدة وذلك لاعتبارات سياسية .

وقد أعلن سوبرا مايئام وزير الأغذية والزراعة الهندى أمام البرلمان أن العرض الاسرائيلى كان تافها وانه كان على الحكومة الهندية أن تضع فى اعتبارها ردود الفعل الأخرى وكان فى تقدير الحكومة الهندية انه لا حاجة بها الى قبوله وقد سئل سوبرا مايئام فى البرلمان عما اذا كانت اسرائيل قد عرضت على الهند مساعدات واسعة النطاق فى برنامجها الزراعى ، فأجاب بأنه لا يذكر أن اسرائيل تقدمت بأى عرض على أى نطاق واسع بمساعدة الهند فى سد احتياجاتها الطارئة من المواد الغذائية .

كذلك تباشر الوكالة اليهودية نشاطا واسعا وفيما يلى بعض أمثلة له :

١ — أقيمت فى وادى كشمير بالهند حلقة دراسية نظمها قسم تعليم التوراة بالوكالة اليهودية فى بومباى وذلك فى معسكر أطلق عليه « مخيم السلام » حضره بعض الفتيان والفتيات واشتملت الحلقة على دراسات ومناقشات عن تاريخ اليهود وأخلاقياتهم وكذلك نشاط الوكالات اليهودية فى داخل وخارج اسرائيل وتاريخ اليهود العريق فى الهند . وقد حضر هذه الحلقة كضيف شرف مستر هـ. سينويز نائب رئيس المنظمة الصهيونية فى بومباى الذى قابل السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند وأعرب لها عن أطيب أمنيات اليهود فى الهند .

٢ — من المعروف أن المستر هـ. سينويز من أخطر عملاء اسرائيل فى الهند نظرا لعلاقاته بعدد كبير من الشخصيات الهندية والاسرائيلية فى بومباى والتى تساعده فى تقديم التسهيلات والمساعدات للمنظمة الصهيونية فى بومباى .

أجريت فى بومباى انتخابات اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية فى بومباى عن عام ١٩٦٧/٦٦ . وقد أسفرت الانتخابات عن فوز مستر هـ. سينويز بنيابة الرئيس .

ويلاحظ أن هذه ليست المرة الأولى التى ينتخب فيها مستر هـ. سينويز نائبا لرئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية نظرا لنشاطه ومجهوداته التى يبذلها فى سبيل الدعاية لاسرائيل والصهيونية فى الهند .

٣ — للمنظمــة الصهيونية فى بومباى نشـــاط ملحوظ فى الدعاية لاسرائيل فى منطقة جنوب الهند . وتتلقى معونات مستمرة من حكومة اسرائيل . وكذلك من تتصل اسرائيل فى بومباى — سواء كانت هذه المعونات مادية أو ادبية . ولذلك فان انتخاباتها السنوية لها اثر كبير فى تغيير أو استمرار شكل أو برامج الدعاية لاسرائيل .

تقوم المنظمــة الصهيونية فى بومباى بالدعاية لاسرائيل سواء بعرض افلام دعائية عنها أو دعوة كبار الشخصيات الهندية أو الأجنبية لالقاء المحاضرات عن اسرائيل والدعاية لها . كذلك تقوم بنشر مقالات فى مختلف الصحف الهندية للدعاية لاسرائيل وتقوم المنظمة باصـــدار نشرة شهرية « اندو — اسرائيل ريفيو » تعرض فيها نشاط المنظمة والدعاية لاسرائيل .

٤ — جاء فى عدد يونية من نشرة « اندو - اسرائيل ريفيو » أن وفدا هنديا يمثل الوكالة اليهودية فى بومباى ســوف يحضر المؤتمر اليهودى العالمى الذى ســيقام فى بروكسل فى المدة من ٣١ يولية الى ١٠ اغسطس عام ١٩٦٦ (١) ويتكون الوفد من اربعــة اعضــاء من بينهم المستر هـ. سينويز نائب رئيس المنظمــة الصهيونية فى بومبــاى الذى قابل مسز انديرا غاندى وتحــدث معهــا عن المؤتمر اليهودى العــالمى وعن المشاكل التى يتعرض لها اليهود فى الهنــد .

٥ — جاء فى عدد نشرة « أخبــار من اسرائيل » الصــادر فى ١٥ يونية سنة ١٩٦٦ أن مايسترو هندى يدعى زوبين مهتا — وهو من أشـــهر الموسيقيين الهنود — قام بقيادة الأوركسترا الفيلهارمونيك الاسرائيلى . وذلك فى عدة حفلات موسيقية اقيمت ضمن جولة للمايسترو الهندى فى داخل اسرائيل فى كل من القــدس وتل ابيب وحيفا ولقد أحرزت هذه الحفلات نجاحا كبيرا واشاد عدد من الصحف الاسرائيلية بمهارة المايسترو الهنــدى .

---

(١) صدرت المذكرة قبل هذا التاريخ — المؤلف .

وزوبين مهتا من مواليد بومباى التى توجد بها جالية يهودية كبيرة علاوة على التغلغل الصهيونى الملحوظ فى بومباى والذى ينتشر منها الى منطقة جنوب الهند

هذا وكانت الأوركسترا الفيلهارمونيك الاسرائيلية قد قامت بعدة جولات فى مختلف انحاء العالم ، عزفت فيها الكثير من الأعمال الموسيقية الكلاسيكية وعلى سبيل المثال قامت الفرقة فى عام ١٩٦٠ بجولة لمختلف بلاد العالم ومنها فرنسا والولايات المتحدة وكندا والمكسيك واليابان والهند وقد أقامت حفلا موسيقيا فى بومباى خلال هذه الجولة فى ديسمبر عام ١٩٦٠ .

٦ — فى آخر مارس ١٩٦٥ زار رئيس قسم آسيا فى وزارة الخارجية الاسرائيلية الهند وقام بالاتصال برجال الخارجية الهندية الا أن طلبه مقابلة رئيس الوزراء ووزير الخارجية قد رفض . وقد عرض اثناء وجوده هناك على وزير السياحة الهندى مشروع تنظيم زيارة ١٠٠٠٠ سائح اسرائيلى للهند سنويا . وقد صاحب هذه الزيارة الاتصال بعدد من المنظمات التى تؤيد اسرائيل ومن بينها حزب جان سانج اليمينى الذى تدأب صحيفته على نشر المقالات المؤيدة لاسرائيل .

بورما :

فى سنة ١٩٦١ وردت من مكتب الجامعة فى نيودلهى معلومات تفيد ان اسرائيل جعلت من بورما منطلقا لمخططاتها السياسية والتجارية فى المنطقة ، حيث تم — فى المجال العسكرى — تدريب بعض الضباط البورميين فى اسرائيل ومن جهة أخرى أوفدت اسرائيل عددا من العسكريين الى بورما .

وقد أورد مكتب نيودلهى بعض البيانات الهامة فيما يتعلق بالتكوين السياسى فى بورما فى سنة ١٩٦١ ومدى ارتباط المنظمات الاسرائيلية ، مع ما يستتبع ذلك من بيان أمكانيات نجاح دعاياتها هناك . فانتشار

الى انقسام الحزب الحاكم فى ذلك الوقت الى فئتين رئيسيتين الاولى التى يتزعمها رئيس الوزراء الأسبق أونو ، وذكر أنها مرتبطة — مصلحيا — مع اسرائيل حيث كانت تتعاون مع اسرائيل على نطاق واسع وفى كل المجالات ، والثانية وهى التى تنتمى الى المنظمة الآسيوية الاشتراكية التى ينتمى اليها حزب المابای الاسرائيلى وهى ترتبط — عقائديا — مع اسرائيل . وقد اقترح المكتب فى ذلك الوقت السعى من خلال مؤتمر عدم الانحياز لابراز خطورة هذه الحقائق لرئيس وزراء بورما المشترك فى المؤتمر ، وأن يسمح بفتح مكتب فرعى له فى رانجون للحد من النشاط الاسرائيلى. وقام مكتب نيودلهى بالاتصال ببعض الشخصيات فى ذلك الوقت لايضاح وجهات النظر العربية .

ومن المعروف أن الأوضاع السياسية قد تطورت فى بورما الى حد كبير منذ قيام مكتب دلهى بهذه الدراسة المبدئية التى لم تعقبها خطوات تنفيذية ملموسة ، مما يقتضى اعادة الدراسة على ضوء الظروف الحاضرة وتحديد الوسائل التى يبدأ بها العمل الاعلامى العربى هناك ، على ضوء النشاط المتزايد الذى تبذله اسرائيل فى المجالات المختلفة ومنها المجال الاقتصادى وهو الاشتراك فى ادارة البنوك والوظائف المدنية ، والقيام بالتجارب فى منطقة نام سانج بولاية شان لتنفيذ برنامج الاستيطان (التوطين) الذى يضطلع به الجيش ، وكذلك فى ميدان الاصلاح الزراعى واستزراع مناطق الغابات . ولهذه الغاية ذهب حوالى مائة من جنود جيش بورما السابقين مع عائلاتهم الى اسرائيل للتدريب فى التعاونيات الاسرائيلية وعادوا بعد عام للاقامة فى نام سانج واستعانوا بالخبراء الاسرائيليين لادخال أنواع جديدة من الزراعات .

كما ان اعمال الفنادق أيضا موضع تعاون بين اسرائيل وبورما .

اليـــــابان :

وردت فى عام ١٩٦٥ بعض المعـــلومات عن التغلغـــل الاسرائيلى فى اليابان . فقد أخذت محطات الاذاعة والتليفزيون تقدم المزيد من برامج الدعاية الاسرائيلية المعدة فى الولايات المتحدة . كذلك تقوم جمعية الصداقة اليابانية الاسرائيلية بنشاط واسع اكثره خفى . والظاهر من هذا النشاط يتصل بالنواحى الثقافية والفنية . فقد نظمت سلسلة من الحفلات الثقافية برعاية السفارة الاسرائيلية تضمنت تبادل الكلمات بين السفير الاسرائيلى ورئيس هذه الجمعية ومحاضرة علمية ومعزوفات موسيقية لبعض المؤلفين الاسرائيليين أعلن فيهـــا عن مسابقة دولية للعزف على (الهارب) تقـــام فى اسرائيل ســـنويا وتشترك فيهـــا اليابان . كما يعمـــل فى اليابان عدد من الموسيقيين الاسرائيليين الذين تقول الصحف عنهم انهم أنشأوا لبلادهم سمعة كبيرة فى اليابان . كذلك فان المسرح اليابانى قد قدم تمثيلية اسرائيلية بعد ترجمتها الى اللغـــة اليابانية تسمى (كارامبولى) ، كما أن المنظمات الاسرائيلية قد دعت أحد كبار المخرجين اليابانيين لزيارة اسرائيل فى طريق عودته من مهرجان (كان) للسينما بفرنسا تمهيدا لاخراج فيلم عن اسرائيل. كذلك من المظاهر الهامة للنشاط الاسرائيلى ازدياد عدد السياح اليابانيين الى اسرائيل والتسهيلات الضخمة التى تمنح لهم كأفواج جماعية أو فى زيارات فردية وخاصة للشباب ، وتؤدى هذه الزيارات الى سلسلة من المقـــالات الدعائية لاسرائيل . كذلك تقوم الســـفارة الاسرائيلية بالدعاية على نطاق واسع لمنتجات بلادها الصناعية والزراعية ، فقـــد أقيم معرض للبرتقال على ظهر سفينة نقل سويدية وصاحبته مظاهر اعلامية واسعة عن السلع ومصدريها ومستورديها . . كما أن الصحافة اليابانية تحفل بالمقالات التى تثنى على اسرائيل فى النواحى المختلفة سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية .

فيتنــــام الجنوبيــــة :

أشارت اذاعة براغ الى زيادة نشاط سفير فيتنام الجنوبية فى واشنطن فى الأيام الأخـــيرة والى ما اعلنه السفير مؤخرا من الاتفـــاق بين اسرائيل وفيتنام الجنوبية على تبادل العلاقات الدبلوماسية بينهما متناسيا ما صرح به منذ شـــهرين من أن بلاده لن تقيم علاقات مع اسرائيل . وذكرت الاذاعة أن هيوبرت همفرى نائب الرئيس الأمريكى جونسون نصـــح المسؤولين فى فيتنام الجنوبية أثناء جولته فى جنوب شرقي آســيا فى أوائل هـــذا العام بطلب المساعدة العسكرية من تل ابيب .

كمبـــوديا :

حصلت احـــدى المؤسسات الهندسية فى اسرائيل على عطاء لاقامة مصنع للمشروبات الغازية فى كمبوديا . وسوف تقوم المؤسسة الاسرائيلية باقامة المصنع وتقديم الآلات التي تصنع فى المصانع الاسرائيلية .

الفلبـــــين :

اشتركت اسرائيل فى دورة الشـــباب الآسيوية الثامنة لكرة القـــدم التى اقيمت فى مانيلا عاصمة الفلبين فى بداية شهر مايو ١٩٦٦ وقد اشترك فى هذه الدورة عدد من الدول الآسيوية منها ماليزيا وبورما وسيلان واليابان والصين الشعبية والهنـــد وســـنغافورة والفلبين وتايلاند وهونج كونج . ومما يذكر أن هذه ليست المرة الأولى التى تقوم فيها اسرائيل بارسال فرقها الرياضية الى مختلف الدول الآسيوية .

كوريا الجنوبيــــة :

نشرت بعض الصحف اخيرا بعض أوجه النشاط الاسرائيلى فى كوريا الجنوبية منها زيارة قام بهـــا رئيس هيئة اركان الجيش الاسرائيلى لكوريا الجنوبية مؤخرا وانشاء جمعية للصداقة الكورية الاسرائيلية .

وتعود العلاقات الدبلوماسية على مستوى السـفارات بين كوريا الجنوبيـة واسرائيل الى يناير ١٩٦٢ وقد أرسلت عدة بعثـات رسمية الى اسرائيل فى مهـام مختلفـة .

وفى سنة ١٩٦١ زارت اسرائيل بعثـة صداقة كورية وأدلى رئيسها الذى كان فيما بعد سفيرا فى بريطانيا بتصريحات كثيرة مؤيدة لاسرائيل .

وفى مارس ومايو سنة ١٩٦٥ قامت بعثتان اقتصاديتان على المستوى الوزارى بزيارة اسرائيل — وفى أغسطس سنة ١٩٦٤ زارتها بعثة عسكرية امتدحت بعد عودتها النظم الاسرائيلية وأشارت بالاستفادة منها . وذكرت البعثة أن الجيش الاسرائيلى بفضل روحه المعنوية وقدرته على المناورات يعد أقوى من الجيوش العربية ويستطيع مواجهتها .

وقد تم تأسيس جمعية الصداقة المشار اليها ، وفى مارس سنة ١٩٦٦ تمت زيارة رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلى وأجرى محادثات سرية قيل انهـا تتعلق بالتعاون العسكرى ضد البلاد المستقلة الأفرو آسيوية .

وعندما زودت ألمانيا الغربيـة اسرائيل بالسلاح فى العـام الماضى ألصقت على الصناديق بطاقات تحمل اسم كوريا الجنوبية . وهذه الواقعة تعكس العلاقات الوثيقة بين اسرائيل وكوريا الجنوبية .

نيبـال :

وقد وردت الى الادارة أيضا من مكتب نيودلهى بعض البيانات الخاصة بالنشاط الاسرائيلى فى نيبال . وقد زار مدير هذا المكتب نيبال فى العـام الماضى وقام ببعض الاتصالات بغية الحد من هذا النشاط . وتتلخص أوجه النشاط الاسرائيلى هناك فيما يلى :

١ — نشاط السفارة الاسرائيلية، وهو وان كان محدودا نسبيا الا أنه ملحوظ نظرا لضآلة عدد السفارات هناك وخصوصا لعدم وجود أية بعثـة تمثيلية عربية دائمة فى كاتماندو العاصمة .

٢ ــ تتركز الدعاية الاسرائيلية هناك على الانجازات الصناعية والفنيــة والتعاونية لاسرائيل، وكيف ان هذه تصبح ممكنة فى بلد صغير لو اتيح لهــا نفس الأساليب الاسرائيلية .

٣ ــ شركة المقاولات النيبالية والتى تشترك فيها شركة "Solel Boneh" الاسرائيلية بنسبة ٤٩٪ وتقوم بتنفيذ عدد من المشروعات الحيوية والهامة .. وكانت هذه الشركة تهدف الى احتكار أعمال المقاولات . ان هذا الاتجاه لقى معارضة شديدة ولم يقدر له النجاح ولذلك فقدت هذه الشركة كثيرا من أهميتها حيث لم تحصــل على عمليات كبرى فى الفترة الأخيرة . وكذلك فان جانبا من المساعدات الأمريكية لنيبال يتم عن طريق هــذه الشركة . ولذلك يتســاءل الكثيرون عن مدى الحاجة الى وجود هذه الشركة فى الوقت الحالى اذ الافضل التعامل المباشر مع الولايات المتحــدة .

٤ ــ تعمل اسرائيل على جلب عدد من النيباليين للتدريب لديها فى المزارع وفى المعهــد الآسيوى الأفريقى للتعليم الفنى والتقنى . ويلقى هــذا الأمر تأييدا من حكومة نيبــال على أساس افتقارها الى المساعدات من أية جهــة كانت .

وقد اقترح مكتب الجامعة فى دلهى لمواجهة النشاط الاسرائيلى هناك الاقتراحات التاليــة :

استكمال التمثيل السياسى العربى فى نيبــال ، اقامة مكتب فرعى للجامعة هناك يشرف عليـــه موظف مقيم ، خصوصا وقد أبدت الحكومة استعدادها للاعتراف به . توجيه الدعوة لبعض الشخصيات النيبالية لزيارة بعض الدول العربيــة . امكانية انشاء شركة مقاولات عربيــة مشتركة .

انشاء جمعيـــة صداقة عربية نيبالية على أن يؤجل ذلك لحين وجود تمثيل عربى مقيم يستطيع أن يرعى هذه الجمعية .

وقد عرضت هـــذه الاقتراحات على اللجنـــة الدائمة للاعلام واوصت بدراســـتها .

ايــــران :

من المعروف ان اسرائيل تبذل نشاطا متزايدا فى ايران وعلى الأخص منذ اعتراف ايران بها وتبادلهما التمثيل الدبلوماسى .

وقد قام الســـفراء العرب فى العـــام الماضى باستيضاح ما اذا كانت الحكومة الايرانيـــة تبيـــع البترول الايرانى الى اسرائيل فكان الرد عليهم ان البترول يباع لجماعة الشركات " Consortuins " المتعاقدة مع الحكومة ولا رقابة للحكومة على تصرف هذه الشركات فى البترول بعد استلامها اياه . أما الحصة المخصصة لايران ذاتها فهى لا يمكن بيع أى جزء منها لاسرائيل .

ومن الواضح أن تغلغل الدعاية الصهيونية الى ايران بهذه الصورة يشكل خطرا من نوع خاص نظرا لأن ايران بلد اسلامى ويرتبط مع العالم العربى بعلاقات تاريخية قديمة وكان من الطبيعى أن يساند العرب ضـــد اسرائيل .

تركيــــا :

تعتبر تركيا الدولة الاسلامية الآسيوية الوحيـــدة الى جانب ايران التى استطاعت اسرائيل أن تتغلغل داخلهـــا فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والرياضية والعلمية والفنية . وهناك كثير من العوامل المشتركة بين تركيا وايران التى مكنت لاسرائيل من هذا التغلغل .

وقد ساعد على ذلك وجود جالية يهودية كبيرة فى تركيا يبلغ عددها ١٩٠ ألفا أكثرهم من الأغنيـــاء .

وهناك عوامل كثيرة ساعدت على توثيق العلاقات بين البلدين منها :

اعتبار تركيا واسرائيل جزءا من المعسكر الغربى وكراس جسر لتدعيم نفوذ هذا المعسكر فى الشرق الأوسط ، وارتباط اسرائيل وتركيا بالسياسة الغربية ، ووجود الجالية اليهودية فى تركيا ، ووجود مكاتب للوكالة اليهودية فى أزمير واستنابول ، وغـــير ذلك .

ثم تحدثت المذكرة عن العلاقات السياسية بين البلدين : وكيف اعترفت تركيا باسرائيل ومدى التعاون بينهما ، ومرور رئيس الدولة الاسرائيلية بمطار استانبول عام ١٩٦٦ واستقباله فى المطار كما تحدثت المذكرة بعـــد ذلك عن العـــلاقات الاقتصادية بين البلدين وعقـــد الاتفـــاق التجارى بينهما عام ١٩٥٠ والذى جـــدد عام ١٩٦٠ وأسماء الشركات التركية التى تتعامل مع اسرائيل . وبعد ذلك تحدثت عن المجال الدعائى والســـياحى وذكرت (ان اجهزة الدعاية فى تركيا خاضعة لتحكم رأس المال اليهودى) وأوردت امثلة على ذلك ثم تناولت العلاقات الثقافية والعلمية والفنيـــة والتخطيط وتبادل الزيارات بين تركيا واسرائيل .

ومما قالته : بالرغم من عدم وجود معاهدة ثقافية بين تركيا واسرائيل الا أن هناك علاقات ثقافيـــة بين البلدين تقوم ضمن نطاق معين عن طريق تبادل طلبة المعـــاهد فى كل منهما . وتعمل اسرائيل على تشجيع الأتراك للقيـــام بتجاربهم فى معاملها ومؤسســـاتها فقـــد حدث فى عامى ٥٧ — ١٩٥٨ أن ذهب بعض الطلبـــة الاتراك من كلية الهندســـة الى اسرائيل واتموا دراستهم فيها وكانت مصاريف اقامتهم على حساب المعمل الذى عملوا فيه بالاضافة الى أن كلا منهم كان يتقاضى شهريا مائة وخمسين ليرة اسرائيلية .

هذا ويبدو أن تركيا بدأت اخيرا تولى صداقتها للدول العربية اهتماما خاصا . فقد زاد تبادل زيارات الوفود التجارية بينها وبين الدول العربية

كان آخرها الوفد الذى زار الأردن للاتفـــاق على استيراد بضائع أردنيـــة وكانت تصريحات الوفد ودية للغـــاية .

ومن الناحية السياسية فمن المهم الاشارة الى الزيارة التى قام بهـــا لتركيا اخيرا رئيس وزراء العراق السابق الدكتور البزاز ولا شك أنها تعتبر تقاربا واضحا مع العراق ومع دول الجامعة العربية .

ومن جهة اخرى فقد أبلغت وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة الأمانة العامة مؤخرا أن السفير التركى قد أبلغ الوزارة بموافقـــة حكومته من جهـــة المبدأ على انشاء مكتب للجامعة العربية فى تركيا يتمتع أعضاؤه بالمزايا الدبلوماسية .

هذا وقد سبق أن قام السفراء العرب فى أنقرة بالخطوات التمهيدية اللازمة لانشاء جمعيـــة الصداقة التركية ـــ العربية . كما أن الأمانة العامة دعمت هذه المجهودات بتحويل بعض المبالغ الى عميد السلك السياسى العربى هناك للانفاق منها على تأسيس هـــذه الجمعية .

هذا ويهمنا ان نشير الى المجهودات التى يبذلها بعض أعضاء السفارات العربية هناك فى الدعاية للقضايا العربيـــة والى المعلومات التى يتفضلون بموافاتنا بهـــا لهـــذا الغرض .

* * *

استعرضنا فيما تقدم بعض مظاهر النشاط الصهيونى فى دول آسيا . ولا جدال فى أن العمل العربى المشترك ينبغى أن يقوم على أساس دراسة شاملة لاحتياجات القـــارة الكبرى بعـــد تقسيمها الى مناطق وأن تأخـــذ هذه الدراســـة فى اعتبارها تباين ظروف كل منطقـــة ومكوناتها الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية .

ومن بين تلك الظروف التى ينبغى مراعاتهـا فى التخطيط الاعـلامى ما يلى :

١ — ان العمل الاعلامى العربى يجب أن يخطط له على أساس دراسـة عميقة لظروف كل منطقة لأن التكوين الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والدينى يختلف من مكان الى آخر . ومن الواضح أن الدعاية فى البلاد ذات نظم الحزب الواحد تعتمد على أساليب تختلف عن تلك التى تتم فى البلاد ذات الأحزاب المتعددة . ففى الأولى تعتمد الدعاية أساسا على التفاهم مع قيادة الحزب أو الحكومة ، وفى النظم الأخرى تكون الأساليب التقليدية كالنشرات والأفلام والمعارض أكثر فاعلية ويكون لاقتنـاع الراى العـام فى هـذه الحالة أثر اقوى فى تأييد القضية كذلك الحال بالنسبة للتكوين القبلى والدينى وما الى ذلك .

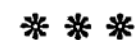
٢ — ان الدعاية العربية يجب أن تعتمد على عمل منتظم ومستمر فى المجالات الثقافية والاقتصادية يكون اقل حساسية وتأثرا بالظروف السياسية السريعة التغير مما هو عليه فى الوقت الحاضر، ويمكن للدعاية العربية أن تكون اكثر نشـاطا وتركيزا فى المناسـبات التى تسـتلزم ذلك ولكن لا يمكن أن تخلو منطقـة ما من الوجود العربى ثم يوجد فجأة فى مناسبة ما ثم ينقطع بعد ذلك وهكذا . وهـذا العمل المنتظم يمكن ان يكسب انصارا تلقائيين للقضية العربية فى الأجل الطويل .

٣ — من الواضح ان هـذا العمـل المنتظم سـواء فى المجالات الثقافية او الاقتصادية ، يجب أن تضطلع به جهـات الاختصاص فى الدول الأعضاء ، فانشاء شركة تجارية أو معهد ثقافى أو مركز لتدريس اللغة العربيـة أو غير ذلك يجب ان يوفر له أخصائيون يمكن أن توفرهم الأجهزة المماثلة فى الدول الأعضاء .

٤ — يجب التزام الدقة فى اختيـــار الأشخاص القائمين بهـــذه الأعمال وان يكون ذلك بنـــاء على معايير موضوعية تراعى عند وضـــعها كافة الشروط التى تؤهل هؤلاء الأشخاص للقيام بواجباتهم فى مجال تخصصهم بكفاءة الى جانب ما يكون لازما فى رجـــل الاعـــلام زيادة فى الفائدة باعتبار أن كفاءة العمل فى ذاتها تحقق فائدة اعلامية هامة .

٥ — ستوضح الدراسة التمهيدية اللازمة التى اشرنا اليها بعض المشاكل التى ينبغى عدم تعرض الدعاية العربية لهـــا لحساسيتها وارتباطها بمفاهيم لا تلائم أحيـــانا البلدان التى تتم الدعاية فيهـــا ويتعلق ذلك أغلب الأمر بالشؤون الدينية والاجتماعية أحيـــانا وببعض المسائل السياســـــية .

(انتهت المذكرات)



(وبعـــــــد)

فعلى هذا النحو نشطت ادارة الاعلام بالأمانة العامة بجامعة الدول العربية فى القيام بوصف الدعاية الصهيونية فى كل من أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا . وربما كان المجهود الذى بذلته اسرائيل فى داخل القارة الأفريقية اهم واخطر من المجهود الذى بذلته فى القــارات الأخرى .

وقد كان بودنا أن نعرض على الباحثين جميع المؤتمرات التى قامت بها والجهود التى بذلتها ادارة الاعلام بالجامعة العربية . ولكننا خشينا الاطالة فاكتفينا بهــذا القدر فقط على سبيل المثال لا الحصر .

وفى وسع الباحث الذى يعنيــه موضوع الدعاية الصهيونية والطرق التى لابد أن يسلكها العرب فى مكافحة هذه الدعاية أن يرجع الى جامعــة الدول العربية . وبها من الوثائق ما ينير الطريق الى هــذه الغاية .

وحسبنا فى هذا البحث الذى نقدمه الى القراء أننا أبرأنا به ذمة العالم العربى بازاء الدعاية الصهيونية . واننا لم نأل جهدا فى دعوة العرب الى مزيد من مكافحة هذه الدعاية الصهيونية وان كنا نعلم فى الوقت نفسه علم اليقين ان أمام الدول العربية أشواطا بعيدة المدى فى هــذا السبيل .

المراجـــع العربيـــة

— ا —

ابراهيم امام :

العلاقات العامة والاعـــلام : (القاهرة سنة ١٩٥٨) .

العلاقات العامة والمجتمع : (القاهرة سنة ١٩٥٧) .

احمـــد سويلم العمرى :

الرأى العـــام والدعاية .

ادارة الاعـــلام بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

ادوارد ســـيدهم :

مشكلة اللاجئين العرب : (القاهرة سنة ١٩٦٣) .

— ت —

توماس بيرى :

الصحافة اليوم (ترجمة مروان الجابرى) .

— ج —

جعفـــر الخليـــلى :

مقدمة كتاب (الامام على نبراس ومتراس) تأليف الأستاذ سليمان كتانى .

جـــلال الدين الحمامصى :

هذه هى صحافتنا بين الأمس واليوم (القاهرة سنة ١٩٥٧) .

المندوب الصحفى (القاهرة سنة ١٩٦٣) .

من الخبر الى الموضوع الصحفى (القاهرة – دار المعارف) .

جـــول هوهنبرج :

الصحفي المحترف (ترجمة فؤاد مويساني) .

— ح —

حامد محمـــود :

الدعاية الصهيونية / وسائلها وأساليبها وطرق مكافحتها .

حســن الحســنى :

الاعــلام والدولة (بيروت) .

حســنين عبد القــادر :

الرأى العام والدعاية وحرية الصحافة (القاهرة سنة ١٩٥٧) .

حســين فوزى النجــار :

أرض الميعــاد (القاهرة سنة ١٩٥٩) .

— خ —

خليــل صــابات :

الصحافة رسالة . استعداد . فن . علم (القاهرة سنة ١٩٥٩) .

— س —

ســلامة موسى :

الصحافة حرفة ورسالة (القاهرة سنة ١٩٥٨) .

— ش —

شــحاتة ســمعان :

التليفزيون والمجتمع (١٩٦١ — ١٩٦٢)

— ع —

عباس احمــد - رمضان خليفــة :

دور التليفزيون فى المجتمعات النامية .

عبد اللطيف حمــزة :

ازمة الضمير الصحفى (١٩٦٠ – دار الفكر العربى) .

المدخل فى فن التحرير الصحفى (الطبعة الثالثة ١٩٦٥ – دار الفكر العــربى) .

مستقبل الصحافة (دار الفكر العربى) .

الاعلام له تاريخه ومذاهبه (١٩٦٥ – دار الفكر العربى) .

الصحافة والمجتمع (القاهرة سنة ١٩٦٣) .

عبد الله البســتانى :

حرية الصحافة (القاهرة سنة ١٩٥٠) .

على محمــد على :

اسرائيل والشرق الأوسط (القاهرة سنة ١٩٦٣) .

— ف —

فائق صــائغ :

الدبلوماســية الصهيونية .

فــؤاد دياب :

الرأى العــام وطرق قياسه .

— م —

مختــار التهــامى :

الصحافة والســلام العالمى (نشر المجلس الأعلى لرعاية الآداب ـ بالقــاهرة) .

الاعــلام والتحول الاشتراكى (١٩٦٦ – القاهرة) .

الرأى العام والحرب النفسية (١٩٦٧ - القاهرة) .

محمـــد اســماعيل محمـــد :

الاذاعـــة .

المســـــعودى :

مروج الذهب .

معهد الصحافة الدولى بمدينة زيوريخ :

أخبار الشرق الأوسط فى الصحافة العالمية ترجمة : عبد اللطيف حمزة ووليم الميرى .

محمـــد عبد المعـــز نصر :

الصهيونية فى المجال الدولى (القاهرة سنة ١٩٥٦) .

محمـــد عوض محمـــد :

الاستعمار والمذاهب الاستعمارية (القاهرة سنة ١٩٥٦) .

محمـــد كمال الدين عبد الحميـــد :

الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجي (القاهرة سنة ١٩٥٩) .

المراجـــع الأوروبيـــة

— The foreign press. (merrell, Bryan and Olisky).

— The nature of the non Western world. (Vera M. Dean).

— One day in the World's Press. (W. Schram).

— World communication – (Press, Radio, Film, Television) UNESCO.

— A handbook of foreign press. (Merrill).

— Four Theories of the press. (Siebert, Peterson, Schram).

— Dectatorship in the modern world. (Ford, Guystanson).

— Intention and authoritarianism. (Kottam, E. John).

— The four concepts in mass communication. (Schram, Wilbur).

— Broadcasting without barriers (George Codding) UNESCO.

— Psychological Warfare. (Raugherty, Janourits).

— Case Book (Hopkins).

— A Theory of Cognitive Disonance. (Fistinger).

— The science of Human Communication. (Schram).

— The process and effects of mass communication. (Schram).

— Mass Communication. (Schram).

— Television on the lives of our children. (Schram).

— Public opinion and american. Democracy. (Knopf).

— Broadcasting and government. (Emery).

— Television and human Behavior. (Arons).

— Handbook of Social Psychology. (Gardner Lingdsay)

— Measuring advertising effectiveness. (Lucas, Brittz).

— Successfull Television and Radio advertising.

— Research methods in social relations. (Deutseh).

— Studies in the Arab Theatre and Cinema. (Landan).

— Modernising The Middle East. (Daniel Terner).

فهـــرس الموضـــوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة